اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة البصرة/ كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ

السنن التاريخية في نهج البلاغة

رسالة يقدمها الطالب

حسن ياسين حميد السعيدي

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية_ جامعة البصرة

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي

بإشراف

أ . د . حميد سراج جابر

١٤٤٠هـ **٢٠١٨م**

قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُكَذِّبِينَ

صدق اللهُ العليُّ العظيم

سورة آل عمران ﴿١٣٧﴾

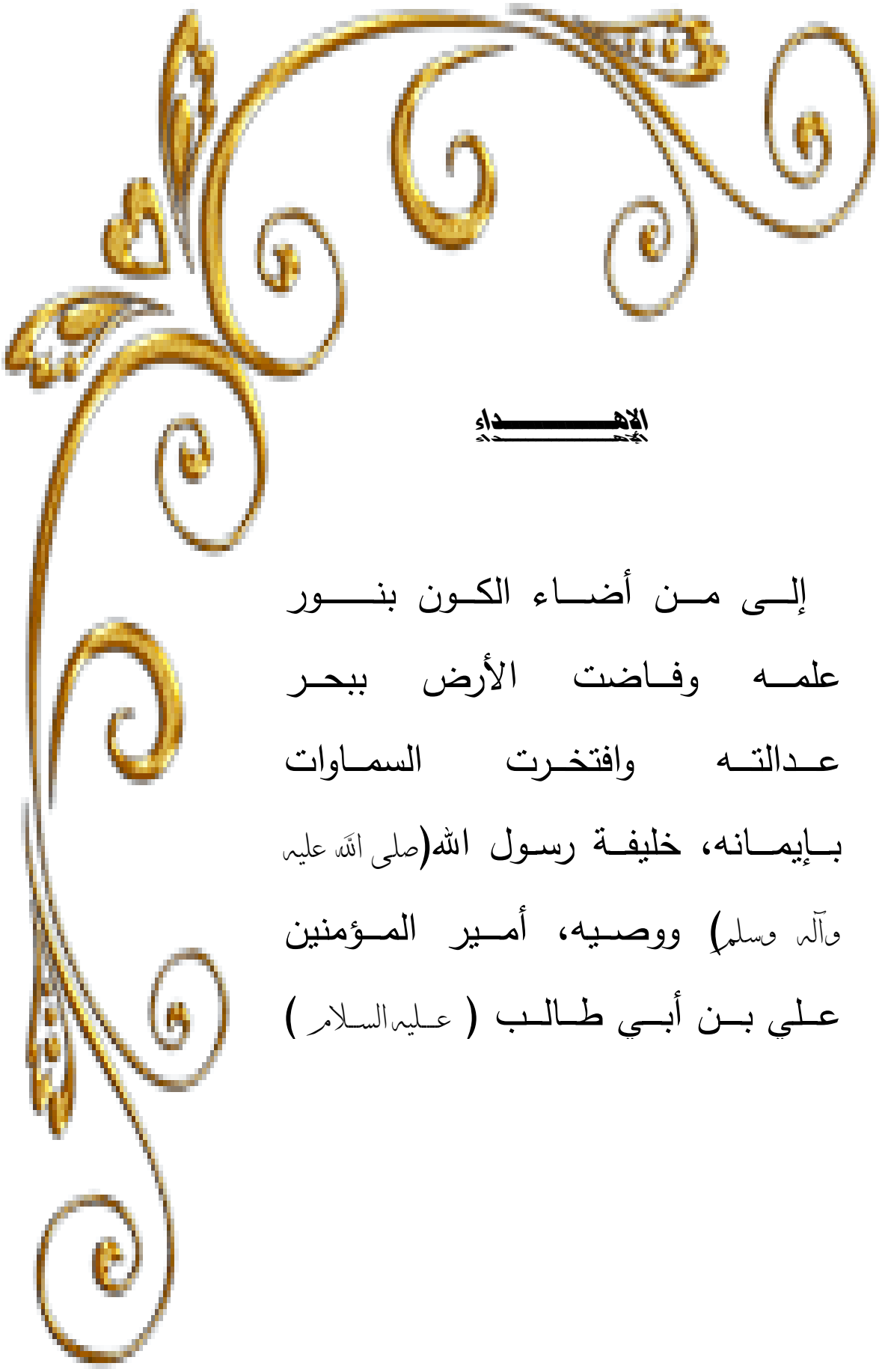

الإهـــــــــداء

إلـــى مـــن أضـــاء الكـــون بنـــــور علمـــه وفـــاضت الأرض ببحـــر عـــدالتـــه وافتخـــرت السمـــاوات بـــإيمـــانه، خليفـــة رسـول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ووصـــيه، أمـــير المـــؤمنين عـــلي بـــن أبـــي طـــالـــب (عـــليه السـلام)

إقـرار المــشرف

أشهـد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة (السنن التاريخية في نهج البلاغة) للطالب حسن ياسين حميد جرت تحت إشرافي في قسم التاريخ _ كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة البصرة، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي.

التوقيع

المشرف: أ.د. حميد سراج جابر

التاريخ: / / ٢٠١٨م

توصية رئيس القسم

بناءً على التوصيات المتوافرة من المشرف أرشح هذه الرسالة للمناقشة وبيان الرأي فيها.

التوقيع:

رئيس القسم: د. نوفل كاظم مهوس

التاريخ: / / ٢٠١٨م

شُكر وعرفان

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون.. ولا يحصى نعماءه العادون.. ولا يؤدي حقه المجتهدون.

أتقدم بشكري وأمتناني الى المربي الفاضل وأستاذي المحترم المشرف على البحث الاستاذ الدكتور حميد سراج جابر الذي كان خير عون لي في الارشاد والنصح وكان له الدور الكبير في اخراج الرسالة بهذا الشكل فله فائق التقدير والاحترام وجزاه الله خير الجزاء.

الشكر والعرفان والتقدير الكبير الى عمادة كلية التربية للعلوم الانسانية ورئاسة قسم التاريخ وجميع الاساتذة الذين كان لهم دور في ارشادي وتشجيعي على الاستمرار في طلب العلم.

أقدم الشكر والامتنان الى زملاء الدراسة والى موظفي ومنتسبي قسم التاريخ.

كما أقدم الشكر والعرفان الى من وقفت الى جانبي بجميع الصعوبات التي واجهتني في طريق العلم بدعائها وتضرعها الى الله أمي الحنون والى والدي وجميع أفراد أسرتي وأصدقائي وكل من وقف وساند ولو بكلمة له فائق الشكر والامتنان.

وفقنا الله وإياكم الى ما يحب ويرضى انه السميع العليم... والحمد لله رب العالمين ...

وصلى الله على سيد المرسلين أبي القاسم محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين.

الـمقـدمـة

يرتكز المفهوم التاريخي على جملة مرتكزات علمية تخرج عن نطاق النقل والرواية المجردة لتدور في محاور أخرى يجمعها الأساس العلمي الذي يمثل الشكل المميز لمنهجية التاريخ، فهي منهجية تخضع للقاعدة والقانون لا كما يخيل للبعض من إقتصارها على ما وصل إلينا من أحداث ونقلت زمن بعد زمن.

إن أهم ما يمكن الإستناد إليه في هذا النطاق كصورة إثباتية لتلك العلمية هي السنن التاريخية التي تترجم وتفصح عن الثبات في التاريخ وخضوعه للقواعد والقوانين التي تحكم سيره، ومن هنا فقد طرح القرآن الكريم تلك السنن أسوة بالسنن والقوانين الكونية بهدف تثقيف وإعداد الفرد لرسم مستقبله بشكل منضبط.

وعلى هذا الأساس حرص الإمام علي عليه السلام على توظيف هذه السنن في إعداد المجتمع وتربيته وتنمية المفاهيم البناءة فيه وعزل الرواسب والشوائب التي طغت عليه وذلك بتشخيصها وتحديد سبل المعالجة والتصفية لها.

ومن المؤكد إن نهج البلاغة هو العينة الأكثر تمثيلاً والأدق تفصيلاً للتعبير عما أراده الإمام علي عليه السلام وما طرحه عن هذا الموضوع فكانت الدراسة التي بين أيدينا والمعنونة (السنن التاريخية في نهج البلاغة) تعنى بفكر الإمام علي عليه السلام من ناحية وبالمنهجية التاريخية وأطارها العلمي المتمثلة بالسنن من ناحية أخرى وهي بلا ريب أداة بناءة وضرورية في تحقيق عملية الإصلاح بجوانبها كافة ، فالسنن غير متخصصة في جانب معين وإنما متعددة

الجوانب ، لأن الطرح يتعلق بالمفهوم وفلسفته ومحدداته وضوابطه وآثاره ، ومن هنا كانت أهمية الدراسة لعلاقتها بالواقع العملي والنظري وباختلافاته الزمنية ، ولاسيما إذا ما علمنا بأن القوانين والقواعد الإلهية واحدة فهي قاسم مشترك لكل البشر بغض النظر عن الزمان والمكان ، ومن ثم فإن معرفتها والتثقيف لها له أهمية قصوى في تحليل التاريخ وأحداثه.

وعليه يمكن القول إن الدراسة هدفت الى تحقيق جملة غايات رئيسية يمكن إدراجها بما يلي:

أولاً_ زيادة الوعي بالسنن التاريخية ولفت الانظار إليها وإدراك فلسفتها وضوابطها ليتم تسخيرها والعمل بموجبها حتى تنهض الأمة وتتقدم نحو الخير والصلاح.

ثانياً_ اظهار الجدية والانضباط في التعامل المقنن مع الجوانب كافة للتصدي للفهم السلبي الذي يعتقد بوجود الصدفة ومن ثم العبث ، لأن السنن هي قواعد تاريخية واقعية.

ثالثاً_ اظهار وابراز الجانب العلمي في التاريخ وأنه يمثل جزءاً تطبيقياً وليس اخبارياً فقط ، واعادة النظر في فلسفة التاريخ بشكل عام ، وفق تلك القواعد والسنن.

رابعاً_ الكشف عن التدهور والانحطاط الذي يصيب المجتمعات عن طريق تسليط الضوء على أسباب الهلاك في الأمم التي كشفتها السنن التاريخية ومن ثم حصول التنمية البشرية والسير نحو النجاة والصلاح .

خامساً_ الكشف عن الجانب التربوي والتثقيفي الذي أراده الإمام علي عليه السلام وفق الأسس العلمية.

سادساً_ بيان القيمة العلمية لذلك الخطاب الموسوعي المعروف بنهج البلاغة الذي تتعدد مفاهيمه والمجالات المكونة له ، وتكتشف علمياً بمرور الزمن.

قسمت الرسالة الى أربع فصول تسبقها مقدمة تعريفيه وتليها خاتمة تتضمن أبرز النتائج التي وصل اليها الباحث، وكان الفصل الأول يتكلم عن مفهوم السنن التاريخية ، إذ تضمن المبحث الأول معاني السنن اللغوية ومدلولاتها الاصطلاحية ، في حين كان الثاني عن مفهوم السنن التاريخية في فكر الامام علي عليه السلام.

وكان الفصل الثاني بعنوان أنواع السنن التاريخية ومحدداتها ، تناول المبحث الأول أنواع السنن التاريخية، بينما المبحث الثاني تحت عنوان ضوابط السنن التاريخية ومحدداتها.

أما الفصل الثالث فتناول آليات وأساليب طرح السنن التاريخية، إذ كان المبحث الأول بعنوان الآليات والأساليب الترغيبية ، فيما كان المبحث الثاني بعنوان الآليات والأساليب الترهيبية.

أما الفصل الرابع فكان آثار السنن التاريخية ومعطياتها ، فقد جاء المبحث الأول منه بعنوان آثار جريان السنن التاريخية ، فيما كان المبحث الثاني بعنوان آثار تحدي السنن التاريخية.

وقد اعتمدت الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع الحديثة وعلى رأسها القرآن الكريم ولعل ابرز المصادر المعتمدة نهج البلاغة وهو المصدر الاساس للبحث ، إذ يحتوي على خطب ورسائل الامام علي عليه السلام التي جمعها الشريف الرضي(ت٤٠٦هـ).

وتأتي شروح نهج البلاغة بالمرتبة الثانية بالنسبة للأهمية، إذ اعتمدت الدراسة على الشروح القديمة للنهج كان أبرزها بحسب الاستعمال الأكثر والإضافة للبحث كتاب شرح نهج البلاغة للبحراني (ت٦٧٩هـ)، وكتاب شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد (ت٦٥٦هـ)، وكتاب معارج نهج البلاغة للبيهقي (ت٥٦٥هـ)،وكتاب منهاج البراعة للراوندي (ت٥٧٣هـ) وكتاب ديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي للعلامة الحسيني (ت٧٤٩هـ) وغيرها من الشروحات.

بالإضافة الى الشروحات الحديثة التي اعتمد عليها البحث مثل كتاب في ظلال نهج البلاغة لمغنية(ت١٤٠٠هـ)، وكتاب منهاج البراعة لحبيب الله الخوئي(ت١٣٢٤هـ)، وكتاب شرح نهج البلاغة للموسوي، وكتاب نفحات الولاية لمكارم شيرازي وغيرها الكثير من الشروحات الحديثة.

واعتمدت الدراسة أيضاً على عدد من التفاسير الشريفة التي كان من أهمها التبيان في تفسير القرآن للطوسي (ت٤٦٠هـ)، وتفسير مجمع البيان للطبرسي (ت٥٤٨هـ) ، وغيرها الكثير من التفاسير .

كذلك من المصادر الاخرى التي اغنت الدراسة هي كتب الحديث مثل كتاب الكافي للشيخ للكليني (ت٣٢٩هـ) ، وتحف العقول عن آل الرسول لابن شعبة الحراني (ت.ق٤هـ)، وأيضاً استندت الدراسة على عدد من المعاجم اللغوية ومنها معجم لسان العرب المحيط لأبن منظور (ت٧١١هـ)، ومعجم العين للفراهيدي (ت١٧٥هـ)، والصحاح للجوهري (ت٣٩٣هـ)، والمخصص لابن سيده (ت٤٥٨هـ)، والكثير من المعاجم الاخرى.

ايضاً استخدمت الدراسة المراجع المتخصصة بالسنن الالهية مثل السنن التاريخية في القرآن الكريم للسيد محمد باقر الصدر ، وكتاب معلمة السنن الالهية لرشيد كهوس، فضلاً عن البحوث والدراسات المتخصصة الأخرى ، وقد وضع ثبت خاص بها في نهاية الرسالة.

ولله الكمال وحده انه ولي التوفيق والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين ابي القاسم محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين.

المحتويات

ت	العنوان	الصفحة
١	الآية	
٢	الاهداء	
٣	الشكر والعرفان	
٤	المحتويات	أ_ ب
٥	المقدمة	١_٦
٦	**الفصل الاول/ مفهوم السنن التاريخية**	٧-٤١
٧	المبحث الاول/معاني السنن اللغوية ومدلولاتها الاصطلاحية	٨_١٥
٨	اولاً: السنة في اللغة	٨_١٠
٩	ثانياً: السنة التاريخية في الاصطلاح	١٠_١٥
١٠	المبحث الثاني/مفهوم السنن التاريخية في فكر الامام علي عليه السلام	١٦_٤٢
١١	اولاً: مصطلح السنة ودلالاته الفكرية	١٧_٢٣
١٢	ثانياً: حكم السنن التاريخية	٢٣_٢٨
١٣	ثالثاً: فلسفة السنن التاريخية وأهدافها	٢٩_٤١
١٤	**الفصل الثاني/ أنواع السنن التاريخية ومحدداتها**	٤٢_١٠٧
١٥	المبحث الاول/ انواع السنن التاريخية	٤٣_٨٦
١٦	اولاً: سنة الدين	٤٣_٤٨
١٧	ثانياً: سنة الابتلاء	٤٨_٦٠
١٨	ثالثاً: سنة التمكين والنصر	٦٠_٧٠
١٩	رابعاً: سنة الاستدراج	٧٠_٧٥
٢٠	خامساً: سنة التدافع	٧٥_٧٨

٢١	سادساً: سنة التداول	٨١_٧٨
٢٢	سابعاً: سنة الله في هلاك الامم	٨٥_٨١
٢٣	المبحث الثاني/ضوابط السنن التاريخية ومُحدداتها	١٠٧_٨٦
٢٤	**الفصل الثالث/ آليات وأساليب طرح السنن التاريخية**	١٥٠_١٠٨
٢٥	المبحث الاول/ الاليات والاساليب الترغيبية	١٢٦_١٠٩
٢٦	اولاً: أسلوب الإغراء	١١٦_١٠٩
٢٧	ثانياً: أسلوب الحث والتشجيع	١٢٦_١١٧
٢٨	المبحث الثاني/ الاليات والاساليب الترهيبية	١٥٠_١٢٧
٢٩	اولاً: أسلوب التحذير	١٤١_١٢٨
٣٠	ثانياً: أسلوب النهي	١٤٦_١٤١
٣١	ثالثاً: أسلوب الوعظ	١٥٠_١٤٧
٣٢	**الفصل الرابع/ آثار السنن التاريخية ومعطياتها**	١٨٢_١٥١
٣٣	المبحث الأول: آثار جريان السنن التاريخية	١٧٤_١٥٢
٣٤	اولاً: آثار ومعطيات الاخذ بالأسباب	١٧٠_١٥٣
٣٥	١_الآثار التنموية وتحقيق الاهداف البعيدة	١٦٢_١٥٣
٣٦	٢_ الآثار التوعوية والاصلاحية	١٧٠_١٦٢
٣٧	ثانياً: آثار السنن التاريخية في التخطيط والاستراتيجية المستقبلية	١٧٤_١٧١
٣٨	المبحث الثاني/آثار تحدي السنن التاريخية	١٨٢_١٧٥
٣٩	الخاتمة	١٨٥_١٨٣
٤٠	قائمة المصادر والمراجع	٢٠٨_١٨٦
٤١	Abstract	A

الفصل الاول

مفهوم السنن التاريخية

المبحث الاول/معاني السنن اللغوية ومدلولاتها الاصطلاحية

اولاً: السنة في اللغة

إن دراسة مفهوم السنن يرتبط ببيان ذلك التناغم الواضح بين معناها اللغوي والاصطلاحي وهو أمر دال على الثبات فيها ما يعكس ذلك الانسجام بين المعنيين ، ومن هنا فإن السنة وجمعها سنن ، هي الطريقة والسيرة حسنة كانت أم قبيحة [1]، إذ جاء في قول الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم :((من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)) [2].

وسنة الله تعالى هي أحكامه وأمره ونهيه ، وسن الله سنة إي بين طريقاً قويماً ، وإذا أطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به الرسول صلى الله علية واله وسلم ونهى عنه وندب اليه قولاً وفعلاً مما لم ينطق به الكتاب العزيز ولهذا يقال في أدلة الشرع الكتاب والسنة[3] .

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٢٥/١٣.

[2] مسلم النيسابوري ، صحيح مسلم ، ٣/ ٨٧ ؛ النسائي، سنن النسائي ،٧٦/٥ ؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان،١٠١/٢ ؛ البيهقي ،السنن الكبرى،١٧٥/٤.

[3] ابن منظور، لسان العرب ،٢٢٥/١٣ .وينظر: ابراهيم مصطفى واخرون ،المعجم الوسيط ،ص ٤٥٥ .

وقال الجوهري(٣٩٣هـ):(السنة الطريقة المحمودة المستقيمة ولذلك قيل فلان من أهل السنة معناه من أهل الطريقة المستقيمة[١])، والسنن الطريقة والمثال فيقال بنو بيوتهم على سنن واحده، والسنة الحميدة كانت أو ذميمة وسنة الله حكمه في خليقته [٢].

فسنة النبي صلى الله عليه واله وسلم طريقته التي كان يحمدها وسنة الله تعالى قد تقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته، ففروع الشرائع وإن اختلفت صورها فالغرض المقصود منها لا يختلف ولا يتبدل وهو تطهير النفس[٣].

والسنة هي الطبيعة[٤] والوجهة والنهج [٥] وأمض على سنتك أي على وجهك وقصدك، فالسنن هي القصد وسنن الرجل قصده وهمته[٦].

ويتضح مما تقدم أن استعمال كلمة سنن بمعنى الطريقة والعادة والسيرة الثابتة التي لا تتغير وهو المعنى الأكثر وروداً في كلام العرب.

كذلك تأتي كلمة السنن والسنة بمعنى الاطراد والتتابع والدوام كما يقول ابن فارس(٣٩٥هـ): (السين والنون اصل واحد مطرد وهو جريان الشيء واطراده في سهولة والاصل قولهم سننت الماء

[١] الصحاح، ٢١٣٩/٥؛ ابن منظور، لسان العرب ،٢٢٦/١٣؛ الزبيدي ، تاج العروس ،٣٠٠/١٨.

[٢] ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط ، ص٤٥٦.

[٣] الراغب الاصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٤٢٩.

[٤] ابن منظور، لسان العرب ،٢٢٦/١٣ .وينظر: ابراهيم مصطفى واخرون ،المعجم الوسيط ،ص٤٥٦.

[٥] ابن منظور، لسان العرب ،٢٢٦/١٣.

[٦] ابن منظور، لسان العرب ،٢٢٦/١٣ .وينظر: ابراهيم مصطفى واخرون ،المعجم الوسيط ،ص٤٥٦ .

على وجهي اسنة سناً إذا أرسلته ارسالاً)[1] وايضاً قيل إن معناها الدوام ، فقولنا سنة معناها الأمر بإدامته ومن قولهم سنن الماء إذا واليت في صبه [2] .

هذا الدلالات اللغوية لكلمة السنن مثل الطريقة والسيرة الثابتة والاطراد والتتابع والجريان هي التي نقصدها في هذا البحث وهذه المعان بينها قواسم مشتركة تتكافأ لتعطي المعنى الواضح للسنة إذ لا يطلق على الطريقة هذا اللفظ إلا إذا كانت في حالة اطراد واستمرار وعدم تغيير.

ثانياً :السنن التاريخية في الاصطلاح

لقد تعددت المفاهيم التي ترجمت مصطلح السنة وتنوعت بتنوع أسلوب التعاطي مع الأبعاد الإلهية لتلك السنن، فقد خضعت تلك المعاني لطبيعة ثقافة المتصدي لبيان مفهوم الاصطلاحي للسنة التاريخية إلا أنه في كل الاحوال فأن المحصلة النهائية لا تخرج بذلك المعنى عن مفهوم القانون والناموس[3] والنظام الذي يفضي الى حاكميته على الفعل البشري، فقد طرحت هذه السنن على أنها ((النواميس التي تسير حركة التاريخ وفق منعطفها وعبر مسالكها التي ليس الى الخروج عليها سبيل لأنها منبثقه من صميم التركيب البشري ومعطياته المحورية الثابتة فطرة وغرائز وأخلاقا وافكاراً وعواطف ووجداناً ومن قلب العلاقات والوشائج الظاهرة والباطنة الذي يتحرك فيه الإنسان))[4].

---

[1] معجم مقاييس اللغة ،٦٠/٣.

[2] الزركشي ،البحر المحيط ،٢٣٦/٣ ؛الشوكاني ، ارشاد الفحول، ص٣٣.

[3] الناموس : والجمع النواميس وتعني القانون أو الشريعة :(لا يخضع الا لناموس واحد هو ناموس الله : شريعة الله). ينظر: ابراهيم مصطفى، المعجم الوسيط ،ص٩٥٤؛ احمد مختار مطر، معجم اللغة العربية المعاصر، ص٢٢٨٥.

[4] خليل ،التفسير الاسلامي للتاريخ ،ص١٠٨.

وقد تم الربط في هذا الطرح بين الطبيعية البشرية وبين تلك النواميس ما يعني التناغم بين الفطرة والفكر الإنساني من جهة ومحورية النواميس من جهة أخرى، وذلك الارتباط هو الحاكم في الحدوث والجريان لتلك السنن ولعل ما يؤكد ذلك إنها جرت على الماضيين بسبب ذلك التناغم لهذا قيل في فهم آخر إن السنن التاريخية ((هي النظام الذي جرى عليه أمر الأمم وإن ما يقع للناس في كل زمان ومكان من الوجود في شؤون اجتماعاتهم وحياتهم مطبق لتلك السنن التي لا تتحول ولا تتبدل))[١].

وليس هذا فحسب وإنما نجد التفاعل بين الإنسان والسنن التاريخية قد يأخذ طابعاً خاصاً منسجماً مع حركة وفعل الإنسان ما يميل عن السنن والقوانين فهي عملية غير جبرية حتى قيل إن السنن التاريخية هي ((ذلك القانون الذي يحكم سير الفعل البشري وبعبارة أدق هي ذلك القانون من المنتزع من حركة وفعل الإنسان في الطبيعة وهي تعبير عنه في السلب والايجاب)) [٢] أو هي ((قانون طبيعي يحكم عالمي النهوض والانهيار الأممي الذي يظهر ويتجلى في المعجزة والصدفة والضرورة والعدل ويتجلى في كل جزء تحرك أو يتحرك فيه الإنسان وظهورها شاهد على نوع هذا التحرك وماهيته وكيفيته ومصداقه))[٣] أي إن السنن التاريخية تجري من تحت يد الإنسان وليس فوقه بمعنى أنها ترتبط بفعل الإنسان الذي يكون اختيارياً وليس جبرياً.

وعليه يمكن القول إن السنن التاريخية هي ((القواعد والقوانين الحاكمة للمنظومة الكونية والاجتماعية، والتي لها خواص الثبات والاطراد، سواء ما كان يخص منها الإنسان بشكل مباشر

[١] محمد رضا رشيد، تفسير المنار ،١٤١/١.
[٢] الركابي ،السنن التاريخية في القرآن المجيد ، ص١٥.
[٣] الركابي ،السنن التاريخية في القرآن المجيد،ص١٥.

والقوانين التاريخية الحاكمة مثل قانون أو سنة الاستخلاف والتمكين، الاستبدال، التدافع، الاستدراج، الإمهال، التمحيص[1] او ما يخص التسخير الذي يتعلق بالقوانين الكونية وما سخر للإنسان من مظاهر الطبيعة))[2] .

ويتضح من هذه التعريفات أن مفهوم السنن التاريخية مشتق من الرعاية الإلهية للبشر التي عكسها القرآن الكريم[3]، لأنه قاوم النظرة العفوية والنظرة الغيبية المجردة لتفسير الاحداث حيث قاوم تفسير الإنسان للأحداث على أساس الصدفة والاستسلام خارج دائرة الأسباب والمسببات لذلك نبه العقل البشري الى أن هذا الساحة لها سنن وقوانين[4]، وبين القرآن الكريم خصائص هذه السنن من خلال الآيات القرآنية التي توضحها إذ تتسم السنن الإلهية التاريخية بجملة من الصفات والخصائص التي تمييزها عن غيرها وتشكل المظهر الموحد لها ومنها:

اولاً. الاستمرار والاطراد[5] : من أهم الصفات التي تتمتع بها السنن التاريخية هي الاستمرارية، فهي مستمرة في كل زمان ومكان ولا ينقطع جريانها ولا تتخلف حين توافر الاسباب والمسببات لذلك ،

[1] سنأتي الى مفهومها وتفصيلها في فصل الانواع.

[2] حميد سراج جابر ،حركية سنن القرآن التاريخية في الحيز التطبيقي للعلوم الإنسانية،ص٦.

[3] لقد جاءت مادة السنة في ثلاثة عشر موضع وكلمة سنن مرتين وجميعها تدل على المعنى الذي نقصده في هذا البحث. ينظر: الانفال/٣٨،الحجر/١٣،الاسراء/٧٧،الكهف/٥٥، الاحزاب/٣٨و٦٢، فاطر/٤٣،غافر/٨٥،الفتح/٢٣،ال عمران/١٣٧، النساء/٢٦.

[4] حسن سلمان قيلي ،السنن التاريخية في القرآن الكريم ،ص١٨.

[5] الاطراد: التكرار والجريان والتتابع ، ويعني هذا المصطلح عند الفقهاء التتابع بتنسيق وانتظام أي عدم تخلف الحكم عند وجود العلة، وعموم الحكم لجميع الجزئيات. ينظر: ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث والاثر، ٨٨/٣؛ ابن منظور، لسان العرب، ٢٦٨/٣؛محمد قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص٧٣.

وجاء بيان تلك الصفة في قوله تعالى :((سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ))[1] ومعناه إن الله سن هذه السنة في الأمم الماضية كلها إذ لا ينفعهم ايمانهم إذا أرادوا العذاب والمراد بالسنة هنا الطريقة المستمرة من فعله بأعدائه الجاحدين[2] وهنا أشاره الى هذه الصفة وهي الاستمرار والاطراد ، وكذلك في قوله تعالى :((فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ)) [3] أي أنّ عاده الله جارية عليهم في الذين تحزبوا على الأنبياء عليهم السلام من نصر المؤمنين عليهم وخذلانهم وتدميرهم، لأنّ السنة تقتضي التكرر في العرف[4] إذ إن استهداف القرآن التأكيد على طابع الاطراد في السنن التاريخية هو استهداف لتأكيد الطابع العلمي لهذه للسنن[5] لأنّ أهم ما يميز القانون العلمي هو التتابع والاطراد وعدم التخلف.

ثانياً. الثبات: الخاصية الأخرى التي تتميز بها السنن التاريخية هي الثبات فهي غير قابلة للتبديل أو التغيير بل ثابتة مستقرة لا يخلفها الله بغيرها فحكمها واحد لا يتغير، فقد أشار القرآن الكريم الى هذا الثبات في أكثر من آية ومنها قوله تعالى :((سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا))[6] أي ولن تجد لسنة الله التي سنها في خلقه تغييرا[7] وأن لا أحد يقدر على تغيير سنة الله وابطالها[8]، فهذه السنة ليست مثل الحكم الذي يبدل وينسخ فإن النسخ يكون في الأحكام ، أما الأفعال

---

[1] غافر / ٨٥.

[2] الطوسي ،التبيان ،١٠٢/٩ .وينظر: الطبرسي، تفسير مجمع البيان ، ٨/ ٤٦١ ؛ الكاشاني، زبدة التفاسير ،٦٣/٦ ؛الواحدي، تفسير الواحدي، ٩٥١/٢.

[3] الانفال/٣٨.

[4] ينظر: الرازي، تفسير الرازي،١٦٢/١٢ ؛ البيضاوي، تفسير البيضاوي،١٠٧/٣؛ الألوسي، تفسير الألوسي ،٢٠٦/٩.

[5] الصدر ،السنن التاريخية في القرآن الكريم ،ص٦٠ .

[6] الاحزاب/٦٢.

[7] الطبري، جامع البيان ،٦٠/٢٢.

[8] الجصاص ،احكام القرآن،٤٨٧/٣ ؛ السمرقندي، تفسير السمرقندي ،٧٠/٣ .

والأخبار فلا تنسخ[١] وكذلك قوله تعالى :((سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا)) [٢]ويعني أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله أن يهلكهم[٣] وتلك السنة لا خلف في وعدها [٤]، فهذه دلالات واضحة عن ثبات القواعد والقوانين التاريخية ونفاذها وحتمية تطبيقها في كل زمان ومكان بنفس الثبات.

ثالثاً. العموم والشمولية :الصفة الأخرى للسنة التاريخية هي العمومية والشمول فهي قاعدة عامة ليس لها حدود شاملة لكل المقامات والاتجاهات والأقوام والاجناس سواء على المستوى الفردي أم الجماعي لا محاباة لجنس أو لون أو ديانة، فالكل أمام القانون الالهي وتحت طائلة السنن وهو مقتضى العدل الرباني وقد كشف القرآن الكريم عن هذه الخاصية في الآية الكريمة :((لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ))[٥] أي لكل أمة في عذابها على تكذيب الرسل في وقت معلوم فلا يتأخرون عن ذلك الوقت ولا يتقدمون عليه بل يهلكهم في ذلك الوقت نفسه[٦]، والأمر هنا لا يخص فقط من يكذبون الرسل وانما أي أمة انحرفت عن مسير الحق ، فسوف لا تكون مصونة من العذاب الإلهي الذي هو نتيجة أعمالها، فعندما ينحرف الناس عن قوانين الخلقة والطبيعة فسيبددون طاقاتهم وملكاتهم في فراغ ويسقطوا في النهاية في هاوية الانحطاط [٧] وهذه الآية توضح

---

[١] الرازي، تفسير الرازي ،٢٣١/٢٥.
[٢] الاسراء/٧٧.
[٣] الزمخشري، الكشاف ،٤٦٢؛ ابو السعود ، تفسير ابي السعود،١٨٩/٥ .
[٤] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ،٣٠٣/١٠.
[٥] الاعراف/٣٤.
[٦] الطبرسي ، مجمع البيان ،١٩٧/٥؛ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن،٣٥٠/٨.
[٧] مكارم شيرازي، التفسير الامثل،٣٧٤/٦.

خاصية العموم والشمول في سنن الله التاريخية إذ تنطبق على البشر جميعاً ومن يفهم تلك العمومية التي تتميز بها السنة يستطيع التعامل معها ويحسن الاستعداد لنتائجها.

رابعاً. الربانية: والمقصود بكلمة الربانية اي منسوبة الى الرب سبحانه وتعالى وربانية السنن يلحظ فيها ملمح التربية فالله تعالى يربي عباده بهذه السنن والنواميس الثابتة[١]، وهي ليست بديل عن الاختيار إلا أنها لا تفصل بين الرعاية الإلهية والحكم الالهي وبين اختيار العمل وتحقيق الشرط الذي يهيئ جريان السنة التاريخية ،أي بقدرة الله تعالى ومرتبطة به، لأنّها ربانية المصدر منه تستمد وبنوره تستضيئ وهذا ما يفرغ عليها قدسية لا نظير لها لان هذه السنن صادر من صاحب الخلق والأمر في هذا الكون[٢] وإن كل قانون من قوانين التاريخ هو قرار رباني[٣] ، ويؤكد القرآن الكريم على هذه الخاصية الخاصية في الكثير من الآيات ومنها ظاهر قوله تعالى :((قلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ))[٤] وكذلك ورود لفظ السنة بإضافتها الى الله تعالى كما جاء في قوله تعالى :((سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا))[٥] فهي من خلق الله تعالى وتشير الى ارادة الله وحكمته لان الله يمارس قدرته من خلال تلك السنن فهي إرادة الله وهي ممثله لحكمة الله وتدبيره في الكون[٦].

---

[١] ينظر : رمضان خميس زكي ، مفهوم السنن الربانية ، ص٥.
[٢] رشيد كهوس ،السنن الإلهية وخصائصها ، ص٦.
[٣] الصدر، السنن التاريخية في القرآن الكريم ، ص٧٠.
[٤] الانعام /١٦٤.
[٥] الفتح/٢٣.
[٦] الصدر، السنن التاريخية في القرآن الكريم ،ص٧٠.

المبحث الثاني

مفهوم السنن التاريخية في فكر الإمام علي عليه السلام

أولاً : مصطلح السنة ودلالاته الفكرية:

ورد مصطلح السنة كثيراً في كلام الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة إذ كان له مدلولات مباشرة ودلائل فكرية بحسب سياق الكلام وورودها فيه ، إذ نجد الإمام علي عليه السلام يذكر السنة الموروثة في وصيتة الشهيرة الى مالك الاشتر[1] إذ يقول عليه السلام :((ولا تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِه الأُمَّةِ واجْتَمَعَتْ بِهَا الأُلْفَةُ وصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ ولَا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ فَيَكُونَ الأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا والْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا))[2] والمراد بالسنة هنا العرفية لا الشرعية [3] وإلا فالقانون والقاعدة لا تصنع صناعه، كما أن مفهوم الشرعية الوارد لا يعني الأحكام الفقهية ، بل يعني الإلهية .

ويقول الشيخ مكارم شيرازي في معنى كلمة السنة الواردة في هذا النص:(أنها تأتي على معنيين فأحيانا يراد منها العادات والتقاليد الموروثة من الأسلاف والقدماء سواء كانت سيئة أم حسنة)[4] والمعنى الثاني للسنة : (كلام النبي الاكرم صلى الله عليه واله وسلم وفعله وتقريره)[5] وأضاف أن كلام كلام الإمام علي عليه السلام في هذه العبارة ناظر الى المعنى الاول بقرينة الجملة :((ولا تحدثن

[1] مالك الاشتر: هو مالك بن الحرث بن عبد النخعي و سمي بالأشتر لضربة اصابته يوم اليرموك ،عاصر النبي والإمام علي عليه السلام وكان من اوائل الناس الذين بايعوا الإمام علي عليه السلام وخاض معه معركتي الجمل وصفين إذ كان له دور كبير في صفين وذراع امير المؤمنين عليه السلام ، ثم ولاه مصر بعد ان فسدت على يد محمد بن ابي بكر ولكن استشهد في العريش قبل ان يصل مصر بالسم على يد الدهقان بمكيده من معاوية عام ٣٩هـ. ينظر :المسعودي، مروج الذهب ،٤٠٩/٢ ؛ الذهبي ،سير اعلام النبلاء ،٣٤/٤؛ ابن حجر ،الأصابه،٤٨٢/٣ ؛ محسن الامين ،اعيان الشيعة ،٤١/٩.

[2] نهج البلاغة ، ص٤٣١.

[3] مغنية، في ظلال نهج البلاغة،٦٢/٤.

[4] نفحات الولاية ،٣٤٩/١٠.

[5] نفحات الولاية ،٣٤٩/١٠.

سنه تضر)) إذ أن هذه السنن تعتبر من العادات الاجتماعية والعرفية دون اسنادها الى الله عز وجل والشارع المقدس، فإذا كانت مثل اكرام اليتامى ومساعدة المحرومين فهي سنة حسنة ومحبذة وإذا كانت على خلاف ذلك فهي سيئة وغير صالحة مثل عادة وأد البنات في الجاهلية [1]، ومن ذلك يتضح أن مصطلح السنة في هذا النص وضعي غير ثابت قابل للتغيير والتبدل والزوال لأنه من قبل الإنسان وليس من قبل الله سبحان وتعالى الذي يتصف بالثبات والاستمرارية.

وربما ظهر هذا النوع من الدلالة الفكرية لمفهوم السنن مرة أخرى حينما أشار عليه السلام الى السنة المصطنعة بقوله :((وإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ[2] وأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ[3] وأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ وأَطْفَئُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ وأَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ))[4] وقد ميز الإمام عليه السلام هنا بين مفهومين متضادين للسنن وقد جاء ذلك

---

[1] نفحات الولاية،١٠/٣٥٠.

[2] العمالقة : هم اولاد عملاق بن لوة بن سام بن نوح واخوه جديس ولكن اسم العمالقة وقع على اولاد عاد وثمود ، واولاد جديس واولاد صحار واولاد وبار . فهؤلاء العرب العمالقة الذين انقرضوا عن آخرهم وكانت العماليق قد بغتْ في الارض ، فسلط الله عليهم ملوك الارض فأفنتها، فلما ملكهم عملاق بن طسم ، بغى وأكثر الفساد في الأرض ، حتى كان يطأ العروس ليلة إهدائها إلى بعلها ، وإن كانت بكرا افتضها قبل وصولها إلى البعل ، ففعل ذلك بامرأة من جديس غضب لها أخوها وتابعه قومه على الفتك بعملاق بن طسم وأهل بيته فصنع أخوها طعاما ودعا عملاق الملك إليه . ثمّ وثب به وبطسم فأتى على رؤسائهم ونجا منهم رياح بن مرّ فصار إلى ذي جيشان بن تبّع الحميري ملك اليمن فاستغاث به واستنجده على جديس وأتى ذو جيشان في حمير بلاد جوّ وهي قصبة اليمامة فاستأصل جديسا وأخرب اليمامة . فلم يبق لجديس باقية ولا لطسم إلَّا اليسير منهم ثمّ أفناهم اللَّه . ينظر :المسعودي ،مروج الذهب ،٢/٢٥ ؛ البيهقي، معارج نهج البلاغة، ٣٠٣ ؛ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،١٠/٩٣ ؛البحراني ،شرح نهج البلاغة ،٣/٣٩٠.

[3] الفراعنة : جمع فرعون ، وهم ملوك مصر ، فمنهم الوليد بن الريان فرعون يوسف ، ومنهم الوليد بن مصعب ، فرعون موسى . ومنهم فرعون بن الأعرج الذي غزا بني إسرائيل وأخرب بيت المقدس. ينظر : ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ،١٠/٩٣ ؛البحراني ،شرح نهج البلاغة ،٣/٣٩٠.

[4] نهج البلاغة ،ص٢٦٣.

بإقتران المصطلح مع ما يعرفه، ففي المرة الأولى أضاف المرسلين الى مصطلح السنن وبذلك فأنها تدل على سنة الأنبياء ومنها سنة النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم، بينما ذكر السنن مضافة الى كلمة الجبارين وهي سنن وضعية سيئة من صنع الإنسان تختلف عن السنن الإلهية الثابتة، وبذلك جرى التمييز والمفاضلة للوصول الى المفهوم المقصود قيد البحث والذي مثل القانون والقاعدة.

وقد ذكر الإمام علي عليه السلام مصطلح السنن بشكل مزدوج فهو مفهوم متغير بحسب الظرف الممهد للجريان حينما ذكر حقوق الوالي والرعية فقال عليه السلام :((أَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَه مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ وحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّه سُبْحَانَه لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ فَجَعَلَهَا نِظَاماً لأُلْفَتِهِمْ وعِزّاً لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوُلَاةِ ولَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ فَإِذا أَدَّتْ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّه وأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ وقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ واعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ وجَرَتْ عَلَى إِذلَالِهَا[1] السُّنَنُ فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ وطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ ويَئِسَتْ مَطَامِعُ الأَعْدَاءِ وإِذا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِه اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ وظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ وكَثُرَ الإِدْغَالُ[2] فِي الدِّينِ وتُرِكَتْ مَحَاجُّ[3] السُّنَنِ فَعُمِلَ بِالْهَوَى))[4] .

[1] على إذلالها: على مجاريها . ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة،٣٠١؛ الفيروز ابادي ،القاموس المحيط،٣٧٩/٣.
[2] الادغال: الفساد أو الخداع. ينظر :ابن سيدة،المخصص،١٦٤/٤؛ ابن منظور لسان العرب، ٢٤٥/١١.
[3] محاج السنن :جادة الطريق . ينظر: ابن الاثير ،النهاية في غريب الحديث والاثر،٣٠١/٤.
[4] نهج البلاغة ،ص٣٣٣.

وانقسم الشارحون الى فريقين في تحديد معنى مصطلح السنن، فقد قال فريق منهم: إنها تدل على سنة الرسول وهي قول وفعل وتقرير المعصوم[1] في حين قال الفريق الثاني: إن السنة في هذا النص هي سنة الله وأحكامه الثابتة التي شرعها في الخليقة[2].

ويتضح من خلال طرح الإمام عليه السلام أن معنى السنة هو سنة الله الثابتة وذلك من خلال بيان الآثار التي تعقب تطبيقها من اصلاح واستقامة واعتدال، وهي آثار حتمية بعد توفر الأسباب والمسببات لحدوثها ففي هذا النص أداء الحقوق بين الوالي والرعية ، وهذه السنة التي تحدد استحقاق الإنسان بأداء الحقوق التي عليه، ليست إلا سنة الكون العادلة القائمة بهذا العدل، و إن هذه القاعدة التي بلّغ ابن أبي طالب بها ترجع إلى جذور العدالة الكونية ، ثابتة لا تغير نفسها ولا شذوذ ينقضها[3] .

وقد وردت الدلالة الفكرية لمصطلح السنة والخاصة بالثبات في طرح الإمام عليه السلام ايضاً حينما ذكر ذلك الشمول في السنة بسبب ثباتها حينما قال:((فَاللَّه اللَّه عِبَادَ اللَّه فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنٍ وأَنْتُمْ والسَّاعَةُ فِي قَرَنٍ))[4] أي على طريقة واحدة لا يختلف حكمها فكما كان من شأنها أن أهلكت القرون الماضية وفعلت بهم وبأثارهم ما فعلت وصيرتهم الى الاحوال التي عددناها فكذلك

[1] ينظر: الراوندي، منهاج البراعة ،٣٥٤/٢ ؛ مغنيه ،في ظلال نهج البلاغة،٢٧١/٣.
[2] المجلسي، بحار الانوار،٣٥٥/٧٤ ؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة ،٣٣٥/٣ ؛ شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة ،ص١٤٥؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة،٥٠٠/٣.
[3] جورج جرداق، روائع نهج البلاغة،ص٤٣.
[4] نهج البلاغة،ص٢٨١.

فعلها بكم[1] وهنا نجد معنى السنة هو الطريقة الواحدة وحكمها واحد لا يختلف وهذه صفة من صفات السنن الربانية التي تتميز بالثبات وعدم التغير ومن ضمنها السنه التاريخية كما قال السيد محمد باقر الصدر :((ان كل قانون من قوانين التاريخ هو قرار رباني وارتباطها بالله سبحانه وتعالى))[2] ومن خلال ما تقدم يتضح أن الإمام علي عليه السلام اطلق مصطلح السنة في ثلاث معاني :

المعنى الأول : مصطلح السنة يدل على سنة النبي صلى الله علية واله وسلم والائمة عليهم السلام من قول وفعل وتقرير.

المعنى الثاني : السنة الوضعية التي يصنعها الاشخاص وهي قابلة للتغير والزوال .

المعنى الثالث : السنة الربانية الثابتة والمستمرة غير القابلة للتغيير ومن ضمنها السنة التاريخية وهو ما يهمنا هنا.

لقد أتخذ الإمام علي عليه السلام اكثر من صورة في ترسيخ هذا المفهوم وبيانه بحسب معناه ولعل الصورة الأولى هو أنه بين السنن بشكل مباشر من خلال المصطلح كما أسلفنا في قوله عليه السلام :((فَاللَّه اللَّه عِبَادَ اللَّه فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنٍ وأَنْتُمْ والسَّاعَةُ فِي قَرَنٍ))[3] إذ أكد هنا على السنن بصورة صريحة من خلال طرح المصطلح، فيما نجد أنه عليه السلام ذكرها مرة أخرى بصورة التطبيق والشرط إذ قال عليه السلام :((مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَه أَصْلَحَ اللَّه عَلَانِيَتَه ومَنْ عَمِلَ لِدِينِه

[1] البحراني ، شرح نهج البلاغة ،٢٠٧/٤. و ينظر : المجلسي ، بحار الانوار ،٢٠٧/٧ ؛حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ،١٩٦/١١.

[2] السنن التاريخية في القرآن الكريم،ص٧١.

[3] نهج البلاغة ،ص٣٩١.

كَفَاه اللَّه أَمْرَ دُنْيَاه ومَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَه وبَيْنَ اللَّه أَحْسَنَ اللَّه مَا بَيْنَه وبَيْنَ النَّاسِ))[1] إذ بين الإمام عليه السلام الضوابط والمحددات التي تعمل بها السنن التاريخية بصورة شرطية[2].

أما الصورة الثالثة فجاءت بطريقة الحث والاستقراء للحوادث التاريخية من أجل الوصول الى السنن التاريخية وحكمها للاعتبار والاتعاظ بها كما في قوله عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام :((أَيْ بُنَيَّ إِنِّي وإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ وفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ وسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِه ونَفْعَه مِنْ ضَرَرِه فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَه[3] وتَوَخَّيْتُ[4] لَكَ جَمِيلَه وصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَه))[5] فقد أشار الإمام عليه السلام الى أهمية التدبر والتفكر في حوادث التاريخ من اجل الوصول الى القوانين والقواعد التي تحكمه، فهو محكوم بسنن تاريخية ثابتة تشمل جميع الخلق من المؤمنين والكافرين، وهي دعوة تلح على الناس أن يحركوا عجلة عقولهم ، وينظروا في تاريخ من قبلهم [6] من أجل معرفة قوانين التاريخ والاعتبار والاتعاظ بالسابقين وتخطيط المستقبل على أساس تلك القواعد .

---

[1] نهج البلاغة،ص٤٨٣.

[2] سنأتي الى تفصيلها في الفصل الثاني.

[3] نخيلة: التصفية والاختيار. ينظر: الفراهيدي ،العين٢٦٤/٤ ؛الزمخشري ،أساس البلاغة ،٩٤٤.

[4] توخيت: تحريت واجتهدت. ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ،٢٨٢/١٥ .

[5] نهج البلاغة ،ص٢٩٧.

[6] ينظر: مركز الرسالة، دور العقيدة في بناء الإنسان،ص٣١_٣٢؛ حميد سراج جابر ، فلسفة التاريخ في فكر الإمام علي،ص٤٦.

وتارة نجد أن الإمام علي عليه السلام يوظف السنن الكونية والفسلجية في طرح السنة التاريخية والتأكيد عليها ولعل مصداق ذلك ما ذكره عن الموت حينما قال :((إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ لَا يَفُوتُه الْمُقِيمُ وَلَا يُعْجِزُه الْهَارِبُ))[1] اي لابد منه[2] لا يخلص منه الراضي به المقيم له ، ولا ينجو منه السّاخط له الهارب عنه [3]، فالموت هنا للدلالة على قدره الله وثبات سنته بغض النظر عن نوع هذه السنة وذلك بسبب التماثل بين السنن الكونية والفسلجية والتاريخية في الخصائص والمميزات.

وعلى العموم أن السنن التاريخية في فكر الإمام علي عليه السلام هي قواعد وثوابت شامله ومطردة فهي قوانين متكررة في كل زمان ومكان بتوفر الضوابط والعلل والشروط نستطيع من خلالها فهم حركة التاريخ والأحداث التي تقع فيه وبالتالي الاعتبار والاتعاظ بها .

ثانياً: حكم السنن التاريخية:

إن ثبات السنن التاريخية واطرادها يجعلها حاكمة ومسيطرة ويسير التاريخ على وفقها وليس عشوائياً ، فهي عبارة عن قوانين أشبه ما تكون بالمعادلات الرياضية قد نظمها الحق سبحانه لتحكم حركة الكون والحياة وتحكم حركة التاريخ وتنظم ناموسية التغيير وتتحكم بالدورات الحضارية موضحه عوامل السقوط وعوامل النهوض الحضاري[4].

[1] نهج البلاغة ،ص١٨٠.
[2] البحراني، شرح نهج البلاغة،١٢١/٣.
[3] حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ،١٥١/٨.
[4] محمد الجربتلي، السنن الإلهية واثرها في فهم الواقع ،ص٢.

وعلى وفق ذلك فأن التاريخ محكوم متشابهة أفعاله لأنّه يجري على طريق واضح ومعلوم بحكم ثبات السنن الحاكمة له إذ يعطي هذا الثبات التوازن والاستقرار للأحداث التاريخية فكلما توفرت المسببات تكون النتائج ذاتها، وهذه ما أكدهُ أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام بقوله :((إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِه بِالْمَاضِينَ لَا يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْه ولَا يَبْقَى سَرْمَداً مَا فِيه آخِرُ فَعَالِه كَأَوَّلِه مُتَشَابِهَةٌ أُمُورُه مُتَظَاهِرَةٌ[1] أَعْلَامُه))[2] بين الإمام عليه السلام أن حكم الدهر بالحاضرين من الناس كما كان حكمه في الماضين بحملهم على وتيرة واحده وقاعدة واحدة وحكمة فيهم مشترك فكل يوم مر على الاجداد يمر مثله على الابناء والاحفاد، ودلالاته على شيمته وطبيعته وأفعاله الَّتي يعامل الناس بها قديماً وحديثاً متعاضدة يتبع بعضها بعضا، ولا يبقى الدهر بل يفنى باستمرار وأفعاله متشابهة لا تفترق إلا بتغير الأوقات وتبديل الاشخاص وأن ما فيه من أمور على نسق واحدة وطبيعة واحدة لا تختلف ولا تتخلف[3] لان هناك سلسلة من الاصول تحكم تاريخ البشرية[4].

وبذلك فإن الحكم والمصير واحد ما دامت الاحوال والظروف متشابهة لأنّ نتائج القوانين تكون واحدة، فالتاريخ لم يذكر لنا قوم أو أمة وقفت أمام الحق وانتصرت في المدى البعيد لأن حكم السنن في مصارعة الحق ثابت لا يتغير وهو ما قاله الإمام علي عليه السلام :((مَنْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَعَه))[5] اي من تصدى لمعاندة الحق وحربه مستخفا به وبأهله فقد هلك[1]، والتاريخ شاهد على

[1] متظاهرة: متعاونة . ينظر: الزمخشري، اساس البلاغة ،٦٠٢ ؛ الرازي ، مختار الصحاح ،ص٢١٥.
[2] نهج البلاغة ،ص٢٢١.
[3] ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة،٢١٢/٩ ؛البحراني ،شرح نهج البلاغة ،٢٦٩/٣ ؛ حبيب الله الخوئي ،منهاج البراعة ،٣١٢/٩ ،الموسوي ،شرح نهج البلاغة ،١٩/٣.
[4] مكارم شيرازي، نفحات الولاية ،١١٢/٦.
[5] نهج البلاغة ،ص ٥٤٨.

الكثير من الأمم والأقوام التي قاومت الحق وهلكت، فهذه قاعدة عامة توضح صورة ثبات حكم السنن التاريخية وبالتالي معرفة المستقبل القريب والبعيد لان الاحداث تجري على نظام واحد.

ولكن هذه المعرفة تحتاج الى وعي بالسنن التاريخية ومعرفتها حتى تستطيع الحكم على الأحداث من خلال الأفعال والمسببات وفي هذا الشأن نلاحظ حكم الإمام علي عليه السلام على زوال دوله بني أمية من خلال الوعي بالسنن التاريخية الثابتة المستمرة النافذة على جميع الأمم والأقوام إذ أشار الى تداول الايام عبر السنن في قوله :((فَأُقْسِمُ بِاللَّه يَا بَنِي أُمَيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ أَلَا إِنَّ أَبْصَرَ الأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ طَرْفُه[٢] أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ الأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكِيرَ وقَبِلَه))[٣] وهنا أخبر الإمام عليه السلام بزوال ملك بني أمية على يد اشد اعدائهم وهم العباسيون ويشير التاريخ الى تحقق ذلك[٤] لأنّ سلطان الجور لا يدوم ، وإن دعوة الحق لا تموت[٥] وسيفعل بهم ما يفعلونه بالناس بحكم ثبات القانون التاريخي الذي لا يحابي أحداً بل يشمل الجميع.

وكذلك قال عليه السلام في موضع آخر عن هذا الشأن :((حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا وتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا ولَا يُرْفَعُ عَنْ هَذِه الأُمَّةِ سَوْطُهَا ولَا سَيْفُهَا وكَذَبَ الظَّانُّ

---

[١] مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ،٣٣٢/٤.وينظر : الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ،٤٥٧/٤.

[٢] طرفه: طرف بصره يطرف طرفا ، إذا أطبق أحد جفنيه على الآخر . الواحدة من ذلك طرفة .يقال : " أسرع من طرفة عين. ينظر: الجوهري ،الصحاح ،١٣٩٥/٤.

[٣] نهج البلاغة ،ص١٥٢.

[٤] ينظر: الراوندي ،منهاج البراعة ، ٤٤٦/١ ؛ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،١٢١/٧؛الحسيني، ديباج الوضي ،٨٣٥/٢ ؛البحراني، شرح نهج البلاغة ،٢٣/٣ ؛ شمس الدين ،دراسات في نهج البلاغة ،ص١٨٢ .

[٥] مغنية، في ظلال نهج البلاغة،١١٣/٢.

لِذَلِكَ بَلْ هِيَ مَجَّةٌ[1] مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً[2] ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً))[3] أي محبوسه عليهم كما تعقل الناقة فتعطيهم لبنها لمدة من الزمن ثم يطرحونها ويرمونها بمرة جميعها[4]، فمحاربتهم للحق تحتم عليهم الهلاك وكل أمة تصادم السنن والقوانين يحل بها ما يحل بأيّ أمة أخرى وهذا الحكم تقره السنن التاريخية الثابتة المطردة.

هذا الثبات في الحكم وحتمية الوقوع وعدم المقدرة على تحديها وحتى إن تم تحديها فيكون على الشوط القصير إذ لا تقاوم هذه السنة مدة طويلة [5] ، فهو دليل إثبات قدرة الله سبحانه وتعالى عند جميع الخلق ولاسيما المنكرين للقدرة الإلهية وهذا يعني عدم إمكانية تحديهم للقوانين والثوابت العلمية التاريخية وإن نتيجة تحديهم للسنن هي السقوط والهلاك.

وحاكمية السنن التاريخية وعدم تخلفها تأتي لأنها واقعه لا محالة بحكم الثبات الذي يجعل كل أمة توجه حياتها على وفق هذه القوانين التاريخية حتى تحصل على الفائدة التي حصلت عليها أمة أخرى سلكت هذا السبيل نفسه[6]، فهو دافع حركي لكل الأمم للاستفادة من السنن عن طريق الاعتبار والحذر من المهالك إذ ان من ثمرات ثبات الحكم في السنن التاريخية هو الاعتبار بحوادث الماضي وتجارب الأمم وتصحيح المسار وتجنب الاخطاء بصورة علمية دقيقة إذ لابد لأهل كل

[1] مجه: نقط العسل . ينظر: ابن الاثير ،النهاية في غريب الاثر والحديث،٢٩٧/٤ ؛ ابن منظور ،لسان العرب ،٣٦٢/٢.

[2] برهة: مدة من الزمن فيها طول .ينظر : الصحاح ،الجوهري ،٥٣٧/٢ ؛الطريحي، مجمع البحرين ،٣٤٣/٦ .

[3] نهج البلاغة ،ص١٢٠.

[4] الراوندي ،منهاج البراعة ،٣٦٥/١ . وينظر: ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،٣٨١/٦ ؛التميمي، صفوة شروح نهج البلاغة ،١٥٩.

[5] الصدر، السنن التاريخية في القرآن ،ص٧١.

[6] صديقي ، تفسير التاريخ، ص١٠٩.

عصر من أن يواجهوا النوع نفسه من التعقيدات التي واجهها أسلافهم فمواضع الخطر في طريق الأمة تكاد تكون نفسها في الماضي والحاضر[١].

لذا نجد الإمام علي عليه السلام دائماً ما يُحّذر الناس مما حدث في الماضي لأنَّ الحكم يدل على النفاذ والتحقق وعدم التخلف وهو ما نفهمه من قوله عليه السلام :((حْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالأمم قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثُلَاتِ بِسُوءِ الأَفْعَالِ وذَمِيمِ الأَعْمَالِ فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ والشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ واحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ))[٢] وهنا الإمام عليه السلام يحذر من العقوبات العظيمة المهلكة وإن لا تصدر من جهتهم المعاصي فيكونون امثالاً لهم في العقوبة[٣]، فالتحذير من سوء الأعمال والأفعال التي تمثل منطلقات تطبيق السنة التاريخية التي تتصف بثبات الحكم وجريانها عليهم.

لقد ثقف امير المؤمنين عليه السلام على الابتعاد عن تلك الاعمال والاعتبار بها والاستفادة منها، لأنَّ سنن الله في التاريخ ماضية ثابتة إذ حث عليه السلام على الاتعاظ والاعتبار بما حدث بالأمم السالفة كما جاء في قوله :((فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وانْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ إِخْوَانِكُمْ))[٤] إذ أشار عليه السلام الى التحذير والاعتبار بمن سبقهم بجريان الحكم نفسه وإن كانوا رحلوا فسيرحلون مثلهم ويأتي قومٌ آخرون يسكنون مساكنهم كما سكنوا منازل من كان قبلهم كما عليهم الاتعاظ بانفصام عرى القرابة حتى مع اقرب اخوانهم، فهذا دليل على أن كافة الأموال والأنفس ودائع

[١] حسن بن صالح الحميد، سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن ،ص٨١.
[٢] نهج البلاغة، ص٢٩٦.
[٣] الحسيني، ديباج الوضي ،٢٠٢٨/٤.وينظر: حبيب الله الخوئي ، شرح نهج البلاغة ،٣٧٢/١١.
[٤] نهج البلاغة، ص١٧٤. وفي ذلك اشارة الى قوله تعالى :((سَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ)) (ابراهيم /٤٥).

وهي مخلوقة جميعاً لله وانه سبحانه وتعالى يداولها بين الناس والتاريخ أعظم شاهد على هذا الامر[1]، فهذا المداولة بين الناس في كل جوانب الحياة ثابتة مستمرة بحسب الضوابط والشروط وهو تعاقب يجري على سنن العدل الإلهية ولا يظلم فيها احد.

من خلال ما تقدم نلاحظ امرين مهمين لحكم السنن التاريخية:

أولا: ان ثبات السنن التاريخية وعدم تغييرها يعني عدم وجود الصدفة والطبيعة في الحوادث التاريخية لان السنن جارية قائمة على الثبات ولا يوجد مجال للعبثية والصدفة في حوادث التاريخ إذ أن تكرر الحوادث والتوازن والاستقرار الموجود في التاريخ دلاله على حكم السنن التاريخية.

ثانياً: ثبات السنة التاريخية واستمراها تجعل العقل البشري مطمئناً وتثبت النفس ويحيطها الاستقرار حيث أن كل الحوادث هي محكومة بقوانين وكل ما على الإنسان الاعتبار والحذر للسير على الطريق الصحيح.

ثالثاً: فلسفة السنن التاريخية وأهدافها

أولى الإمام علي عليه السلام عناية واهتماماً كبيراً في بيان السنن التاريخية وذلك لأهميتها وآثرها ،لاسيما وإن وراء هذه العناية فلسفة وأهداف اختلفت من سنة الى أخرى ، لكن قبل التطرق الى الأهداف العمومية من السنن تجدر الاشارة الى أن السنن التاريخية تحمل علاقة لم تكن موجوده في سائر الظواهر الكونية والبشرية والطبيعية الاخرى وهي علاقة الظاهرة التاريخية بهدف علاقة نشاط بغاية، فالعلاقة التي يتميز بها العمل الذي تحكمه السنن التاريخية هو أنه عمل هادف إذن هدف

[1] مكارم شيرازي، نفحات الولاية ،١٠٨/٥.

السنن هو الطموح والتطلع الى المستقبل من خلال الوجود الذهني للإنسان[١]، أي أنها ليست عبثية وإنما تحمل اهداف تروم تحقيقها ومن أهم الأمور التي تبلورت في طرح الإمام علي عليه السلام للسنن التاريخية هي:

١.إثبات الطابع العلمي للتاريخ :

عند الحديث عن فلسفة وأهداف السنن التاريخية يجب أن نقدم الهدف المهم الذي يتعلق بنا كباحثين في التاريخ وهو إثبات علمية التاريخ وأنه عباره عن قواعد وثوابت يمكن معها صناعة المستقبل وهذا الهدف يحكم بعمومية الاهمية التاريخية، فقد وظفها القرآن الكريم لتأكيد العلمية والصرامة في الثبات والتحقق على الرغم من تعاملها مع الإنسان وليس مع قيم أو مع قوانين كونية وطبيعية فمثلما توجد القوانين التطبيقية في العلوم البحتة كذلك توجد القوانين التطبيقية في العلوم الإنسانية وهذه هي التي عرفت بالسنن التاريخية[٢]، إذ عرض القرآن الكريم هذا الثبات والعلمية للسنن التاريخية في أكثر من آية وبصوره صريحة كما جاء في قوله تعالى:((سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا))[٣] وكذلك قوله :((سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا))[٤] اي ولن تجد لسنة الله التي سنها في خلقه تغييرا[٥] وأن لا أحد يقدر على تغيير سنة الله

[١] الصدر ،السنن التاريخية في القرآن ،ص٧٨.
[٢] حميد سراج جابر، حركية سنن القرآن التاريخية في الحيز التطبيقي للعلوم الإنسانية ،ص١.
[٣] الفتح/٢٣.
[٤] الاحزاب/٦٢.
[٥] الطبري، جامع البيان ،٢٢/٦٠.

وإبطالها[1] بل مستمرة ثابتة[2]، فهذه السنة ليست مثل الحكم الذي يبدل وينسخ فإن النسخ يكون في الأحكام ، أما الأفعال والأخبار فلا تنسخ[3]، وهذا الاطراد في السنة تأكيد على الطابع العلمي للقانون التاريخي لان أهم مميز يميز القانون العلمي عن بقية المعادلات والفروض هو التتابع والاطراد وعدم التخلف[4]، وتلك المميزات تدخل العلوم الإنسانية من بوابة التاريخ الى ساحة العمل بقوة أسوة بالعلوم الصرفة التي تشترك معها بنفس الصفات في تطبيق عملياتها[5].

ان الإثباتات لعلمية السنن التاريخية من حيث الخواص التي تدخل في جريانها ذكرها الإمام علي عليه السلام وأكدها في طرحه للسنن التاريخية كما جاء في قوله عليه السلام :((مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَه[6] لِلْحَقِّ هَلَكَ))[7] أي إن من نابذ الله وحاربه هلك [8]،على وجه الاطلاق[9]، فلا يمكن تغيير هذا هذا الامر بل هو مطلق مستمر وثابت على جميع الأفراد والأمم التي تحارب الحق وتقف ضده، إذ

---

[1] الجصاص ،احكام القرآن،٤٨٧/٣ ؛السمرقندي، تفسير السمرقندي ،٧٠/٣.

[2] الشوكاني، الفتح القدير ،٥٢/٥.

[3] الرازي، تفسير الرازي ،٢٣١/٢٥.

[4] الصدر، السنن التاريخية في القرآن الكريم ،٦٩.

[5] حميد سراج جابر ،حركية سنن القرآن التاريخية في الحيز التطبيقي للعلوم الإنسانية، ص٧.

[6] ابداء الصفحة : اظهار الوجه ، والوقوف أمام شيء. ينظر: ابن منظور، لسان العرب ،٥١٥/٢ _٦٥/١٤ .

[7] نهج البلاغة ،٥٠٢.

[8] ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ،٢٧١/١٨. وينظر : مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ،٣٢٢/٤؛ الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ،٣٥٢/٣، الموسوي ، شرح نهج البلاغة ،٣٥٨/٥.

[9] الخوئي، منهاج البراعة ،٢٦١/٢١.وقد فسر بعض شراح نهج البلاغة ومنهم العلامة البحراني كلام الإمام عليه السلام على انه ((من تجرّد لنصرة الحقّ في مقابلة كلّ أحد هلك عند جهلة الناس لضعف الحقّ عندهم وغلبة حبّ الباطل على نفوسهم . وكنّى بإبداء صفحته عن إظهار نفسه ونصبها لذلك)) وهذا المعنى بعيد عن ما نقصده في طرحنا هذا . ينظر: شرح نهج البلاغة ،٣٤١/٥.

أن هذا الاستمرار في عمل السنة التاريخية والثبات دليل على علمية تلك السنن والتي هدف الإمام عليه السلام الى بيانها من أجل التثقيف والاعتبار بالأثار لان الحكم واحد لا يتغير.

٢.التعبئة والأعداد :

إن المتتبع لطرح الإمام عليه السلام والمتعمق في مضامينه يجد أنه عليه السلام أراد تعبئة المؤمنين وإعداد رجال قادرين على الثبات في أوقات المواجهة والشدة وذلك من خلال توظيف السنن التاريخية الثابتة الحتمية من أجل شد العزيمة وإدخال الاطمئنان الى قلوبهم ودفعهم الى تقديم المزيد بمدهم بالأسباب التي تساهم في النصر حتى تكون الغلبة لهم وذلك عبر ذكره لسنة النصر الإلهية التاريخية وسنأتي الى بيانها بالتفصيل فيما بعد[١].

ولكن ما نريد توضيحه في هذا المقام هو الهدف العمومي للسنة وهو التعبئة ورفع الروح المعنوية للمقاتلين وهذا ما نجده في طرحه عليه السلام في معركة صفين ليله الهرير[٢] إذ قال لأصحابه:((مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ وتَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ وعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ فَإِنَّه أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ وأَكْمِلُوا اللأْمَةَ وقَلْقِلُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا والْحَظُوا الْخَزْرَ واطْعُنُوا الشَّزْر[٣] ونَافِحُوا بِالظُّبَى[١] وصِلُوا السُّيُوفَ بِالْخُطَا واعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللَّه ومَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّه

[١] الفصل الثاني ،ص٦٠.

[٢] الهرير: وهي ليلة معركه صفين واختلط الناس فيها وقتل مئات من الطرفين إذ كانت اشد واقسى ليله هولا وعنفا في جميع حروب صفين وسميت الهرير بذلك لتركهم الكلام كانوا يهرون هريرا. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك،٦٣\٣؛ المسعودي، مروج الذهب،٢|٦٣؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ،٢|٤٧٩.

[٣] اطعنوا الشزر: الطعن عن اليمين والشمال .ينظر :الفراهيدي ،العين ،٦/٢٣١.

فَعَاوِدُوا الْكَرَّ واسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ فَإِنَّه عَارٌ فِي الأَعْقَابِ ونَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ وطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْساً وامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْياً سُجُحاً[٢] وعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الأَعْظَمِ والرِّوَاقِ الْمُطَنَّبِ فَاضْرِبُوا ثَبَجَه[٣] فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِه وقَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَداً وأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ[٤] رِجْلًا فَصَمْداً صَمْداً حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ:(وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ والله مَعَكُمْ ولَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ)[٥]))[٦] فهذا التعليم في المعركة يدل على التعبئة والإعداد للمواجهة، إذ تتضمن هذه الخطبة بعض الإرشادات الحربية والتعاليم العسكرية وكذلك التوجيه المعنوي بتقوية النفس معنوياً حتى تكتمل القوتان المعنوية والمادية[٧]، وهذا الدافع المعنوي هو المتحقق ببيان النصر الإلهي كسنة تاريخية الذي يشعر معه المؤمنون بالراحة والطمأنينة بعد أن كانوا يقاسون الألم وهذا النصر يحتاج الى العمل بأسبابه وأتباع شروط التمكين التي نفهمها من طرح الإمام عليه السلام ومنها :

اولاً: الصبر على الشدة وسكينة النفس وقوتها والثبات في ساحة المعركة.

ثانيا :الاستعداد العسكري المادي للحرب وتوزيع المهام واخذ كافة التدابير المادية التي ترسم لهم خطوات النصر.

---

[١] نافحوا بالضبا : هي جمع ظبة السيف ، وهو طرفه وحده وهو ايضا لتناول بأطراف السيوف ، وفائدته توسعة المجال ، فإن القرب من العدو يمنع ذلك .ينظر :ابن الاثير ،النهاية في غريب الحديث والاثر ،١٥٦/٣ ؛الطريحي ، مجمع البحرين ،٤٢٠/٢.

[٢] سجحا :سهله مستقيمة. ينظر: ابن قتيبة ،غريب الحديث ،٣٦٣/١ ؛الزمخشري ،اساس البلاغة ،ص٤٢٣.

[٣] ثبجه :وسطة .ينظر: الحربي ،غريب الحديث ،١١٨١/٣ ؛ابن فارس ،معجم مقاييس اللغة ،٣٩٩/١ .

[٤] النكوص :الرجوع الى الوراء .ينظر: ابن منظور ،لسان العرب ،١٠١/٧.

[٥] محمد/٣٥.

[٦] نهج البلاغة ،ص٩٧ .

[٧] الموسوي ،شرح نهج البلاغة ،٤٠٠/١.

ثالثاً: بعد ذلك يأتي وعد الله لهم بالنصر ويتحقق لقوله تعالى: ((قاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ))[1] هنا أمر الله تعالى المؤمنين بان يقاتلوا هؤلاء الناقضين للعهد البادئين بالقتال فأنهم إذا قاتلوهم يعذب الله الكفار بأيدهم وينصركم ايها المؤمنين بنصركم الله إذ وعد بالنصر[2] هذا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار، والتمكّن من قتلهم وإذلالهم ، ليثبّت قلوبهم ويصحّح نيّاتهم[3]، فهذه السنة الإلهية هي نصرة المؤمنين المجاهدين في سبيل الله لذلك استخدمها الإمام علي عليه السلام مرات عديدة من اجل التعبئة للحرب والجهاد في سبيل الله .

وتشمل التعبئة ايضاً الدعوة الى التصدي واستنهاض الناس لمواجهة أعداء الله على وفق مقياس السنن التاريخية إذ قال عليه السلام :((الَا وإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا ونَهَاراً وسِرّاً وإِعْلَاناً وقُلْتُ لَكُمُ اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ فَو اللَّه مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا فَتَوَاكَلْتُمْ وتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الْغَارَاتُ ومُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الأَوْطَانُ))[4] وقد دعاهم الإمام عليه السلام السلام الى قتال أصحاب معاوية وأمثالهم في جميع الأزمنة والأوقات والأحوال ونبههم على القاعدة الكلية التي لا ريب فيها المعلومة بالتجربة والبرهان وهي المشار اليها بقوله :((فو الله ما غزي قوم في عقر دارهم الا ذلوا)) وكان السبب في لحوق الذل بمن غزي في داره هو الأوهام حيث توهمه بقوة العدو والضعف في نفسه[5] إذ يصيب القاعدين غير المبادرين في حرب الباطل الوهم والظن بالضعف

---

[1] التوبة/١٤.

[2] الطوسي ،التبيان ،١٨٤/٥.

[3] الكاشاني، زبدة التفاسير،٨٥/٣.

[4] نهج البلاغة ،ص٦٩.

[5] البحراني ،شرح نهج البلاغة ،٣٥/٣ ؛ شارح من القرن الثامن، شرح نهج البلاغة ،٣٤٤؛ حبيب الله الخوئي ،منهاج البراعة ،٨٣٣/٣.

بالضعف وعدم المقدرة على هزم العدو لذلك دعا عليه السلام وحث أصحابه الى القيام والمبادرة بالتصدي بذكر السنة التاريخية الثابتة لتعبئتهم واستنهاضهم وبث الاطمئنان في نفوسهم حتى تتحقق سنة النصر الإلهية بعد تخويفهم والتشديد عليهم .

٣.التوعية والتربية والتثقيف:

ومن أهم الأهداف التي يمكن أن نلمسها في طرح الإمام علي عليه السلام للسنة التاريخية هي التثقيف وبناء الإنسان بالحث على تنمية شخصيته وأسلوبه ومنهجه في كل زمان ومكان على قاعدة وبناء إيجابي يخضع للقواعد والثوابت ، إذ عمل عليه السلام على توعية وتربية المجتمع عبر تلك السنن حتى يتفهم الناس لها ويعتبر بها بعدم الوقوع في الاخطاء نفسها، لأنَّ السنن والقوانين التاريخية تقدم التجربة التي تمثل صفاتها من الثبات والاستمرارية وعدم التخلف وبذلك تدفع الفرد الى تقبلها والاخذ بها وعدم تحديها .

ومن ذلك اخذ امير المؤمنين عليه السلام يربي الإنسان والمجتمع على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال توعيتهم بالأثار الحتمية التي يتركها الاعراض عن هذه الامر فهو مُحدد وضابطة تترتب على تركها آثار خطيرة على المجتمع كما اكدها امير المؤمنين عليه السلام بقوله:((لَا تَتْرُكُوا الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ))[1] وهذه وصية عامة للمسلمين من أجل توعيتهم إذ أمرهم بملازمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

[1] نهج البلاغة ،ص٤٢٢.

حتى لا ينتشر المنكر ويتسلط الظالمين والاشرار ولا يستجاب دعاؤهم لتقصيرهم في دفع الطغاة [١]، وهذه الاهتمام والتربية بالأمر والنهي من اجل إيقاظ المجتمع من الغفلة والتراخي[٢].

ومن هنا دعا الإمام عليه السلام الى التعامل مع السنن، فإذا راعت الأمّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اصلح المجتمع وردت المظالم وبسط العدل فيها وكان هذا التثقيف حتى لا يولى عليهم شرارهم فكانت هذه التوعية لدفع الضرر بواسطة السنن التاريخية الثابتة الحتمية الحدوث والتثقيف على تحقيق شروطها لضمان جريانها.

فضلاً عن ذلك هناك جانب آخر ثقف له الإمام علي عليه السلام من خلال طرح السنن التاريخية وهو تربية المجتمع على تقوية علاقة الفرد بالله عز وجل عن طريق بيان ضابطة اخرى تجري بها السنن الإلهية وهي الطاعة لله إذ قال عليه السلام :((هَيْهَاتَ لَا يُخْدَعُ اللَّه عَنْ جَنَّتِه ولَا تُنَالُ مَرْضَاتُه إِلَّا بِطَاعَتِه))[٣] أي الطاعة الحقيقية الخالصة دون الظاهرة[٤] وذلك، لأَّن طاعة الله يجب أن تقدم عند المسلم في كل خطوة يقدم عليها لأنّ رضا الله في طاعته كما قال الإمام علي عليه السلام في ذلك :((ان الله تبارك وتعالى اقضى رضاه في طاعته فلا تستصغرن شيئاً من طاعته فربما وافق رضاه وانت لا تعلم))[٥].

[١] ينظر :البحراني ،شرح نهج البلاغة ،١٢٠/٥ ؛حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ،١٣٢/٢٠.
[٢] شمس الدين ،التاريخ وحركة التقدم البشري،ص١٢٧ .
[٣] نهج البلاغة ،ص١٨٨.
[٤] البحراني ،شرح نهج البلاغة ،٣/ ١٤٤.
[٥] الصدوق،الخصال،ص٢٠٩.

كذلك عمل الإمام عليه السلام على تقوية علاقة الفرد بالله سبحانه وتعالى عبر محدد آخر للسنن وهو الشكر والحمد لله سبحانه وتعالى إذ قال عليه السلام :((الْحَمْدُ لِلَّه الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ والنِّعَمَ بِالشُّكْرِ نَحْمَدُه عَلَى آلَائِه كَمَا نَحْمَدُه عَلَى بَلَائِه))[1] أي جعل الحمد والشكر سبباً لنعمته على الشاكرين كما جاء في قوله تعالى :((لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ))[2] وأيضاً جعل النعم سبباً لوجود الشكر :((فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ))[3] أي اعبدوه لكونه مستحقاً للعبادة لذاته واشكروا له أي لكونه سابق النعم بالخلق وواصلها بالرزق[4] إذن فالشكر يؤثر في زيادة النعم واستمرارها على الفرد الذي يجب عليه حمد الله حتى عند البلاء وأن يصبر ولا ينفر ويعمل للخلاص مهما استطاع ولا ييأس من رحمة الله وأن طال البلاء، ومن البديهي أن من عرف عظمة الله ووثق بحكمته يرضى بقضائه .

لقد هدف الإمام عليه السلام من تقوية العلاقة بين العبد وربه عبر الشكر لكي يستطيع تربية النفس البشرية على الحمد والشكر في أوقات الشدة والرخاء لما لها من آثار مهمه في بناء الإنسان.

فضلاً عن ذلك فقد حثّ الإمام عليه السلام على تربية الذات البشرية ولكن باستخدام ضابطة اخرى وهي التقوى في الكثير من المناسبات لما لها من آثار كبيرة على الإنسان في أمور الدنيا والاخرة فهي تقربه من الله لأنها لباس الإنسان المؤمن ومن ذلك قوله عليه السلام إذ قال :((واعْلَمُوا

[1] نهج البلاغة ،ص١٩٦.
[2] ابراهيم/٧.
[3] العنكبوت/١٧.
[4] الرازي ، تفسير الرازي ،٤٥/٢٥.

أَنَّه (مَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لَه مَخْرَجاً)[1] مِنَ الْفِتَنِ ونُوراً مِنَ الظُّلَمِ ويُخَلِّدْه فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُه ويُنْزِلْه مَنْزِلَ الْكَرَامَةِ عِنْدَه فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِه ظِلُّهَا عَرْشُه ونُورُهَا بَهْجَتُه وزُوَّارُهَا مَلَائِكَتُه ورُفَقَاؤُهَا رُسُلُه فَبَادِرُوا الْمَعَادَ وسَابِقُوا الآجَالَ))[2] إذ أن تقوى الله من اعظم الصفات التي يجب التحلي بها للتربية الذاتية لما تتركه في نفس الإنسان من اثر ايجابي.

وقد أكد الإمام عليه السلام على وفق ذلك في وصيته للإمام الحسن عليه السلام :((فأني اوصيك بتقوى الله اي بني ولزوم امره))[3] أي مراقبته في السر والعلانية وملازمة أمره بامتثاله والمسارعة في فعله[4] إذ أن العمل على تقوية العلاقة بين العبد وربة تؤثر في تربية الإنسان من خلال السنن التاريخية المشروطة بالتقوى التي هي مفتاح الاصلاح والخير.

وتنعكس قوة العلاقة ما بين الخالق والمخلوق على المجتمع الذي يؤدي فيه الفرد دوره كإنسان يؤثر ويتأثر بالواقع المحيط، وهذا الامر طرحه الإمام عليه السلام في فكره واكد عليها عبر تلك السنن التاريخية الحاكمة حينما قال عليه السلام :((مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَه أَصْلَحَ اللَّه عَلَانِيَتَه ومَنْ عَمِلَ لِدِينِه كَفَاه اللَّه أَمْرَ دُنْيَاه ومَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَه وبَيْنَ اللَّه أَحْسَنَ اللَّه مَا بَيْنَه وبَيْنَ النَّاسِ))[5] فصلاح باطن الإنسان وسرّه بالأخلاق الفاضلة معدّ لإفاضة اللَّه عليه صلاح أقواله وأفعاله الظاهرة لأنّها كالثمرات للباطن ، وكذلك عمل الإنسان لدينه وإقامته لحدود اللَّه معدّ لصلاح حاله في معاشه ومهيّئ لعواطف

[1] الطلاق/٦.
[2] نهج البلاغة ،ص٢٦٦.
[3] نهج البلاغة ،ص٣٩٢.
[4] الحسيني ، ديباج الوضي ،٢٢٧٩/٥.
[5] نهج البلاغة ،ص٥٥١.

الخلق عليه لاشتغاله باللَّه عن مجإذبتهم للدنيا وفي معناه الكلمة الثالثة فإنّ إخلاص العبودية للَّه وإصلاح معاملته قاطع عن محبّة الدنيا والحرص عليها الَّذي هو سبب الفساد بين الناس فكان معدّا لرفع الفساد ودفعه [1] .

ويشير النص الى العلاقة بين صلاح النفس وصلاح العلاقات الاجتماعية مع الناس ، وأن القدوة الصالحة تكامل للإنسان في نفسه كما هي تكامل في المجتمع الإنساني[2]، فالإمام عليه السلام هنا يدعو الى اصلاح النفس نحو الافضل من الداخل حتى يظهر بالشكل الحسن والكمال في الاعمال والافعال التي يقوم بها في المجتمع وبذلك يؤثر في عملية التغيير نحو الأفضل التي تعقبها نتائج إيجابية كبيرة ومهمة على مستوى الفرد نفسه والمجتمع الذي يعيش فيه لذلك حرص امير المؤمنين عليه السلام على بناء الإنسان من خلال طرح تلك القواعد والقوانين الثابتة المشروطة بالعمل من أجل الصلاح.

والى جانب ما ذكرناه فأن المحصلة النهائية للأهداف التي تؤكد عليها السنن التاريخية عند الإمام علي عليه السلام هي العبرة من أجل السير على الطريق الواضح والصحيح وتجنب الطريق المظلم لأن الأحداث محكومة بقوانين وقواعد ثابتة وهذه العبرة التي أشار اليها الإمام مشروطة بالوعي بالتاريخ نفسه وهذا ما قاله في وصيته للإمام الحسن عليه السلام التي مر ذكرها :((أَيْ بُنَيَّ إِنِّي وإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ وفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ وسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ

[1] البحراني ، شرح نهج البلاغة ،٤٤٨/٥.
[2] الحكيم، دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة ،١٢٩/٢.

مِنْ كَدَرِه ونَفْعَه مِنْ ضَرَرِه فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَه وتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَه وصَرَفْتُ عَنْكَ))[1] أي تحقيق العبرة والفائدة من تجارب الماضي ودون معاناة اعتماداً على السنة التاريخية والوصول لكل شيء بدون معاناه من جهد التجارب وذلك بمجرد السير والتفكر في أحوال الماضين[2]، إذ تحدث الإمام هنا عن التربية الفكرية للمجتمع من خلال التاريخ وقوانين المسيطرة عليه، فالتفكر يحقق العبرة ومن ثمة السنة التاريخية التي بني عليها المستقبل .

وقول الإمام عليه السلام هنا كان تأكيداً لقوله تعالى :((قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ))[3] فقد وجه الله سبحانه وتعالى أمة محمد صلى الله عليه واله وسلم الى تأمل احوال الماضين ليعد ذلك داعيا لهم في الايمان بالله ورسله والاعراض عن الرياسة وطلب الدنيا والمراد هنا سنن الله في المؤمنين والكافرين لأنَّ الدنيا لا تبقى مع مؤمن ولا مع كافر والتأمل في حال احد الطرفين يكفي للعبد [4]، وآثار الأمم السالفة فيها أعظم الاعتبار والاتعاظ، فهي دعوة الى تأمل أحداث التاريخ بنظر ثاقب وفكر فاحص وصولاً إلى العوامل التي كانت سبباً في تدهور المجتمعات وسقوط الحضارات أو نموها، وعلى الناس أن يحركوا عجلة عقولهم وينظروا في

[1] نهج البلاغة ،ص٣٩٤.

[2] الدخيل، شرح نهج البلاغة ،٢٥/٣.وينظر: حميد سراج جابر ،فلسفة التاريخ في فكر الإمام علي عليه السلام،ص٤٦.

[3] ال عمران /١٣٧.

[4] الرازي ،تفسير الرازي ،١٢/٩.

تاريخ من قبلهم حتى لا يكونوا كالقطيع التائه يسير بلا راع نحو المجهول وهي دعوة ذات منهج مرسوم من أجل الاستفادة من تجارب الحضارات السابقة ودراسة أسباب سقوطها[1].

ويتضح أن للتاريخ أهمية حيوية لكل أمة من الأمم لأنه يعكس الخصوصيات الأخلاقية والأعمال الصالحة وغير الصالحة والأفكار التي كانت سائدة في الأجيال السابقة، كما أن التاريخ مرآة الحياة الروحية والمعنوية للمجتمعات البشرية وهو لذلك خير مرشد محذر للأجيال القادمة[2].

إن من أهم الأهداف التي سعى الإمام عليه السلام اليها في ذكره للسنن التاريخية هي العبرة المشروطة بالتفكر للسير على الطريق الصحيح ومن ذلك قوله عليه السلام:((فاعتبِرُوا بِمَا أَصَابَ الأمم الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّه وصَوْلَاتِه ووَقَائِعِه ومَثُلَاتِه[3]))[4] ووجه الاعتبار أن يفكَّر العاقل في حال أولئك فيرى ما أصابهم إنّما هو بسبب استعدادهم بالاستكبار عن طاعة اللَّه والرفع على عباده فينتقل ذهنه منه إلى نفسه ويقيس حال استكباره على استكبارهم فيما يلزمه من أمثال العقوبات بهم[5].

وذهب الإمام علي عليه السلام إلى أبعد من ذلك عندما أشار إلى أن السنة التاريخية تنطبق على الجميع في كل مكان وزمان ولا تقتصر على تدمير الكافرين والمستكبرين ، بل تطال المؤمنين أيضا ، إذا لم يلتزموا عملياً بالمنهج الإلهي في الحياة، وإذا حادوا عن جادة الصواب وذلك حين

---

[1] مركز الرسالة ، دور العقيدة في بناء الإنسان ،ص٣٢.
[2] مكارم شيرازي ، التفسير الامثل ،٧٠٤/٢.
[3] مثلاته :عقوباته .ينظر :الجوهري ،الصحاح ،١٨١٦/٥ ؛الرازي ،مختار الصحاح ،ص٣١٥.
[4] نهج البلاغة ،ص٢٩٠.
[5] البحراني ،شرح نهج البلاغة ،٢٧٠/٤ . وينظر :شبر ،نخبة الشرحين ،١٣٩٨/٣.

تختلف الكلمة وتسود الفرقة[1]، وفي هذا الصدد يقول عليه السلام:((وتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْحِيصِ والْبَلَاءِ ....فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الأَمْلَاءُ[2] مُجْتَمِعَةً والأَهْوَاءُ مُؤْتَلِفَةً والْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً والأَيْدِي مُتَرَادِفَةً والسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً والْبَصَائِرُ نَافِذَةً والْعَزَائِمُ وَاحِدَةً أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً فِي أَقْطَارِ الأَرَضِينَ ومُلُوكاً عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ فَانْظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْه فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ وتَشَتَّتَتِ الأُلْفَةُ واخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ والأَفْئِدَةُ وتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ وتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ وقَدْ خَلَعَ اللَّه عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِه وبَقِيَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبَراً لِلْمُعْتَبِرِينَ))[3] أي أنظروا في أخبار من قبلكم من الأمم، كيف كانت حالهم في العز والملك لما كانت كلمتهم واحدة، والى ماذا آلت حالهم حين اختلفت كلمتهم فاحذروا أن تكونوا مثلهم ، وان يحل بكم إن اختلفتم مثل ما حل بهم[4]، فالمواقف التاريخية تكشف عن تلك السنن التاريخية التي مرت على الأمم السابقة، وتجنب الاختيارات والتجارب التي أدت إلى الانحطاط والانهيار[5] ويعطينا هذا الموقف الصورة الواضحة لمواجهة المستقبل في ضوء الدلالات المستخلصة من الماضي بحكم الاعتبار.

ويتضح من ذلك أن الاعتبار يتوقف على أمر مهم جداً وهو السير في الارض ومعرفة آثار الماضيين والتفكر والتأمل فيها والذي يكشف عن السنن الحاكمة وبالتالي استخراج الدروس والعبر وتسخير تلك السنن لصالح الفرد والمجتمع .

---

[1] مركز الرسالة ، دور العقيدة في بناء الإنسان ،ص٣٣.
[2] الاملاء: الجماعات . ينظر :الطريحي، مجمع البحرين ،٣٩٦/١ .
[3] نهج البلاغة ،ص٢٩٧.
[4] ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ،١٧١/١٣.
[5] شمس الدين ،التاريخ وحركة تقدم الإنسان ،ص١١٠.

الفصل الثاني

انواع السنن التاريخية ومحدداتها

المبحث الأول/ أنواع السنن التاريخية

من الطبيعي القول إن السنن التاريخية لم تأخذ شكلاً واحداً ونموذجاً محدداً في صياغتها القرآنية ، وإنما تنوعت بتنوع البيئة الزمانية والمكانية والحاجات البشرية ، ولكن بغض النظر عن ذلك التنوع فأن الغايات والأهداف واحدة ، ومن هنا كان نهج البلاغة ممثل لذلك التنوع فقد طرح الإمام علي عليه السلام ما يتناغم مع الطرح القرآني فيما يخص أنواع السنن التاريخية والحكمة منها ، ويمكن بيان تلك الأنواع بما يأتي:

أولاً. سنة الدين(الفطرة)[1] :تمثل سنة الدين أو الفطرة الإطار العام للسنن من جهة والإطار الخاص كسنة مستقله من جهة أخرى لاسيما وأنها جارية لا يخرج عنها الإنسان إلا باختياره، هي واحدة من القواعد والنواميس التاريخية الثابتة التي لا تتغير بل تستمر مطرده في كل زمان ومكان وتنطبق على جميع الأفراد والأمم ، فالفطرة الإنسانية ثابتة ولا يمكن القول إن الإنسان ولد ملحداً وليس لديه دين أو توجه للمعبود ، إذ أن الدين شمولي لكل المقامات والاتجاهات ، فهو قاعدة شاملة ليس لها حدود وكذلك هو مستمر ليس وليد عصر معين أو مدة زمنية محددة ، بل هو قاعده مستمرة لا يمكن للفرد أن يتحداها إلا على الشوط القصير[2] .

[1] الفطرة : وتعني في اللغة الابتداء والاختراع ، وهي أول حالات المخلوق التي يكون عليها في بدء وجوده ، وقال الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم :((كل مولود يولد على الفطرة))(ابن حنبل، مسند احمد ،٣٥٣/٣)، ومعناه كلُّ مولودٍ يُولد على معرفة الله تعالى والإقرار به فلا تَجِد أَحداً إلا وهو يُقِرّ بأَن له صانعاً ، وإن سَمَّاه بغير اسمه ، ولو عَبَدَ معه غيره .ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ،٥٦/٥_٥٩.

[2] الصدر ،السنن التاريخية في القران الكريم ،ص٩٧.

فهذه الصفات هي جميعاً صفات السنن التاريخية وبذلك فأن الدين سنة من سنن التاريخ وهو ما ذكره الله عز وجل في القران الكريم بقوله :((فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ))[1] ، إذ أمرهم بأن يوجهوا عبادتهم الى الله على استقامة وفطرة الله الاسلام، والمعنى خلق الله الخلق للتوحيد والاسلام وهذا الدين لا يتبدل لان الله امرهم به[2]، اي أن الوحدانية مترسخة فيهم لا تغيير لها حتى إن سألتهم من خلق السماوات والأرض يقولون الله [3] ، لأن الدين قائم عند الله ثابت على أساس هذه الفطرة لا يحول عنها ولا يزول[4] ، فالدين لا يمكن أن ينفك عن الإنسان مادام الإنسان إنساناً، فهو سنة إلهية تاريخية قائمه بذاتها تنطبق على جميع الخلق .

وقد وضح الإمام علي عليه السلام تلك الفطرة والسنة التاريخية حينما أشار الى عدم خلو الأرض من حجة سواء كان نبياً أو وصياً مبلغ للدين وموجاً من الله سبحانه وتعالى إذ أن استمراريه هؤلاء كمصاديق إلهية في الارض يدل على تلك السنة ومنها قوله عليه السلام في ذكره لاختيار الانبياء :((ولَمْ يُخْلِ اللَّه سُبْحَانَه خَلْقَه مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ[5] ، رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ ، ولَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ ، مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَه مَنْ بَعْدَه أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَه مَنْ قَبْلَه عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ ومَضَتِ الدُّهُورُ ، وسَلَفَتِ

[1] الروم/٨١.
[2] الطوسي، التبيان ،٣٤٨/٨.وينظر: الطبرسي ، مجمع البيان ،٥٩/٨.
[3] الرازي ، تفسير الرازي ،١٢٠/٢٥.
[4] مكارم شيرازي، التفسير الامثل، ٥١٩/١٢.
[5] محجة :الطريق .ينظر :ابن سيده ، المخصص ،٤٢/٣.

الآبَاءُ وخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ))[1] ، إذ إن الله سبحانه وتعالى لم يخل الارض من حجة قائمة ، فهي هداية من الله سبحانه إذ سبقت الناس فكان ادم نبياً ولم يكن معه احد ثم كثرت الذرية واستمرت الحجة الى يومنا هذا[2] ، فالهداية تارة تكون نبي أو وصي و تارة كتاب أو محجة قائمة وهي السنن والمعقولات الثابتة[3].

لقد أكد الإمام عليه السلام ذلك الاطراد في هذه السنة بإشارته الى جريانها عبر العصور والأزمان وعدم استثنائها لجيل من الأجيال، ونقصد بذلك ما تقدم من قوله عليه السلام :((عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ ومَضَتِ الدُّهُورُ ، وسَلَفَتِ الآبَاءُ وخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ)) وهذه طريقة الله وسنته فأنه سبحانه عندما يرسل رسولاً أو نبياً يأتي بعده آخر وهكذا[4]، فقد اقتضت سنة الله هداية الناس وارشادهم عن طريق الحجج الذين يبينون فطرة الله للخلق كما قال عليه السلام :((لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِه))[5]اي يطلب الأنبياء والأوصياء من الناس العمل والأداء بموجب ميثاق الفطرة التي التي هي التوحيد والدين، إذ أن الهداية هي مظهر من مظاهر الدين وتكليف يكلف به النبي أو الوصي وهو ما اكده الإمام الصادق عليه السلام بقوله :((والله ما ترك الله ارضا منذ قبض الله

[1] نهج البلاغة ،ص٤٣.
[2] الموسوي ، شرح نهج البلاغة ،٤٥/١.
[3] الرواندي ، منهاج البراعة ،٧٧/١.
[4] الموسوي ، شرح نهج البلاغة ،٤٥/١.
[5] نهج البلاغة ، ص٤٤.

ادم إلا فيها يهتدي به الى الله وهو حجة على عباده ولا يبقي الأرض بغير امام حجة الله على عباده))[1]، إذن فالأرض لم تخل من حجة بفعل سنة الدين الثابتة المطردة .

وبين الإمام علي عليه السلام فلسفة وجود الحجة أو القائم في الارض بقوله :((اللَّهُمَّ بَلَى لَا تَخْلُو الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّه بِحُجَّةٍ إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً وإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّه وبَيِّنَاتُه))[2] وقد حاول ابن ابي الحديد توجيه هذا الكلام أعتزالياً وتأويله بما يوافق اعتقاده وذلك بصرف تلك الحجية عن ائمة أهل البيت عليهم السلام ،إذ قال: إن المقصود هو عدم خلو الزمان ممن هو مهيمن لله تعالى على عباده، ومسيطر عليهم، وهذا يكاد يكون تصريحا بمذهب الأمامية ، إلا أن أصحابنا يحملونه على أن المراد به الابدال الذين وردت الاخبار النبوية عنهم أنهم في الأرض سائحون، فمنهم من يعرف، ومنهم من لا يعرف، وإنهم لا يموتون حتى يودعوا السر ، وهو العرفان عند قوم آخرين يقومون مقامهم[3]، ولكن من المعلوم ان الأنبياء من القائمين

---

[1] الكليني ، الكافي ،١٧٩/١؛ الفيض الكاشاني ،الوافي ،٦٤/٢.

[2] نهج البلاغة ،ص٤٩٧. ومن هنا اخذ الشيعة الأمامية عقيدتهم و رأيهم بالإمامة إذ اتفق أهل الإمامة على أنه لا بد في كل زمان من إمام موجود يحتج الله عز وجل به على عباده المكلفين ، ويكون بوجوده تمام المصلحة في الدين، كما توكد الأمامية أن الإمامة واجبه وان الارض لا تخلو من حجة ،والإمامة عندهم عهد من الله الى الائمة إذ لا تثبت مع عدم المعجز لصاحبها إلا بالنص على عينه والتوقيف وتستدل على ذلك بقول الإمام الصادق عليه السلام :((أترون الموصي منا يوصي إلى من يريد ؟ ! لا والله ولكن عهد من الله ورسوله صلى الله عليه وآله لرجل فرجل حتى ينتهي الامر إلى صاحبه))(الكليني ،الكافي ،٢٧٨/١).ينظر : الكليني ،الكافي ،١٧٨/١؛ المفيد، اوائل المقالات،ص٤٠.

[3] شرح نهج البلاغة ،٣٥١/١٨. أما عن عقيدة وفكر المعتزلة بالإمامة فهو يختلف عن الأمامية إذ يرون إن الإمامة واجبه في المجتمع الإنساني لأنه بحاجة الى الحكام لإقامة العدل بين الناس إلا أن وجوبها ليس شرعيا وإنما نابع من حاجة المجتمع اليها ،اذ جاز عندهم خلو أزمان كثيرة من امام ، وقد اتفق المعتزلة على ان تمييز الإمام وتنصيبه يكون بالاختيار والبيعة له من الامة وليس بالنص انطلاقاً من تبنيهم مبدأ الشورى والاختيار .ينظر : الجاحظ ، رسائل الجاحظ ،١٦١/١؛ المفيد ، اوائل المقالات ، ص٤٠ .

لله بحجة بلا خلاف، فلابد أن يراد بالحجة الأنبياء ومن كان بمنزلتهم من أوصيائهم ولم يكن بعد نبينا صلى الله عليه واله وسلم من يكون مثله في العصمة ومن يقوم بالحجة سوى الأئمة الاثني عشر عليهم السلام بأجماع الامة[1] .

لذا قيل أن الله سبحانه يحفظ الدين بهؤلاء الحجج ويستقر الدين ولا يندثر فهم مكلفين بهذا الامر المستمر وهو تصريح من الإمام عليه السلام بوجوب الإمامة بين الناس في كل زمان ما دام التكليف باقيا وإن الإمام قائم بحجة الله على خلقه أما إن يكون ظاهراً مشهوراً أو يكون خائفاً مستوراً لكثره اعدائه[2] .

إن الاهتداء الى جادة الصواب تتطلب وجود الإمام الذي هو منار طريق الحق وهو ما نفهمه من قول الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم :((من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميته جاهلية))[3] ، إذ أن وجود امام الزمان هو جريان لسنة الله وفطرته في الخلق التي لا تتغير ولا تتبدل.

ولعل التشريعات المرتبطة بالدين تمثل مظهراً من مظاهر تلك الحاكمية ليس من الجانب العملي فحسب بل لأنها كاشفة عن ذلك جريان السنة واستحقاق العقوبات من جهة وتحصيل الثواب والجنة من جهة اخرى وهذا ما يفسر قول الإمام عليه السلام:((الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ أَدُّوهَا

[1] التستري ، بهج الصباغة ،٥٢٠/٢.

[2] البحراني ، شرح نهج البلاغة ،٣٢٦/٥.

[3] الكليني ، الكافي ،٣٧٦/١ ؛ الصدوق، كمال الدين واتمام النعمة ، ص٤٠٩ ؛ الطوسي ،الرسائل العشر ،ص٣١٧ ؛ ابن شهر اشوب ،مناقب ال ابي طالب ،٢١٢/١.

إِلَى اللَّه تُؤَدِّكُمْ إِلَى الجنة))[1]، والفرائض هنا كلمة جامعة مانعة تترجم بالطاعة الى سبحانه وتعالى وتنفيذ أوامره.

ثانياً: سنة الابتلاء :وهي القاعدة التاريخية الثابتة المطردة ، التي تكون بموجبها حركة الإنسان بما تتضمنه من انشطة وممارسات، اختباراً للإنسان وتمحيصاً له، فهي سنة الله في خلقه تجري على الأمم والأفراد في كل زمان ومكان لأنها قانون إلهي أجراه الله على خلقه[2]، والبلاء والابتلاء يلتقيان في معنى الاختبار والامتحان [3]، والاختبارات على مستويات ثلاثة، أقلها المصائب والصعوبات التي تعترض الإنسان كفقد الاعزاء والأحباء أو المرض والفقر والجوع والأذى والألم ،وأعلى منها امتحان الصبر على اجتناب المحرمات، وترك الشبهات والورع عنها، وعدم التسامح فيها، وأعلى منها اختبار الصبر على الطاعة، والمداومة عليها، وتكريس النفس لها، وعدم التقصير فيها، وهذه أرقى الدرجات[4]، وقد يكون البلاء حسناً أو سيئاً[5] كما في قوله تعالى :((وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً))[6] وقد أشار القران الكريم الى هذه السنة التاريخية في موضع آخر

[1] نهج البلاغة ،ص٢٤٢.

[2] محمد اسماعيل ابوسخيل ،الابعاد التربوية لسنة الابتلاء ،ص١٣.ينظر:مكتبة الروضة الحيدرية ،الابتلاء والاختبار في نهج البلاغة ،ص٥.

[3] ابن منظور ،لسان العرب، ٨٤/١٤ .وقد ورد لفظ الامتحان في احاديث ائمة اهل البيت عليهم السلام ، إذ قال الإمام الصادق عليه السلام :((امتحنوا شيعتنا عند ثلاث : عند مواقيت الصلاة كيف محافظتهم عليها ، وعند أسرارهم كيف حفظهم لها عند عدونا ، وإلى أموالهم كيف مواساتهم لإخوانهم فيها)) .ينظر : الصدوق، الخصال ،ص١٠٣؛ الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ،ص٢٩٣ ؛ الطبرسي ،مشكاة الانوار ،ص١٥٠.

[4] الشيخ محمد اليعقوبي ، الاسوة الحسنة ، ص١٣٥.

[5] القرطبي ، الجامع الاحكام القران ،٢٦٣/١.

[6] الانبياء /٣٥.

في قوله تعالى (وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ[1] مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ))[2] فسنة الله جرت على عموم الناس من ابتلاء وتمحيص وهي واقعه بكم وبهم لا محاله[3].

هذه السنة التاريخية لم تكن غائبة في طرح الإمام علي عليه السلام، بل وردت بصياغات مختلفة في نهج البلاغة، إذ أكد عليها وذكرها كقانون يسري على جميع خلق الله وإن الدنيا هي دار البلاء التي يمتحن فيها الإنسان كما جاء في قوله عليه السلام :((وأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللَّه عَلَيْه مِنَ النَّعْمَاءِ والِابْتِلَاءِ والْجَزَاءِ فِي الْمَعَادِ))[4] أي إن الدنيا لا تسير ولا تستمر إلا بوجود الابتلاء والنعماء والخير والشر حتى تستقر ويكون هناك توازن ، فالابتلاء ظاهرة عامه لا يستثني منها احد وقد قيل في ذلك :(إن الدنيا تتراوح بين الخير والشر كما شاء الله فأن شاء لها ذلك ولا يمكن التخلف عن مشيئته تعالى)[5] ، لأن القانون الالهي الالهي ثابت مطرد لا يمكن أن يقاوم فهو ينطبق على الجميع والابتلاء خير مثال على ذلك.

ولم يكتف الإمام علي عليه السلام بالمفهوم العام لسنة الابتلاء بل نجده يفصل و يجزئ ذلك البلاء بقوله :((دارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ وبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا ولَا يَسْلَمُ نُزَّالُهَا أَحْوَالٌ

---

[1] التمحيص :الابتلاء والاختبار ومنه محص الشيء اي يخلصه مما يشوبه .ينظر : ابن سيدة ،المخصص ،٣٢٧/٣؛ ابن منظور لسان العرب ،٩/٧ ؛ الطريحي ،مجمع البحرين ،١٨١/٤ . وقال الراغب ان أصل المحص : تخليص الشيء مما فيه من عيب .ينظر: مفردات الفاظ القران ،ص٧٦١.

[2] ال عمران /١٥٤.

[3] الطباطبائي ، تفسير الميزان ،٤٩/٤.

[4] نهج البلاغة ، ص٣٩٥.

[5] الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ،٥٤/٤.

مُخْتَلِفَةٌ وتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ والأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ))[1] ومعناه إن الدنيا دار حفت وأحيطت بالبلاء[2]، فهذا البلاء الذي يحيط بالدنيا والواقع لا محاله لم يكن عبث أو صدفه بل بني على حكمة وفلسفة إلهية اريد فيها عدة أمور وجهها الإمام علي عليه السلام في خطابة ومنها:

١_التوبة والرجوع الى الله سبحانه وتعالى لمعرفة سبب الابتلاء وعدم ارتكاب المعاصي مره أخرى والخضوع والطاعة الى الله سبحانه وتعالى وقد أكد ذلك امير المؤمنين عليه السلام بقوله :((إِنَّ اللَّه يَبْتَلِي عِبَادَه عِنْدَ الأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ وحَبْسِ الْبَرَكَاتِ وإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ لِيَتُوبَ تَائِبٌ ويُقْلِعَ مُقْلِعٌ ويَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ ويَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ))[3] إذ بين عليه السلام غايه الله عز وجل من ذلك حتى يبتعدوا عن الذنوب والمعاصي ومنعهم من الضلالة وإن الله يتقبل التوبة الصادقة من العبد، فالإنسان إذا غمرته السعادة الدنيوية أعرض عن ذكر الله ونسى ما قدمت يداه وإذا مسه الضر من نقص الثمرات وحبس البركات لم يجد ملجأ سوى الله فيتوب اليه ويدعوه ويتقرب الى الله بخضوع وخشوع فيكون ذلك من اسباب هدايته [4] .

والابتلاء هنا ليس عقاباً وجزاءً ، بل اختباراً وامتحاناً لهم حتى تظهر الأفعال التي يستحق بها الإنسان الثواب والعقاب، لأنَّ الدنيا دار اختبار وليس دار جزاء، فالابتلاء قانون مطرد يصيب من أساء ومن أحسن[5]، إذ أن الائمة عليهم السلام والمؤمنين واحباب الله هم اكثر

---

[1] نهج البلاغة، ص٣٩٤.
[2] الراوندي ، منهاج البراعة ،٣٩٩/٢ . وينظر : حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ،٣٢٤/١٤.
[3] نهج البلاغة ، ص١٩٩.
[4] البيهقي ، معارج نهج البلاغة ،ص٥١٥ .وينظر: الكيذري البيهقي ، حدائق الحقائق ،٦٣٠/١.
[5] ينظر :مغنيه، في ظلال نهج البلاغة ، ٣١٦/٢.

الناس بلاءً كما قال الإمام الصادق عليه السلام :((وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضى ، ومن سخط فله السخط))[1] ويظهر هنا أن فلسفة الابتلاء وغايته من أجل التوجيه والإرشاد ولا يمكن أن يكون عقاب ابداً وهو ما أكده الإمام علي عليه السلام حينما قال :((إن البلاء للظالم أدب، وللمؤمن امتحان، وللأنبياء درجة، وللأولياء كرامة))[2].

٢_ الابتلاء معيار للثواب والعقاب إذ أن الثواب يأتي على قدر استحقاق الاجر ومنزلة العمل وقد أشار الإمام عليه السلام الى ذلك بقوله :((إِنَّ اللَّه سُبْحَانَه قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا وابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا))[3] أي اختبر في الدنيا أهلها ليعلم أيهم أحسن عملا ، يعني كلف أهل الدنيا من العقلاء فيها ليظهر العلم للملائكة ولغيرهم، وليعلم رسل اللَّه ذلك، وإلا فاللَّه تعالى عالم لذاته يعلم الأشياء قبل وجودها[4]، وهنا أكد الإمام إن الاعمال هي التي تبقى ويحاسب عليها الفرد وأن الإنسان سيلاقي العذاب لسوء اعماله وفيه تحذير وموعظة للناس لأنَّ الاختبار سيبين الصالح من الاعمال والطالح منها وهو مصداق لقوله تعالى :((لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ

[1] الصنعاني ،المصنف ،١٩٧/١١؛ ابن حنبل ،مسند احمد ،٤٢٧/٥؛ ابن ماجة ، سنن ابن ماجه ،١٣٣٨/٢ ؛ الترمذي ،سنن الترمذي ،٢٧/٤.

[2] المجلسي ، بحار الانوار ،٦٤ /٢٣٥ ، الطبرسي ،مستدرك الوسائل ،٤٣٧/٢. ويترجم ذلك القول السيدة فاطمة الصغرى مخاطبة اهل الكوفة :((يا أهل الكوفة ، يا أهل المكر والغدر والخيلاء ، إنا أهل بيت ابتلانا الله بكم ، وابتلاكم بنا))(الطبرسي ،الاحتجاج ،٢٧/٢ ؛ابن طاووس ،اللهوف في قتلى الطفوف ،ص٨٩).ومفردة الابتلاء وإن استعملتها السيدة فاطمة عليها السلام نفسها في كلا الاتجاهين الا ان مضمونها مختلف بين ابتلاء اهل البيت عليهم السلام بالأمة عن أبتلاء الأمة بأئمتها .

[3] نهج البلاغة ،ص٤٤٦.

[4] الراوندي ، منهاج البراعة ،٢١٣/٣ .

عَمَلًا))[1]فهذا بيان الاختبار الناس وامتحانهم في صوره استفهام والمراد أن الله خلق السماوات لغاية امتحانكم وتميز المحسنين منكم من المسيئين[2] لان أوقات الشدة تظهر معادن النفوس وطبائع القلوب ودرجة الصبر والثقة بالله تعالى والتسليم المطلق له سبحانه وبذلك يتميز العمل الصالح من الطالح.

٣_ دفع الاستكبار وترسيخ التواضع في قلوبهم وهي حكمة ربانية بابتلاء الخلق بأنواع الشدائد من أجل درئ التكبر وحثهم على التواضع حتى تنفتح أبواب الرحمة عليهم لان غايه الابتلاء هو الرضا بقضاء الله والصبر عليه، فالابتلاء يصقل الشخصية، ويُظهر معدنها الأصيل ،كما أن النار تفتن المعادن وتنقيها من الشوائب، وتظهر النقي فكذلك الابتلاء يظهر النقائص في الشخص حتى يسعى نحو علاجها على وفق السنن الإلهية، فضلاً عن كونها ترفع درجات المبتلى حينما ينجح فيها[3]، لذا نجد الإمام عليه السلام يقول بهذه الشأن :((ولَكِنَّ اللَّه يَخْتَبِرُ عِبَادَه بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ ويَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ ويَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ[4] إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ وإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ ولِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَى فَضْلِه وأَسْبَاباً ذُلُلًا لِعَفْوِه))[5] إذ يمتحنهم بأنواع المشاق العظيمة وبما يكرهون من أجل اخراج العظمة والكبر من قلوبهم[6]، لأنَّ البلايا والمشاق تظهر التحمل والصبر والطاعة لله تعالى وتشعر الإنسان بأنه ضعيف لا يقدر على

[1] هود/٧.
[2] الطباطبائي، الميزان،١٥/١٥١.
[3] الشيخ محمد اليعقوبي، الاسوة الحسنة ،ص١٣٥.
[4] المكاره : المشقة وهو جمع ما يكرهه الإنسان . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ،١٣/٥٣٥.
[5] نهج البلاغة، ص٢٩٤.
[6] الحسيني، ديباج الوضي ،٤/٢١٩.

شيء في مواجهة المصاعب إلا بالاستعانة بالله عز وجل وبذلك يدخل التواضع والذلة في قلبه وينفى التكبر من داخل نفس الإنسان كما أكد عليه الإمام عليه السلام في الموضع نفسه بقوله :((ولَكِنَّ اللَّه سُبْحَانَه يَبْتَلِي خَلْقَه بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَه تَمْيِيزاً بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ ونَفْياً لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ وإِبْعَاداً لِلْخُيَلَاءِ[1] مِنْهُم)) [2].

يعني أنه سبحانه يكلفهم بأحكام لا يعلمون سرها والغرض منها ليميز المنقاد من المتمرد والمتذلل من المستكبر[3] لأن العبادات خضوع وخشوع وذلة، ففيها نفى الخيلاء والتكبر عن فاعليها [4]، فمن خلال تلك الابتلاءات يعرف الصواب ويخضع لله تعالى ولا يتكبر ويعتبر بحال الماضين المتكبرون ومنهم ابليس وهو ما حذر منه الإمام عليه السلام .

٤_الموازنة في التعامل مع المصائب والمصاعب وعدم التهاون معها على اساس صغرها وكبرها أو تعظيمها بسبب طبيعة الإنسان، فأن ذلك مراعاة لتجدد الابتلاء ، إذ يقول عليه السلام :((مَنْ عَظَّمَ صِغَارَ الْمَصَائِبِ ابْتَلَاه اللَّه بِكِبَارِهَا))[5].

٥–في المحصلة النهائية فأن الهدف الأسمى من الاختبار والبلاء هو تربية الإنسان واخراج الطاقات الكامنة فيه حتى يتكامل وتبنى شخصيته لكي يشق طريقه نحو الحياة ولا يخشى

[1] الخيلاء :التكبر .ينظر: ابن سيدة ، المخصص ،٦٧/٥.
[2] نهج البلاغة ، ص ٢٨٧.
[3] حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ،٢٧٤/١١.
[4] ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،١٣٣/١٣.
[5] نهج البلاغة، ص٥٥٥.

مصاعبها[1] لأنَّ سنة الابتلاء في حقيقتها ظاهرة صحية تحافظ على كينونة الإنسان وما خلق من أجله فأن دراك حقيقة الابتلاء تجعل من هذا الإنسان مالكاً لهذه الدنيا وليس مملوكاً لها [2] .

فضلاً عما ما تقدم فأن كل البلايا التي تنزل بالخلق وتجري عليهم هي فيها موعظة للمخلوق للاتعاظ والركون الى عقله ورشده وأخذ العبرة منها حتى لا يقع في الخطايا مرة ثانية ويبتعد عنها وهذا ما يفسر قول الإمام علي عليه السلام :((ومنْ لَمْ يَنْفَعْه اللَّه بِالْبَلَاءِ والتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ وأَتَاه التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِه))[3] لأنّ تأثير البلاء والتّجارب في النفس أشدّ وأقوى من تأثير النصح والموعظة، فالموعظة إحالة على الغائب، والبلية والتجربة مدركة بالحسّ فمن لا ينفعه الأقوى لا ينفعه الأضعف[4].

ولعل بيان فلسفة الابتلاء تناغم وتكامل مع بيان صور تلك الابتلاءات التي جسدها الإمام عليه السلام بمفاهيم ومظاهر عدة وأولها الفرائض، إذ ابتلى الله عز وجل البشر بالفرائض من أجل اختبار الإنسان ومدى قدرته على التحمل والصبر ومنها فريضة الصوم فقد قال الإمام عليه السلام :((فرض الله الصِّيَامَ ابْتِلَاءً لإِخْلَاصِ الْخَلْقِ))[5] ومن هذه الفرائض أيضاً الحج ، إذ قال الإمام علي عليه السلام فيه :((لَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّه سُبْحَانَه اخْتَبَرَ الأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى الآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ ولَا تَنْفَعُ ولَا تُبْصِرُ ولَا تَسْمَعُ فَجَعَلَهَا بَيْتَه الْحَرَامَ الَّذِي

[1] ينظر: الحيدري ، حقيقة البلاء وحتميته ، ص٢٠.
[2] محمد اسماعيل ابو سخيل ،الابعاد التربوية لسنة الابتلاء في ضوء الفكر الاسلامي ،ص١٧ .
[3] نهج البلاغة، ص٢٥٤.
[4] حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ،٢٢٤/١٠.
[5] نهج البلاغة، ص٥١٢.

جَعَلَه لِلنَّاسِ قِيَاماً ثُمَّ وَضَعَه بِأَوْعَرِ[1] بِقَاعِ الأَرْضِ حَجَراً .....ابْتِلَاءً عَظِيماً وامْتِحَاناً شَدِيداً واخْتِبَاراً مُبِيناً وتَمْحِيصاً بَلِيغاً جَعَلَه اللَّه سَبَباً لِرَحْمَتِه ووُصْلَةً إِلَى جَنَّتِه))[2] ، فالحجارة التي لا تضر ولا تنفع وموضعها في الصحراء بأوعر بقاع العالم، فهو امتحان عظيم واختبار لأحتمال المشاقّ الكثيرة المتعبة في الأسفار من المسافات البعيدة وترك مفاخر الدنيا حتى يتبين المطيع من العاصي وجعله سبباً لرحمته وطريق الى جنته [3]، فمن خلال تلك العبادات يختبر الله عباده إذ يترتب على النجاح في أداء هذه الفرائض آثار ايجابية مادية ومعنوية يقطف ثمارها الإنسان من تطهير القلب والاخلاص في النية والرجوع الى الله وعدم التكبر لذلك بين الإمام عليه السلام هذه العبادات ، فهي ليست سنن وإنما هي واحدة من عدة اختبارات في سنة الابتلاء التاريخية[4] .

ومن المظاهر الاخرى للابتلاء هي ضيق العيش أو سعة الرزق، فمن الابتلاءات التي يبتلي بها الإنسان هي صعوبة او وفرة الرزق ، وهذه من أقسى الاختبارات على بني البشر لقياس مدى طاعتهم لله عز وجل ليتبين الساخط برزقه والراضي بقسمته، إذ قال الإمام علي عليه السلام:((قَدَّرَ الأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وقَلَّلَهَا وقَسَّمَهَا عَلَى الضِّيقِ والسَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا ومَعْسُورِهَا ولِيَخْتَبِرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ والصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا و فَقِيرِهَا))[5] أي إن قله العيش ابتلاء ابتلاء للناس ومقياس للتحمل والصبر وعدم الاعتراض على حكمة الله ، كذلك سعه الرزق فهي

[1] الوعر: المكانُ ذو الوُعُورَةِ ضدّ السَّهْل . ينظر :ابن منظور، لسان العرب ، ٢٨٥/٥؛ الفيروز ابادي ،القاموس المحيط .١٤٥/٢.

[2] نهج البلاغة، ص٢٩٣.

[3] ينظر :البحراني ، شرح نهج البلاغة ،٢٨١/٤ ؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة ،٣١٦/٣

[4] ينظر : حميد سراج جابر ، فلسفة الاحكام في نهج البلاغة ،ص٨٢.

[5] نهج البلاغة، ص١٣٤.

قياس ايضاً للشكر وعدم التكبر وصيانه هذه النعمة وإعطاء المستحقين منها وعدم تبذيرها وأنفاقها في موردها .

وتعد الفتن[1] من أشد البلايا على الإنسان إذ تختلط فيها الامور على المخلوق في تشخيص الحق من الباطل، وهذا الاختلاط إنما يعود بالأساس الى طبيعة ثقافة المبتلى واتصاله بالله سبحانه ، وهو ما أشار إليه الإمام علي عليه السلام بقوله:((إِنَّ الْفِتَنَ إذا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ وإذا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ ويُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ يَحُمْنَ حَوْمَ الرِّيَاحِ يُصِبْنَ بَلَداً ويُخْطِئْنَ بَلَداً أَلَا وإِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ[2] فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ عَمَّتْ خُطَّتُهَا وخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا وأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا وأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا))[3] إذ تكون في مبدأها متشبّهة بالحقّ في إذهان الخلق وإذا أدبرت نبّهت لأذهان الخلق على كونها فتنة بعد وقوع الهرج والمرج +بين الناس واضطراب أمورهم بسببها وأكثر ما يكون ذلك عند إدبارها ، كالفساد في الدول مثلا الَّذي

[1] الفتن: جِماعُ معنى الابتلاء والامْتِحانُ والاختبار وقيل انها : الضلال، والذي يفتن هو المخادع الذي يزين المعاصي وهذه المعاني هي التي نقصدها في طرحنا هذا. ينظر: الجوهري ،الصحاح ، ٢١٧٦/٦؛ ابن منظور ، لسان العرب، ٣١٧/١٣ .

[2] فتنة بني امية : يقصد بها ما قام به بني امية من ثورات وحروب في عهد الإمام علي السلام مثل وقعه الجمل وحروب صفين واشعال فتيل موقعه النهروان حتى بثوا بذور النفاق والفرقة والشقاق في صفوف الامة الاسلامية الى ان تولوا الحكم ،إذ كانت حكومة بني امية من اعظم وأعقد الفتن التي عصفت بالمسلمين منذ انبثاق الدعوة الاسلامية اذ قلبت الحضارة الاسلامية رأساً على عقب وصبغت الحكومة الاسلامية بصيغة الاستبداد والتسلط والغطرسة ،فقد استمرت لأكثر من ثمانين عام قاموا بأعظم الفتن فيها ومنها هتكهم حرمة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلَّم وقتل الإمام الحسين عليه السّلام وذريّته ، وهتك حرمة الإسلام بهدم الكعبة وحرقها ، وسبّ الإمام علي عليه السّلام ثمانين سنة ، وما انتشر من البلاء بتوليتهم الحجاج و إراقت دماء المسلمين ، فقد كانت فتنة عامه شاملة ولكن حظ أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم من بليتها أعظم ، ونصيبهم فيها أوفر. ينظر : ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،٥٣/٧ ؛ البحراني، شرح نهج البلاغة ،٣٩٢/٢؛ حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ،٨٨/٧؛ مكارم شيرازي، نفحات الولاية ،١٤٤/٤ .

[3] نهج البلاغة، ص١٣٨.

يعرف به عامّه الخلق كونها فتنة وضلالا عن سبيل اللَّه أكثر ما يكون في آخرها فيكون مؤذنا بزوالها وعلامة مبشّرة [1].

ولعل شكل هذه الفتن وتكاملها إنما يقوم على طبيعة تنميقها وزخرفتها وإعدادها بشكل مغرٍ ويستدرج الناس ، فلأنها فتنة فهي غامضة لا يرى منها سوى الظاهر الخداع، لذا فأن الشيخ ناصر مكارم شيرازي يقول: إن الفتن مجهولة عند الاقبال لان اصحاب الفتن يحاولون تنميق ظاهرهم لإخفاء صورتهم الكريهة بإطار الحق ليستقطبوا الناس اليهم وعلى أهل الحق الحيطة والحذر من هذه الفتن ومن أبرزها التي امتحن بها اهل البيت عليهم السلام هي فتنة بني اميه لأنها تتجاوز كل القيم والمفاهيم والمثل والاشخاص دون الالتفات الى سوابقهم ومواقفهم[2].

وقد شخص الشارحون من يسقط بالفتنة ،إذ قال بعضهم : ان البلاء هو الاثم ويصيب العالم بارتكابهم المنكر إذ لم ينكر ، والجاهل بذلك لا إثم عليه إذا لم ينههم عن المنكر لأنَّ من لا يعلم المنكر منكراً لا يلزمه إنكاره [3]، ويتضح من هذا الفهم أن البلاء فقط معنوي لا مادي ويتمثل بالإثم إذ لم ينكر الفتنة من يعلم بها وهذه الامر بعيد ولا يتطابق مع ما أصاب أهل البيت عليهم السلام من آذى بعد رفضهم ومعارضتهم لبني امية، فالبلاء يكون عاماً شاملاً ولا يكتفي بالآثم، وهذا ما أكده الشارح محمد جواد مغنية ،إذ قال : ان أهل العلم والاخلاص يصيبهم من عدوانها السهم الأوفر لصدقهم ومعارضتهم، ويشاهدون المنكر هنا وهناك، ولا يملكون من أمره وأمرهم شيئا، وأخطأ البلاء من عمي عنها وبارك فيها سواء كان عن جهل وعمي أو عن قصد

[1] البحراني ، شرح نهج البلاغة ،٣٩١/٢.وينظر: حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة ،٧٨/٧.
[2] نفحات الولاية ،١٤٢/٤.
[3] ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،٥٣/٧.

وطمع[1]، فهي ابتلاء للصادقين المعارضين لها لذلك سميت الفتنة امتحاناً واختباراً لأنَّ فيها يختبر الشجاع والجبان والجازع والصابر[2].

غير أن طرق التصدي والتعامل مع الابتلاء لا تخرج عن نطاق عملي علمي حدده الإمام علي عليه السلام بتوصيات هادفه تتلاءم مع طبيعة الطرح الاسلامي، وأول تلك الوصايا هي الحث على الدعاء فهو وسيلة التصدي المثلى للبلاء وهو ما جسده الإمام عليه السلام بقوله :((ادْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالدُّعَاءِ))[3]، فالبلاء مهما كان عظيماً وقريب الوقوع فانه يدفع بالدعاء والالتجاء الى الله سبحانه وتعالى لان المخلوق في الدعاء يسلم أمره الى الله وبذلك يتم دفعه بقدرة الله، وقد اكد الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام ذلك بقوله :((إن الدعاء والبلاء ليترافقان إلى يوم القيامة ، إن الدعاء ليرد البلاء وقد ابرم إبراما))[4] فهنا تأكيد وإبرام مطلق من المعصوم على اهميه الدعاء والتخلص من البلايا بواسطته، والدعاء هنا لا يتعارض مع القدر بل يرده كما قال النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم :((لا يرد القضاء إلا الدعاء))[5] ، فالإنسان يستطيع تغيير مصيره بالأعمال الصالحة ومنها الدعاء الخالص الذي لا تشوبه شائبه لله.

ومن الحلول التي طرحها الإمام عليه السلام لمقاومه البلاء والخلاص منه هو الصبر على الامتحان حتى يتخلص منه وينال الظفر ، وهو ما نفهمه من قوله عليه السلام

---

[1] في ظلال نهج البلاغة ،٥٨/٢.

[2] البيهقي ، معارج نهج البلاغة ،ص٤٣٤.وينظر: الكيذري البيهقي ، حدائق الحقائق ،٤٨٧/١ .

[3] نهج البلاغة، ص٤٩٦.

[4] الكليني، الكافي ،٤٦٩/٢؛ الفيض الكاشاني، الوافي، ١٤٧٧/٢؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة ،٣٦/٧.

[5] الترمذي، سنن الترمذي، ٣٠٣/٣ ؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك ،٤٩٣/١.

:((وإِنِ ابْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ))[1] فالصبر على البلوى يترك اثراً مهماً يتمثل بدفع البلاء والخلاص منه، إذ إن الصبر الذي أشار إليه الإمام علي عليه السلام يتمثل بالعمل للخلاص ولا يتذمر ولا ييأس من روح اللّه وان طال البلاء إذ يستمر بأداء العبادات وعدم الانحراف وشكر الله والدعاء اليه وغيرها من الاعمال الصالحة التي توجب الجزاء والظفر .

وكذلك الحال بالنسبة للشكر فهو وسيلة المبتلى بحمد الله تعالى والثناء عليه والتسليم لأمره إذ حدد الإمام عليه السلام ذلك ورتب عليها أثراً بقوله :((حَمْدُ لِلَّه الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ والنِّعَمَ بِالشُّكْرِ نَحْمَدُه عَلَى آلَائِه كَمَا نَحْمَدُه عَلَى بَلَائِه))[2]، إذ أن كل ما يصل الينا من محن وبلوى في دار الدنيا هو منح ونعمه من الله لمن يتحمل اعباءه، فلذلك يستحق الله سبحانه الشكر على المحن كما يستحق على المنح[3] ، فالإمام عليه السلام حث على الحمد والشكر في اوقات الشدة وأراد من ذلك أن يربي المجتمع على القيام بهذه العمل الصالح وتقويه العلاقة مع الخالق حتى تدفع البلايا وأكد عليه في موضع آخر بشكل تشخيصي بيّن مرحلة المواجهة والتحمل للابتلاءات، إذ قال عليه السلام :((حْمَدُه عَلَى مَا أَخَذَ وأَعْطَى وعَلَى مَا أَبْلَى وابْتَلَى))[4].

وهذه الوسائل التي ذكرها الإمام عليه السلام تشترك فيما بينها بعدة عوامل، فهي مترابطة ولا تنفصل عن بعضها، فالصبر تتخلله عدة أعمال منها الصدقة والدعاء لدفع البلاء وهي جميعها عبادات وأعمال يجب أن تكون خالصة لله وتعبر عن ضعف المخلوق ورجوعه الى

[1] نهج البلاغة ،١٤٤. وفي هذا النص أشاره الى قوله تعالى :((فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ))هود/٤٩.
[2] نهج البلاغة ، ص١٦٩.
[3] الكيذري البيهقي ، حدائق الحقائق ،١/٥٥٠.
[4] نهج البلاغة، ص١٣٩.

الخالق الذي يجزي من يعمل صالحاً، والحال ينطبق على الدعاء الذي هو مفهوم شمولي يتعدى القيام بالصلاة والخضوع والتذلل وغيرها، وكذلك الشكر الذي يجمع بين الإطار المعنوي المتفرع والإطار المادي اللفظي، فجميع تلك الوسائل هي كاشفة عن طبيعة ثقافة المبتلى ودرجته عند الباري عز وجل .

ثالثاً : سنة التمكين والنصر: وهي من السنن التاريخية التي تجري على الأمم والمجتمعات ولا تتوقف أو يعتريها التعطيل والقدم ، فالتمكين يعني المنزلة والقدرة والتسلط إذ يقول الزمخشري(٥٣٨هـ): (مكنته من شيء وامكنته منه واستمكن وهو مكين عند السلطان وهو امكن من غيره)[١] والمرادف للتمكين في المعنى الاصطلاحي للسنة هي كلمة النصر، وهي من السنن التي تحدث بتوافر الشروط والأسباب لتطبيقها، من غير أن يكون تمكين السلطان وتسليطه هو جريان طبيعي لتلك السنة، وإنما ورد من معنى هو صيغة لغوية بحته ولكن حين جمعها بالمعنى الاصطلاحي الذي يعني القدرة والتمكين حتى تتضح الامور أكثر.

ولقد أكد الإمام علي عليه السلام على هذه السنة إذ احتلت مساحةً واسعة في فكره عليه السلام ولاسيما الخطب التي كان يلقيها في ساحه المعركة من أجل استنهاض الهمم على الثبات والتعبئة حتى يتحقق النصر، ولاسيما ما ذكره عليه السلام ليله الهرير بمعركة صفين حينما قال :((مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ وتَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ وعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذ فَإِنَّه أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ وأَكْمِلُوا اللأْمَةَ وقَلْقِلُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا والْحَظُوا الْخَزْرَ واطْعُنُوا الشَّزْر ونَافِحُوا بِالظُّبَى وصِلُوا السُّيُوفَ بِالْخُطَا واعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللَّه ومَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّه فَعَاوِدُوا

[١] اساس البلاغة ، ص٩١٠.

الْكَرَّ واسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ فَإِنَّه عَارٌ فِي الأَعْقَابِ ونَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ وطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْساً وامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْياً سُجُحاً وعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الأَعْظَمِ والرِّوَاقِ الْمُطَنَّبِ فَاضْرِبُوا ثَبَجَه فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِه وقَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَداً وأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلًا فَصَمْداً صَمْداً حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ(وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ والله مَعَكُم ولَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ[1]))[2] بين امير المؤمنين عليه السلام في هذا الطرح الأسباب والعوامل المساعدة لتحقيق سنة التمكين وهي اسباب تختلف عن المحددات والضوابط لأن الجانب المادي يدخل فيها بشكل مؤثر، إذ تعد الأسباب المادية من اهم الأسباب والاكثر حسماً للمعركة فهي مكملة للنصر الالهي ، ومن بين تلك العوامل التي اشار اليها الإمام عليه السلام هي:

اولاً. اعداد العدة والسلاح: من العوامل المادية التي أمر بها الإمام علي عليه السلام أصحابه اعداد جميع الاسلحة والملابس العسكرية والدروع وآلات الحرب وهو ما جسده قوله عليه السلام :((وأَكْمِلُوا اللأْمَةَ وقَلْقِلُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا))[3]، إذ أمر بإكمال اللأمة، وإكمال الدرع البيضة والسواعد ويحتمل أن يريد باللامة جميع آلات الحرب وما يحتاج إليه فيه وفائدته شدة التحصّن[4]، وكذلك تحريك السيوف كيلا تستعصي عن الخروج[5]، وكلام الإمام عليه السلام هو مصداق لقوله تعالى :((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ

[1] محمد/٣٥.
[2] نهج البلاغة ، ص٩٧.
[3] نهج البلاغة ،ص٩٧.
[4] البحراني ، شرح نهج البلاغة ،٢ /١٨٠ . وينظر: ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ،١٦٩/٥.
[5] مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ،٣٣٧/١.

وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ))[1] وكل ما يتقوى به على حرب العدو وكل ما هو آلة للغزو والجهاد فهو من جملة القوة [2]، فهذا الاستعداد مقدمة مادية مهمة لتحقيق النصر .

ثانياً. التخطيط وتحديد الهدف :وهي من الأسباب المهمة التي ذكرها الإمام عليه السلام للمؤمنين وبها يتحقق النصر والغلبة فلابد من تحديد الهدف والتخطيط لخوض المعركة حتى يتم النصر وهو ما نفهمه من قوله عليه السلام:((وعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الأَعْظَمِ والرِّوَاقِ الْمُطَنَّبِ فَاضْرِبُوا ثَبَجَه فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِه))[3] أي اتبعوا ما اجتمع عليه العدد الكثير يعني اجماع الامة[4]، ويقصد بهم اهل الشام المجتمعين حول معاوية الذي وصفه بالشيطان[5]، فتحديد المقصد أمر مهم لكي تتم خطة المعركة على ضوء الهدف وبذلك يتم النصر ويجري القانون الالهي.

ولا ننسى الأسباب المادية المعنوية التي تحقق التكامل مع الإطار المعنوي لأنها ضمن مبادئ الحرب فهي مادية من جانب ومعنوية من جانب آخر ومعروفة أهميتها للظفر والنصر، وقد اعتنى الإمام عليه السلام بها وأرشد المقاتلين اليها لأنها الاساس في رفع الروح المعنوية التي تنزل النصر من الله وتزيد الثقة فيهم وتطمئن قلوبهم على الوعد الالهي بالنصر ومن تلك العوامل :

---

[1] الانفال /٦٠.

[2] الرازي ، تفسير الرازي ،١٨٥/١٥.

[3] نهج البلاغة ، ص٩٧.

[4] البيهقي ، معارج نهج البلاغة ،٣٤٩ .وينظر: الكيذري البيهقي ، حدائق الحقائق ،٣٣٨/١.

[5] البحراني ، شرح نهج البلاغة ،١٧٨/٢ .

اولاً. الإيمان بالله والتوكل عليه: يعتبر من اهم العوامل الكفيلة بالنصر فهو شرط اساسي في اعداد المقاتل المسلم في المعارك والحروب لما له من آثر في قلب المؤمن وهو ما عمل عليه الإمام عليه السلام في طرحه حينما قال عليه السلام :((مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ وتَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ))[1] إي اجعلوا خشية اللَّه شعاركم [2] لان هذا الخوف اساس الاتقان والاخلاص في العمل [3]، فالرجوع الى الله تعالى والتوكل عليه أمر مهم في تحقيق النصر لان الله عز وجل لا يخذل من توكل عليه كما جاء في قولة تعالى:((انْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ))[4] إذ أن من نصر الله فلا غالب له وإن الامر كله بيد الله ووجب على المؤمن أن لا يتوكل الا عليه[5]، ومن ذلك فأن التوكل كان سببا في نصرة المؤمنين والعكس صحيح بالنسبة للكافرين فقد كان سبباً في هزيمتهم كما حدث في معركة بدر[6].

ثانياً. الثبات والصبر : إن ثبات القلب والقدم في مواقع الحروب سبب رئيس ومهم ومكمل للتجهيز المادي في تحقيق النصر وعندما تتوفر هذه الصفة في المجاهد يصبح مؤهلا للتصدي،

---

[1] نهج البلاغة ، ص٩٧.

[2] الراوندي ، منهاج البراعة ،٢٩٠/١.وينظر:ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ،١٦٨/٥؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ١٧٩/٢؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ٢٥/٥.

[3] مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ،٣٣٧/١.

[4] ال عمران/١٦٠.

[5] الرازي ، تفسير الرازي ،٦٨/٩.وينظر: الطبري، جامع البيان، ٢٠٥/٤.

[6] انتصر المسلمون في معركة بدر على الرغم من الفارق في الامكانيات المادية إذ بلغ عدد المقاتلين المسلمين (٣١٣)مجاهد في مقابل (٩٥٠) مشرك، ولكن روح المسلمين المعنوية العالية وأيمانهم بقدرتهم ودينهم ساهم بالنصر . ينظر: الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،١٣٨/٢؛ المسعودي ، التنبيه والاشراف ،ص٢٠٤؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ،١١٨/٢.

لذلك جاء تأكيد أمير المؤمنين عليه السلام على الثبات عند طرح سنة النصر التاريخية من أجل ترسيخه في نفوس المقاتلين وذلك حينما قال:((فَصَمْداً صَمْداً حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ))[1] اي اثبتوا واصبروا [2]، وقد أشار الإمام علي السلام الى الثبات في موضع آخر عندما أعطى الى أبنه محمد بن الحنفية[3] الراية يوم الجمل :((تَزُولُ الْجِبَالُ وَلَا تَزُلْ عَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ أَعِرِ اللَّه جُمْجُمَتَكَ تِدْ فِي الأَرْضِ قَدَمَكَ ارْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ وغُضَّ بَصَرَكَ واعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّه سُبْحَانَه))[4] فقد بين الإمام عليه السلام الثبات في الحرب، فالأعراض عن الادبار تشبيهاً بالجبال فأنها لا تزول من مكانها والعض على الناجذ يدفع الضرر، وثبات القدم سبب لأنهزام العدو، وغض البصر يزيل الجبن، ورمي البصر يشجع الفؤاد والنصر يتحقق من عند الله سبحانه وتعالى[5]، فالصمود في الميدان مقدمة مهمة للنصر لذلك جاء تأكيده عليه السلام على الثبات مهما كانت الظروف شديدة من أجل جريان سنة الله في النصر.

---

[1] نهج البلاغة، ص٩٧.

[2] مغنية، في ظلال نهج البلاغة ،٣٣٧/١.

[3] محمد بن الحنفية :هو محمد بن علي بن ابي طالب كنيته ابو القاسم وقيل ابو عبدالله ،وامه خوله بنت جعفر الحنفية كان مولده لثلاث سنوات بقيت من حكم عمر بن الخطاب ،وأتهم البعض محمد بأنه ادعى الإمامة بعد الإمام الحسين عليه السلام بل قيل ادعى المهدوية الا انه من الثابتين والمعتقدين بالإمام زين العابدين عليه السلام وكان ملازماً له ولم ينحرف، إلا ان جماعة انحرفت بأسمة دعوا بالكيسانية فأدعوا إمامته وهو بريء منهم ومن ادعائهم ،ومن الشواهد الحية على رفعته مكانته وعلو منزلته ان الإمام الحسين عليه السلام حين أراد الخروج من المدينة الى مكة جعله خليفته ووصيه في المدينة ليطلعه على الاخبار. وتوفي برضوى سنة ثلاث وثمانون ودفن بالبقيع .ينظر: ابن حبان ،مشاهير علماء الامصار ،ص١٠٣؛ المفيد ،الجمل ،ص١٧٩؛ الحلبي ، تقريب المعارف ،ص٢٥٩؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ،١١٠/٤.

[4] نهج البلاغة،ص٥٥.

[5] البيهقي ، معارج نهج البلاغة ،٢٥٢ ، الكيذري البيهقي ،حدائق الحقائق،١٩٢/١.

وهناك حافز مهم للنصر يرتبط بالثبات أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه المتقدم وهو الصبر إذ يعدد عنصراً رئيسياً يقف وراء النصر، فالصبر تكتمل به قوة المؤمن النفسية وشجاعته ويأتي معه النصر والظفر وهذا ما دعا له الإمام علي عليه السلام حينما قال:((واسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّه أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ))[1] ، وايضاً نقل عن الإمام الصادق عليه السلام قوله :((فاصبروا تظفروا))[2]، ولا ريب في أنَّ قاعدة هذا الكلام مثلها القران الكريم كما جاء في قوله تعالى :((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ))[3] وهنا الشرط في معنى الأمر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بأنهم أن صبروا غلبوا بعون الله وتأييده[4]، فهذه الغلبة والنصر تقع بإذن الله وتيسيره لأنه من تكفل بالنصر، إذ يقول الإمام عليه السلام بشأن ذلك :((واعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللَّه ومَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّه))[5] وكلامه هنا أشاره الى وقوفهم بجانب الحق الحق المتمثل بالإمام علي عليه السلام نفسه :((علي مع الحق والحق مع علي))[6] فأنتم على حق في هذه الحرب تماما كما لوكنتم مع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم والله يشملكم بعونه

[1] نهج البلاغة ،٦٨.

[2] الطبرسي ، مشكاة الانوار ،ص٥٨ ؛ المجلسي ، بحار الانوار،٩٦/٦٨

[3] الانفال /٦٥. وتجدر الاشارة هنا الى وجود حالات عده من انتصار الفئة القليلة بسبب الثبات والصبر ، ومنها انتصار المسلمين في أغلب المعارك التي كانت تجري بينهم وبين أعدائهم ، على الرغم من قلة عددهم ،كما حدث في معركة بدر إذ انتصر المسلمون على الرغم من الفارق في الامكانيات المادية إذ بلغ عدد المقاتلين المسلمين (٣١٣)مجاهد في مقابل (٩٥٠) مشرك ولكن روح المسلمين المعنوية العالية وأيمانهم بقدرتهم ودينهم ساهم بالنصر . ينظر: الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،١٣٨/٢؛ المسعودي ، التنبيه والاشراف ،ص٢٠٤؛ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ،١١٨/٢.

[4] البيضاوي ، تفسير البيضاوي ،١٢٠/٣

[5] نهج البلاغة ،ص٩٧.

[6] الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ،٣٢٢/١٤ ؛ ابن شهر شوب، مناقب ال ابي طالب ،٥٠/٣.

وعنايته[1] ويراكم ويعلم اعمالكم[2] لأنهم أهل الحق الذي ينصر من نصره و يهلك من وقف ضده كما جاء في قوله الإمام علي عليه السلام في موضع اخر :((من صارع الحق صرعه))[3] لذا فأن الثبات يتم بإيمان الفرد بقضيته وهو مقدمه لتحقيق النصر.

لقد تعدد وتنوعت مصاديق التمكين في طرح الإمام علي عليه السلام ولعل أبرزها تمكين الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم في تحقيق الانتصار للدين الاسلامي واستقراره وانتشاره على مدى واسع، وقد ذكر الإمام ذلك يوم صفين من اجل التعبئة وشد الأزر والثبات وتذكير أصحابه بنصر الله لهم إذ قال :((ولَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّه (ص) نَقْتُلُ آبَاءَنَا وأَبْنَاءَنَا وإِخْوَانَنَا وأَعْمَامَنَا[4] مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَاناً وتَسْلِيماً ومُضِيّاً عَلَى اللَّقَمِ[5] وصَبْراً عَلَى مَضَضِ الأَلَمِ وجِدّاً وجِدّاً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ ولَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا والآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَه كَأْسَ الْمَنُونِ[6] فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا ومَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا فَلَمَّا رَأَى اللَّه

---

[1] مغنية ،شرح نهج البلاغة ،٣٣٧/١

[2] الراوندي، منهاج البراعة ،٢٩١/١.ينظر: ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ،١٧٣/٥.

[3] نهج البلاغة، ص٥٤٨.

[4] لقد حدثت مثل هذه الحالات الكثيرة في حروب صدر الاسلام بقتلهم الأقارب في ذات الله ، ومنها قتل الإمام علي عليه السلام الوليد بن عتبة في معركة بدر وكذلك الجم الغفير من بنى عبد مناف وبنى عبد الدار في يوم بدر وأحد ، وهم عشيرته وبنو عمه ، وقتل عمر بن الخطاب يوم بدر خاله العاص بن هشام بن المغيرة ، وقتل حمزة بن عبد المطلب شيبة بن ربيعة يوم بدر ، وهو ابن عمه ، لأنهما ابناء عبد مناف. ينظر: الطبري ،تاريخ الرسل والملوك ،١٣٥/٢؛ ابن ابي الحديد ؛ شرح نهج البلاغة ،٣٤/٤ .

[5] مضيا على اللقم :على الطريق الواضح .ينظر :ابن فارس ،معجم مقاييس اللغة ،٢٦٠/٥.

[6] ونذكر هنا ما حدث بين الإمام علي عليه السلام وعمرو بن ود العامري يوم الخندق ، عندما أصر الإمام عليه عليه السلام على مبارزة عمرو، فقد نزل عمرو عن فرسه فعقره أو ضرب وجهه ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا وثارت بينهما غبرة ، وسمع التكبير تحتها ، فعلم المسلمون أن عليا عليه السلام قد قتله ، وانكشف أصحابه حتى طفرت خيولهم الخندق ، وثوران الغبرة بينهما حتى حجبتهما عن الابصار دليل شدة المنازلة والمجاولة وإنها بلغت

صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ[1] وأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ حَتَّى اسْتَقَرَّ الإِسْلَامُ مُلْقِياً جِرَانَه ومُتَبَوِّئاً أَوْطَانَه))[2] وهنا رسم أمير المؤمنين عليه السلام صورة حية لتكامل الأسباب المؤدية للنصر مع الرسول صلى الله عليه واله وسلم لثبات واخلاص واستقرار الدين في قلوب اصحابه والجدية في القتال وهي العوامل التي تطرقنا اليها لأنَّ الوعد الالهي بالنصر لا يتحقق بمجرد ادعاء الإيمان بل حركه فعاله واستعداد، فقد ذكره الإمام علي عليه السلام لأصحابه ليطمئنهم ويعيد لهم الثقة بالنفس حتى يثبتوا على ايمانهم ، لان الجود الإلهي لا ينقطع ولا بخل فيه ولا منع بل هو عام الفيض على كل قابل استعد لرحمته وأشار برؤية اللَّه صدقهم إلى علمه باستحقاقهم واستعدادهم بالصبر الَّذي أعدّهم به ، وبإنزال النصر عليهم والكبت لعدوّهم إلى إفاضته على كلّ منهم ما استعدّ له [3]، وذلك لان الله يجري المسببات على أسبابها ويربط النتائج بالمقدمات، فمن صدق من العزم وعمل جاهداً مخلصا في عمله حصل على الغاية بتوفيق الله وعنايته[4]، إذ أن وعد الله لا يمكن أن يتخلف:((لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ))[5].

اقصى درجات الشدة حتى اثارت ذلك الغبار الذي حجبهما عن الابصار، وكذلك بينه وبين مرحب اليهودي عندما التقيا في غزوة خيبر عام سبعة للهجرة ، إذ خرج مرحب صاحب الحصن الذي لم يكن في أهل خيبر أشجع منه وعليه مغفر معصفر يما وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه ، فاختلف هو وعلي بضربتين فضربه علي على هامته حتى عض السيف منها بأضراسه وسمع أهل العسكر صوت ضربته فما تتام آخر الناس مع علي عليه السلام حتى فتح الله له ولهم .ينظر : اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ،٥٦/٢؛ الطبري ، تاريخ الملوك والرسل ،٢٤٠/٢ و ٣٠١؛ المفيد ،الارشاد ،١٠٣/١.

[1] الكبت : الاذلال . ينظر :الجوهري ، الصحاح ،٢٦٢/١ .

[2] نهج البلاغة ، ص٩٢.

[3] البحراني ، شرح نهج البلاغة ،١٤٨/٢.

[4] مغنيه ، في ظلال نهج البلاغة ،٣٤٩/٥.

[5] الروم/٦.

وجاء تمكين اهل البيت عليهم السلام واستخلافهم في الارض ونصرهم بعد الظلم الذي واجهه الائمة عليهم السلام من الحكام والناس على حد سواء كمصداق آخر وهو الامر الذي سلط الإمام عليه السلام الضوء عليه حينما قال :((لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا وتَلَا عَقِيبَ ذَلِكَ (ونُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ ونَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ونَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ[1]))[2] والضروس هي الناقه السيئة الخلق تعض حالبها ليبقى لبنها لولدها وذلك لفرط شفقتها عليه واستعار الإمام عليه السلام لفظة الشماس للدنيا باعتبار اعدادها للمنعة وشبها بالفرس الذي يمنع ظهره أن يركب وشبه عطفه بعد ذلك عليهم واعدادها لتمكنهم من الحكم فيها بعطف الضروس على ولدها ووجه الشبه شدة العطف[3]، وجاء تأكيد الإمام عليه السلام على التمكين من خلال استشهاده بالآية القرآنية التي قيل في تفسيرها إنها نزلت في حق بني اسرائيل بعد استضعافهم من قبل فرعون[4]، وقيل أنَّ الآية نزلت في شأن الإمام المهدي عليه السلام وأن الله تعالى يمن عليه بعد أن استضعف ويجعله إماما ممكنا، ويورثه ما كان في أيدي الظلمة[5]، ومؤكد ان آيات القران الكريم غير محدده بزمن صلاحيه وإنما هي عامه وشموليه من حيث الزمان والمكان فيما ينطبق على اهل البيت عليهم السلام ينطبق على الإمام المهدي (عج) ايضاً.

[1] القصص/٥.
[2] نهج البلاغة،ص٥٠٦.
[3] البحراني ،شرح نهج البلاغة ،٣٤٩/٥.
[4] الطبري ،جامع البيان ،٣٥/٢٠ ،الثعلبي ،تفسير الثعلبي ،٢٣٣/٧ ،الواحدي، تفسير الواحدي ،٨١٣/٢ .
[5] الطوسي ،التبيان١٢٩/٨.

وقد قرب الطبرسي الصورة حينما قال بعد ذكر كلام أمير المؤمنين المتقدم: إنَّ بني اسرائيل واهل البيت عليهم السلام هم بمنزلة واحده استناداً لقول الإمام السجاد عليه السلام :((والذي بعث محمدا بالحق بشيرا ونذيرا إن الأبرار منا أهل البيت وشيعتهم بمنزلة موسى وشيعته وإن عدونا وأشياعهم بمنزلة فرعون وأشياعه))[1].

ومما تقدم يتضح أن الإمام عليه السلام طرح الآية لتشابه الأحوال وثبات الحكم الإلهي الذي لا يتغير، فالمستضعفون في الأرض هم الذين يضطهدهم الأقوياء، ويتسلطون على أقواتهم ومقدراتهم ظلما وعدوانا، واللَّه سبحانه يمن عليهم بالحرية والخلاص من الاضطهاد إذا جاهدوا وثابروا واستماتوا من أجل حياتهم وكرامتهم تماما كما يمن سبحانه على المريض بالشفاء إذا استعمل العلاج الصحيح وعلى الفلاح بالثمر إذا عمل واتقن عمله، إذ إن للَّه سنة في خلقه وهي ان تجري الأمور على أسبابها والغايات على وسائلها :((ولن تجد لسنة اللَّه تبديلا[2]))[3] .

لقد جاء تمكين أئمة أهل البيت بعد ما اصابهم البلاء والامتحان والاختبار والضيق والجور من الحكام والفتن ومنها فتنة بني اميه وفتنة بني العباس إذ قال عليه السلام في ذلك :((انَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ عَمَّتْ خُطَّتُهَا وخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا وأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا وأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا))[4] ويأتي بعد هذه المحن الخلاص والنصرة وجريان سنة الله عليهم بالتمكين ووراثه الارض الذي يأتي على يد الإمام القائم

[1] مجمع البيان ،٤١٤/٧.
[2] الاحزاب /٦٢.
[3] مغنية ،في ظلال نهج البلاغة ،٤٨/٦.
[4] نهج البلاغة، ص١٣٨.

المنتظر (عج) كما قال أمير المؤمنين عليه السلام :((ونَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّه واللَّه مُنْجِزٌ وَعْدَه ونَاصِرٌ جُنْدَه))[1] وهو إقرار بالنصر الالهي وتمكين اهل البيت عليهم السلام بتحقق الوعد لهم نتيجة صبرهم ووثباتهم على طاعتهم لله وعدم تذمرهم وتسليمهم لأمر الله تعالى وعملهم بأسباب الخلاص من المحن والبلايا عندئذ لابد أن تكون النتيجة ثابتة وهي تمكينهم وهذه سنة الله التي لا تختلف او تتخلف.

رابعاً. سنه الاستدراج: هي إحدى السنن الإلهية الحاكمة على المجتمعات إذ تجري على الأفراد والأمم على حدٍ سواء، وهو قانون يضرب كل مفتون جبار يرفض التوبة والاستغفار[2]، والاستدراج من كلمه درج والدرجة هي الرفعة والمنزلة والدرجان مشيه الصبي والشيخ[3] واستدراجه اي ادناه من التدريج ودرج الرجل اي مشى[4]،إذ يتضح من ذلك إن الاستدراج هو الانتقال من منزله أو مرحله الى اخرى، اي كلما جدد العبد خطيئته جدد الله له النعمة وانساه الاستغفار الى ان يأخذه قليلا ولا يباغته، إذ قال الله تعالى :((سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ))[5] وقد ورد أن الإمام الصادق عليه السلام قال عن هذه الآية (إنها تعني أنَّ العبد يذنب الذنب فتجدد له النعمة معه، تلهيه تلك النعمة عن الاستغفار من ذلك الذنب)[6] .

---

[1] نهج البلاغة،ص٢٠٤.
[2] ايوب ، الانحرافات الكبرى، ص١١٣.
[3] الفراهيدي ، العين ،٧٧/٦.
[4] الجوهري ، الصحاح،٣١٣/١.
[5] القلم /٤٤.
[6] الكليني ، الكافي ،٤٥٢/٢ ؛ المجلسي ، روضة المتقين ،ص٥٢ ؛ الفيض الكاشاني ،الوافي ،١٠٤٣/٥.

وقد أوضح الإمام الحسين عليه السلام هذا المعنى عندما سأل عن الاستدراج فقال:((الاستدراج من الله سبحانه وتعالى لعبده ان يسبغ عليه النعم ويسلبه الشكر))[1] إذن يتضح من ذلك ان الاستدراج هو استمرار وتواصل تدفق النعم على الأفراد والأمم الكافرة على الرغم من استمرارهم بارتكاب المعاصي وبعد ذلك يتم الايقاع بهم الى الهاوية بعقاب شديد يستحقونه.

ومن هنا جاءت تحذيرات الإمام علي عليه السلام من الأغترار بالدنيا والنعم وعدم التوبة عن ارتكاب المعاصي، فقد أشار بصوره مباشره الى الاستدراج وكثره المستدرجين من الله عز وجل حينما قال عليه السلام :((كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالإِحْسَانِ إِلَيْه ومَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْه ومَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيه ومَا ابْتَلَى اللَّه أَحَداً بِمِثْلِ الإملاء لَه))[2] وبين هنا عليه السلام عدة انواع من الاستدراج منها:

اولاً . الإحسان اليه :إذ يتوهم الإنسان أن النعم التي تصيبه هي ناتجة عن مرضاة الله لكنه في الحقيقة استدراج له وعاقبته الهلاك، إذ نبه الإمام عليه السلام على وجوب شكر النعم وأن لا يغفل عنها لان الإنسان كثير ما يستدرج[3]، إذ إن الاستدراج يعني اخذ الكافرين والمنافقين والايقاع بهم تدريجياً من حيث لا يعلمون فكلما أزداوا في المعاصي زادت عليهم النعم ،وهكذا حتى تنتهي مهلتهم و يتفاجأوا بالعذاب الذي يستحقونه وقد أحاط بهم وهم في ذروه سكر النعم واقبال الدنيا[4]، وهذه النوع من الاستدراج اكد عليه الإمام عليه السلام فيما نقل عنه :((رُب منعمٍ

[1] ابن شعبة الحراني ، تحف العقول ،ص٢٤٦ ، المجلسي ، بحار الانوار ،١١٧/٧٥.
[2] نهج البلاغة، ص٤٨٩.
[3] البحراني، شرح نهج البلاغة ،٣٠٤/٥.
[4] الشيخ محمد اليعقوبي، سنة الاستدراج ،ص١.

عليه في نفسه مستدرج بالإحسان اليه))[1]، إذ أن تواصل تدفق النعم على الإنسان العاصي لله إنما هي تحذيرات له لكي يشكر ويرجع الى ربه لأن اعماله لا توحي بهذا الاحسان.

ثانياً. ستر المعاصي: وهو من أخطر أنواع الاستدراج الذي يصيب الفرد المستمر في ارتكاب الفواحش، إذ يكون الفرد مخدوع بالستر من جهة الله تعالى الذي ينزل عليه ستره فيكون ذريعة في تهالكه في المعصية والاغراق فيها[2]، إذ إن ستر الله له من أجل أن يتوب أو يرجع عن ارتكاب الذنوب لكنه يتمادى ويزداد في اثمه[3]، فالاستدراج بالستر نعمه من نعم الله على الفرد إلا أن استمرار عصيانه يؤدي به الى التهلكة على الرغم من ستر الله له.

ثالثا. حُسن القول فيه: واحد من أنواع الاستدراج التي طرحها الإمام علي عليه السلام، إذ يستجيب الإنسان لتصوراته فإذا كذب في مدحه منافق قالوا هذا من السماء [4]، فيتعجب بنفسه ويتفاخر ويتكبر على غيره وهذه الامور تكون سبباً في نهايته وهلاكه ، فهذا النوع من الاستدراج يمثل الغرور بالنفس وعدم التواضع .

رابعاً. الإملاء: ومن أشد الابتلاءات التي تصيب الإنسان الابتلاء بالإملاء ، فالإملاء يعني الامهال والتأخير وإطاله العمر[5]، وإن طبيعة الاستدراج تكمن في الإملاء لأنَّ الاستدراج درجة

[1] ابن شعبة الحراني، تحف العقول ، ص١٥٦، الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ ، ص٢٦٦.
[2] الحسيني، ديباج الوضي ٢٨١٠/٦.
[3] الموسوي، شرح نهج البلاغة ،٢٩٤/٥.
[4] مغنيه، في ظلال نهج البلاغة ،٤٨٩.
[5] ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث الاثر ،٤/ ٣٦٣ ؛ ابن منظور، لسان العرب ،٢٩٠/١٥.

قررها الله لمن يريد استدراجه ثم يطيل الله مدة الاستدراج فيصير املاء[1] ، إذ يمد الله الإنسان بالعطاء حتى يزداد اثما وتتضاعف عقوبته وكلام الإمام عليه السلام هنا امتداد لقوله تعالى :((وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إنما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إنما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ)) [2] اي ان الامهال ليس زيادة خير وإنما اصبحت إطالة أعمارهم صورة لبيان عاقبة أمرهم بازدياد الاثم [3] واللام في ليزدادوا هي لام العاقبة وليس لام الارادة والغرض، اي نحن نمهلهم لتكون عاقبة أمرهم ازدياد ذنوبهم وأوزارهم من الإثم، فالآية لا تدل على الجبر مطلقا، بل هي خير دليل على حرية الإنسان واختياره، لأنَّ هؤلاء فقدوا كل قابلية للتغيير والإصلاح، وهم بالتالي من الذين تقتضي سنة الخلق ومبدأ حرية الإنسان واختياره أن يتركوا لشأنهم ، ويوكلوا إلى أنفسهم ليصلوا إلى مرحلة السقوط الكامل ، ويستحقوا الحد الأكثر من العذاب والعقوبة[4].

ولعل الامر يتوضح أكثر فيما أشارت إليه الآية القرآنية الكريمة :((وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ)) [5] اي اغتراهم بالإمهال والإملاء وعدم التعجيل بالعقوبة على الذنوب (واملي لهم) الذي هو رحمة وشفقة وإعطاء المزيد من الفرص للتوبة وليس عجزاً أو ضعفاً، لأنَّ الاستعجال ديدن

[1] رشيد كهوس، معلمة السنن الإلهية ، ص٧٢.
[2] ال عمران /١٧٨.
[3] الطبرسي، مجمع البيان ،٤٥٤/٢.
[4] مكارم شيرازي ،التفسير الامثل ،١٧/٣.
[5] الاعراف /١٨٣.

من يخاف من الفوت فيتوهمون أنهم على خير ولم يصدر معهم شيء سيئ وأنهم يستحقون من الله تعالى اغداق النعم[1].

لذا عمل أمير المؤمنين عليه السلام على تحذير الناس عند اقبال النعم عليهم وهم في حالة ارتكاب المعاصي لان ذلك امهالٌ وليس اهمالاً، فالتحذير جاء بشكل مباشر من الإمام علي عليه السلام عندما قال :((يَا ابْنَ آدَمَ إذا رَأَيْتَ رَبَّكَ سُبْحَانَه يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعَمَه وأَنْتَ تَعْصِيه فَاحْذَرْه))[2]، فقد تكون هذه النعم هي استدراج مما يوجب عليك المبادرة الى الطاعة والشكر الله سبحانه وتعالى، فقد هدف الإمام علي عليه السلام الى تنبيه النفس والمراقبة الدائمة للنعم التي تحيط به وكيفية التعاطي معها، فهذه النعم تقودك الى المهالك مادامت هناك معاصي ترتكبها وتنسي الإنسان الاستغفار وتبعده كليا عن الله، إذ إن ترادف النعم على الفرد هو للتنبيه حتى يدرك سوء اعماله لكنهم لا يعرفون أنَّ هذا النعم هي استدراج لهم كما قال الله عز وجل :((والَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ))[3]اي سندنيهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم[4] .

لقد ثقف الإمام عليه السلام الإنسان على الخوف والوجل من النعم وأن يقابلها بالشكر مثلما يقابل الابتلاء بالصبر حتى لا تكون استدراجاً عليه لان الاستدراج بعدم الشكر للنعم من اخطر انواع الاستدراج ولعل هذا ما يفهم كلام الإمام عليه السلام :((أَيُّهَا النَّاسُ لِيَرَكُمُ اللَّه مِنَ

[1] الشيخ محمد اليعقوبي ، سنة الاستدراج ،ص٣.
[2] نهج البلاغة ،ص٤٧٢.
[3] الاعراف /١٨٢.
[4] الزمخشري، الكشاف ،١٣٣/٢.

النِّعْمَةِ وَجِلِينَ كَمَا يَرَاكُمْ مِنَ النِّقْمَةِ فَرِقِينَ إِنَّه مَنْ وُسِّعَ عَلَيْه فِي ذَاتِ يَدِه فَلَمْ يَرَ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجاً فَقَدْ أَمِنَ مَخُوفاً ومَنْ ضُيِّقَ عَلَيْه فِي ذَاتِ يَدِه فَلَمْ يَرَ ذَلِكَ اخْتِبَاراً فَقَدْ ضَيَّعَ مَأْمُولًا))[1] ، فقد أراد الإمام عليه السلام من ذلك تربيه الإنسان على الشكر حتى لا يستدرج ويقع في الهاوية، لان طبيعة الاستدراج لا تعني قصد ايقاع الشر بالعباد إنما كان الاستدراج لمن صد عن منهج الله واصر على ذلك والله لا يظلم العباد ولكن الناس انفسهم يظلمون[2] لأنَّ سنة الاستدراج تأتي بعد الموعظة والتذكير والانذار والتحذير والتعريض لبعض الابتلاءات لعله يصحو من غفلته وينتبه الى نفسه فإذا تواتر عليه النعم فينسى ربه وينسى نفسه[3] .

خامساً. سنة التدافع :وهي سنة تاريخية عظيمة ثابتة وحتمية ومستمرة لا تقتصر على زمان ومكان محددين لأنها مرتبطة بالوجود على هذه الارض وهي تعني، دفع الشر بالخير، والكفر بالأيمان، والفساد بالصلاح ،والباطل بالحق ،والمنكر بالمعروف [4] ، ولا يمكن أن تخلو حياة فرد أو أمة من الأمم من لون من الوان التدافع لأنه الطريق الى دفع الفساد عن الارض[5] ، ويكشف عن هذه السنة التاريخية قوله تعالى :((لَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ))[6] وقوله تعالى :((وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ

---

[1] نهج البلاغة، ص٤٦٧.
[2] رشيد كهوس، معلمة السنن الإلهية ،ص٧٣.
[3] الشيخ محمد اليعقوبي، سنة الاستدراج ،ص٣.
[4] الشيخ محمد اليعقوبي، خطاب المرحلة ،٨/٤٤١.
[5] حسن بن صالح الحميد ، سنن الله في الأمم من خلال آيات القران ، ص٢٢٦.
[6] البقرة /٥٢١.

صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا))[1] ، وقد قيل في تفسير هذه الآيات معنيان، المعنى الأول: لولا دفع الله بجنود المسلمين وسراياهم ومرابطيهم لغلب المشركون على الأرض فقتلوا المؤمنين وخرّبوا البلاد والمساجد[2]، ومعنى الدفع في هذا المعنى يختص بالجانب العسكري ودفع المشركين بالمجاهدين عن طريق القتال والحرب، أما المعنى الثاني فهو أن يدفع الله بالبر عن الفاجر الهلاك[3] أي ولولا دفع الله بالبار عن الفاجر، ودفعه ببقية أخلاف الناس بعضهم عن بعض لفسدت الأرض بهلاك أهلها[4]، ويعني دفع الكفار بالمؤمنين وهذه المعنى يشير الى الجانب الديني.

وهذه المعنى هو تصديق لقول الإمام الصادق عليه السلام :((إنَّ الله يدفع بمن يصلي من شيعتنا عمن لا يصلي من شيعتنا، ولو اجمعوا على ترك الصلاة لهلكوا، وإن الله يدفع بمن يزكي من شيعتنا عمن لا يزكي من شيعتنا ولو اجمعوا على ترك الزكاة لهلكوا، وإن الله ليدفع بمن يحج من شيعتنا عمن لا يحج من شيعتنا ولو اجمعوا على ترك الحج لهلكوا))[5] ونلاحظ من

---

[1] الحج/٤٠.

[2] الثعلبي، تفسير الثعلبي ،٢٢٤/٢؛ الواحدي، تفسير الواحدي،١٨١/١. وينظر: الطبرسي، مجمع البيان ،١٥٢/٢.

[3] الطوسي، التبيان ،٣٠١/٢؛ الطبرسي ، مجمع البيان ،١٥٢/٢؛ الكاشاني، التفسير الأصفى ،١١٩/١.

[4] الطبري ، جامع البيان ،٨٥٤/٢ ؛النحاس ، معاني القران ،٢٥٥/١ .

[5] القمي ، تفسير القمي ،٨٤/١. وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم قوله :((يحمل هذا الدين في كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين كما ينفي الكير خبث الحديد)) .ينظر :الطوسي ،اختيار معرفة الرجال ،١١/١؛ الكيذري البيهقي ،إصباح الشيعة بمصباح الشريعة ،ص٤.

من ذلك أن الدفع لا يقتصر على جانب القتال فقط بل هو عام لكل وجوة في كافة شؤون الحياة وكل موقع من مواقعها وهذا هو الذي ينمي الحياة ولولا ذلك لأسنت الحياة وتعفنت[١].

وهو الأمر الذي اكد عليه الإمام علي عليه السلام عندما طرح سنة التدافع بجانب أخر غير العسكري والديني ولكن المعنى والهدف والغاية واحدة لا تختلف ، فقد ثقف لها في مجال التكريم والاحسان للعاملين المجدين إذ قال عليه السلام في ذلك المعنى :((ازْجُر[٢] الْمُسِيءَ بِثَوَابِ الْمُحْسِنِ))[٣] اي إذا كافأت المحسن على إحسانه اقلع المسيء عن اساءته طلباً للمكافأة[٤] لأن ذلك بطبيعة الحال تأنيب وتقريع للمسيء على إساءته [٥] ، فلا ريب في إنَّ الأثر والنتيجة من ذلك الدفع تمثل طريق الحق والسداد [٦] ، وهنا نجد أن طرح هذه السنة من قبل الإمام عليه السلام من أجل عدة أمور هي هما :

[١] شهوان، السنن الربانية في التصور الاسلامي،١٤٦/٢.
[٢] الزجر: المنع والنهي والانتهار. ينظر: ابن منظور ،لسان العرب ،٣١٨/٤.
[٣] نهج البلاغة ، ص٥٠١.
[٤] نهج البلاغة، ص٧١٨.
[٥] مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ،٣٢٨/٤.
[٦] ولعل ما يدل على تحقق تلك النتيجة ما روي عن الإمام الحسن عليه السلام قوله :((السداد دفع المنكر بالمعروف)). ينظر: الطبراني ،المعجم الكبير ،٦٨/٣ ؛ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسن، ،١٦٣ ؛ العاملي ،الدر النظيم ،ص٥٠٦.

١_ تحفيز الطاقات وتفعيلها وجعل الجميع يعمل ليدفع الفاسدين وغير العاملين، لأنَّ سنة التدافع تعمل على ذلك الامر[١] ، وهذه هي صفات الحركية التي تتمتع بها السنن حين جريانها حال توفر الشروط .

٢_الدفع بطريقة غير مباشرة وبصورة تقريع النفس وردعها وبذلك فأن التغيير يأتي من الفرد نفسه.

٣_مناسبة الآلية التي طرحها الإمام عليه السلام لموضوع الدفع وهي ثواب المجتهدين لدفع المتكاسلين، وهو أمر تقره هذه السنة التاريخية فكل أمر لا يقابل بمثله وغير ذلك لا يعتبر دفعاً ولا تدافعا، فإذا كان عمل العدو وهدمه فكريا فلابد من دحضه بفكرة مثله، وإن كان إفساده أخلاقيا فلابد من مواجهته بحملة مثلها ،وهكذا ان كان سياسياً أم اقتصادياً أو اعلامياً أو اجتماعياً أو عسكرياً ونحو ذلك فأنه يقابل بمثله [٢] .

سادساً. سنة التداول :وهي واحدة من السنن التاريخية الجارية في الأمم والأفراد التي لا تتبدل ولا تتغير، والتداول بالمعنى اللغوي هو انقلاب الزمان ودورانه والانتقال من حال الى حال[٣] ، وهو نفسه المعنى الاصطلاحي إذ لا يخرج عنه وإنما يسير بمساره.

[١] هادف مصطفى ، فقه السنن الإلهية واثرها في الدعوة الاسلامية ،١٢٠/٢.

[٢] الشيخ محمد اليعقوبي ، خطاب المرحلة، ٤٤٥/٨.

[٣]الجوهري ،الصحاح ،١٧٠٠/٤ ؛ ابن منظور، لسان العرب ،٢٥٢/١١ ؛ الفيروز ابادي ،القاموس المحيط ، ٣٧٧/٣.

وقد بين القران الكريم هذا المعنى بقوله تعالى :((انْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ))[1] اي تكون مرة للمؤمنين ليعزهم الله عز وجل وتكون مرة للكافرين إذا عصى المؤمنون فأما إذا لم يعصوا فإن حزب الله هم الغالبون[2]، ونلاحظ هناً إن التداول يحدث بأرادة الإنسان فإذا استمر في الطاعة والاخذ بأسباب النصر لا يهزم .

والمعنى الواسع لتفسير الآية يتضح من كلام الرازي وهو أن أيام الدنيا هي دول بين الناس لا يدوم مسارها ولا مضارها ، فيوم يحصل فيه السرور له والغم لعدوه ، ويوم آخر بالعكس من ذلك ، ولا يبقى شيء من أحوالها ولا يستقر أثر من آثارها [3]، فالأيام على قديم الدهر لا تبقى للناس على حالة واحدة [4] ، فالتداول لا يقتصر فقط على ايام الحرب والجانب العسكري بل يشمل مختلف مجالات الحياة ويجري على الأفراد جميعهم .

وهذا المعنى يفسر لنا ما طرحه الإمام علي عليه السلام حول تلك السنة التاريخية عندما قال عليه السلام في كتابه الى ابن عباس[5]:((واعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ يَوْمٌ لَكَ ويَوْمٌ عَلَيْكَ

---

[1] ال عمران/١٤٠.

[2] النحاس ،معاني القران ،٤٨٢/١ ؛القرطبي ،الجامع لأحكام القران ،٢١٨/٤.ينظر : السمعاني ،تفسير السمعاني ،٣٦١/١.

[3] الرازي ، تفسير الرازي ،١٥/٩.

[4] ابو حيان الاندلسي ، البحر المحيط ،٦٨/٣.

[5] عبدالله بن عباس :هو عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن هاشم عم رسول الله صلى الله واله وسلم وأمة ام الفضل لبابه بنت الحارث الهلالية ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وهو والد الخلفاء العباسيين ، ويقال له الحبر والبحر اخذ علمه من الصحابة ولازم الإمام عليه السلام واغترف من بحر الإمام ، وحضر معه يوم الجمل وكان على المسير يوم صفين وشهد قتال الخوارج ،ولاه الإمام علي عليه السلام البصرة

وأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُوَلٍ))[1] ومعناه إن الدهر لا ينفك عن ذلك وإن حكمه جار على هذه الحالة واليوم الذي يكون عليه هو ما يلحقه فيه من الضر والبؤس واليوم الذي له ما يلحقه فيه من النعماء والخير وهكذا الاحوال متداولة بين الخلق والامور متعاقبة[2]، إذ يتضح أنَّ احوال العالم لا تدوم على وتيرة واحدة وإنما هو تغيير وانتقال من حال الى اخر.

وقد ثقّف الإمام عليه السلام هنا ابن عباس على إمرين، الاول: عدم الركون الى الدنيا والاستبداد في الحكم لأنه ينتقل من حاكم الى اخر ،إذ وضعه امام حقيقة من حقائق الدنيا وهي الدهر يومان يوم لك ويوماً عليك[3]، والثاني: تحفيزه وتشجيعه على العمل من أجل مرضاة الله وخدمة المجتمع حتى لا يزول حكمه وينتقل الى غيره.

وتجري هذه السنة على استحقاقات التداول وشروطه إذ هو تعاقب يجري على وفق سُنن العدل الإلهية فوق الأرض لمن يستحقه فلا تسقط حضارة الا إذ فقدت اهليتها الحضارية ولا تحل محلها الا إذا استكملت الاهلية لذلك والامر يشمل جميع الأمم والدول[4]، وهذه المعنى يفسر ما قاله الإمام علي السلام حول زوال دولة بني امية وتداول الايام وانتقالها الى غيرهم :((فَأُقْسِمُ بِاللَّه يَا بَنِي أُمَيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ أَلَا إِنَّ أَبْصَرَ الأَبْصَارِ مَا

، وتوفي ابن عباس بالطائف سنة ثمان وستين للهجرة وصلى عليه محمد بن الحنفية. ينظر: ابن سعد ،الطبقات الكبرى ، ٣٦٦/٢_٣٦٧ ؛ المزي ،تهذيب الكمال ،١٥٦/١٥.

[1] نهج البلاغة ،ص٤٦٢.

[2] الحسيني، ديباج الوضي ،٢٧٠١/٥.

[3] الموسوي، شرح نهج البلاغة ،١٨٤/٥

[4] عادل بن بوزيد عيساوي، فقه السنن الإلهية ،ص٢٢٨.

نَفَذَ فِي الْخَيْرِ طَرْفُه أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ الأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكِيرَ وقَبِلَه))[1] وهو ما تحقق فعلا بعد أن اقامت هذه الدولة على حساب الناس واغتصب الامويون حق غيرهم لذلك فقدت اهليتها وبذلك زالت وانتقلت الى غيرهم، لأن سلطان الجور لا يدوم ، وإن دعوة الحق لا تموت [2].

سابعاً .سنة الله في هلاك الأمم: وهي سنة تاريخية عامة من سنن الله ونواميسه لا تتخلف ولا تتأجل ولا تخص جيلاً دون آخر ، بل تنطبق على جميع الأمم ولا تقتصر على قوم أو تتوقف في عصر، فهي سائدة على كل من عاند منهاج الله وصراطه المستقيم[3]، والهلاك في الاصطلاح هو ما ينزله الله بأعدائه من العذاب المستأصل[4]، وقد بين الله سبحانه وتعالى من خلال آيات القران الكريم هذه السنة وذكر الاقوام والأمم التي طبق عليها القانون الالهي .

ومن تلك الآيات القرآنية التي ذكرت هذه السنة بصورة صريحة قوله تعالى :((فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ))[5] أي عاقبناهم بتكذيبهم الرسل فمنهم بالحجارة وهم قوم لوط ، وقيل قوم عاد ومنهم أخذته الصيحة وهم ثمود وقوم شعيب، ومنهم من خسفت به الارض وهو قارون، ومنهم أغرقنا يعني قوم نوح وفرعون وقومه ولم يعذبهم من غير ذنب أو قبل إزاحة العلة ولكن بكفرهم وتكذيبهم الرسل، وفي هذا دلالة واضحة

[1] نهج البلاغة، ص١٥٢.
[2] مغنية، في ظلال نهج البلاغة ،١١٣/٢.
[3] رمضان خميس زكي، سنة الله في هلاك الأمم، ص٢٤.
[4] بابا سيلا، اسباب هلاك الأمم السالفة، ص٥٧.
[5] العنكبوت/٤٠.

على فساد مذهب أهل الجبر، فإن الظلم لو كان من فعل الله كما يزعمون، لما كان هؤلاء هم الظالمين لنفوسهم بل كان الظالم لهم من فعل فيهم الظلم تعالى الله عن ذلك[1]، فهذه الآية جامعة للأمم والاقوام التي اهلكها الله نتيجة اعمالهم التي كانت مقدمة لهلاكهم وهي حقيقة ثابتة أكدها القران الكريم .

وقد ساير الإمام علي عليه السلام هذه الحقيقة الربانية المتفاعلة مع الأمم المختلفة وبين أسباب انهيار تلك الأمم لانهم منعوا الحق وعملوا بسلوك اهل الباطل فيقول في ذلك:((إنما أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ الْحَقَّ فَاشْتَرَوْه وأَخَذُوهُمْ بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْه))[2] فقد نفّرهم عن منع الحقّ أهله، ومعاملتهم الناس بالباطل، لأنَّ ذلك هو سبب هلاك من كان قبلهم من أمثالهم إذ باعوه وتعوّضوا عنه بالباطل لمّا منعوا منه، أي اقتدوا الباطل وسلكوا فيه مسلك من أخذهم[3]، فقد بين الإمام عليه السلام سبباً من أسباب الهلاك وحذرهم منه وأمرهم بالابتعاد عنه والعمل على أداء الحق والوقوف الى جانبه.

لقد طرح القران الكريم قصص هذه الأمم وهلاكهم نتيجة أعمالهم مثل قصة هلاك فرعون ومحاربة للحق ولموسى وكيف نزل به العذاب وتمت ابادته بحكم السنن التاريخية كما جاء في

[1] الطبرسي، مجمع البيان ،٢٦/٨ .وينظر: الرازي، تفسير الكبير ،٦٧/٢٥ ؛ القرطبي، الجامع لأحكام القران ،٣٤٥/١٣ ؛مكارم شيرازي، التفسير الامثل ،٣٩١/١٢.

[2] نهج البلاغة ،ص٤٦٦.

[3] البحراني ، شرح نهج البلاغة ،٢٣٧/٥ ؛ المجلسي ،بحار الانوار ،٤٨٧/٣٣ ؛ حبيب الله الخوئي ،منهاج البراعة ،٤١١/٢٠.

قوله تعالى :((إذ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ))[1] ومعناه فصلنا بكم البحر وهلكنا فرعون وقومه وانتم تنظرون الى مصارعهم وهلاكهم [2]، فهذه القصة عبارة عن تطبيق عملي لتلك السنة التاريخية لأنَّ القصص القرآني تدور على أساس القواعد والثوابت التاريخية وذكرها جاء من أجل استخلاص الجانب المشرق منها وصرف الجانب المظلم وأخذ العبرة ومعرفة أرادة الإنسان في تلك القصص .

وهذا هو سر تكرار القران للقصة عدة مرات[3] وطرحها كشاهد والهدف منها هو ابراز السنة التاريخية إذ ذكرت في موضع آخر لقوله تعالى:((كَدَأْبِ آَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ))[4] اي كسنة آل فرعون وعادتهم، وفعلهم بموسى نبي الله في تكذيبهم إياه، وتصديهم لحربه وعادة من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها وصنيعهم، فأهلكناهم بذنوبهم أغرقنا وكل هؤلاء الأمم التي أهلكناها كانوا فاعلين ما لم يكن لهم فعله من تكذيبهم رسل الله والجحود لآياته[5] وهذه عقوبة الله تعالى لهؤلاء الكفار المشركين في الكفر بمحمد صلى الله عليه واله وسلم كعقوبته لآل فرعون[6].

---

[1] البقرة /٥٠.

[2] الثعلبي ،تفسير الثعلبي ،١٩٤/١ ؛السمعاني ،تفسير السمعاني ،٧٨/١ ؛الطبرسي ،مجمع البيان٢٠٧/١

[3] من الاقوام التي جرت عليها سنة الله في الهلاك وطبقت عليها العقوبة الإلهية وقد ذكرها القران الكريم كتطبيق لتلك السنة هم بني اسرائيل وذلك عندما اقترحوا على نبيهم موسى عليه السلام ان يروا ويشاهدوا الله جهرة لكي يصدقوا بما اخبرهم ، إذ نزل عليهم العذاب الالهي كما جاء في قوله تعالى :((وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ))البقرة/٥٥.

[4] الانفال/٥٤.

[5] الطبري ، جامع البيان ،٣٣/١٠.

[6] الطبرسي ،مجمع البيان ،٤٨١/٤ . وينظر :ابن الجوزي ، زاد الميسر ،٢٥٢/٣.

وفضلاً عن ذلك فأن الظلم من اسباب جريان هذه السنة التي طرحها الإمام كما جاء في قوله عليه السلام :((ولَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّه وتَعْجِيلِ نِقْمَتِه مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ فَإِنَّ اللَّه سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ وهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ))[1]، فقد نبه الإمام عليه السلام على ترك الظلم لكونه سبب رئيس في زوال النعم وتعجيل العقوبة والعذاب[2] لأنَّ من ظلم وجار فقد عاند اللَّه بالذات ، واستحق منه المقت والهوان دنيا وآخرة [3].

وهذه القانون الإلهي الصارم في هلاك الاقوام بسبب الظلم هو ما أكد عليه الإمام عليه السلام بمناسبة أخرى حينما قال :((الظلم يزل القدم ، ويسلب النعم ويهلك الأمم))[4] والظلم هنا يشمل كل انواع الفساد والذنوب، كما أن الهلاك هو الأخر لا يتعلق بجانب دون آخر وإنما شامل .

وهنا نلاحظ التناغم بين كلام الإمام عليه السلام والقران الكريم من خلال القصص القرآني عن الأقوام الهالكة[5] وتذكير الله سبحانه المسلمين بها كما جاء في قوله تعالى :((لَقَدْ

---

[1] نهج البلاغة ، ص٤٢٩.

[2] ينظر : الحسيني ، ديباج الوضي ،٢٥١٣/٥ ؛ البحراني ، شرح نهج البلاغة ،١٤٤/٥ ؛ حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ،١٥٨/٢٠.

[3] مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ،٥٢/٤.

[4] الامدي ، غرر الحكم ،ص١٨٧.

[5] ومن الاقوام الهالكة بسبب الظلم الذي يشمل عصيان الله تعالى والتمادي في ذلك لان الظلم المهلك هو الذي يصر أصحابه عليه وليس أي ظلم ومنهم طائفة من بني اسرائيل عندما عصوا الله من خلال اصطياد الاسماك يوم السبت الذي جعل محرماً عليهم فتن وبلاءً فكان ذلك سبباً في هلاكهم بالمسخ على هيئة قردة وخنازير كما قال عز وجل :((وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ

أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا))[1] يعني الأمم الماضية من قبل أهل مكة أهلكناهم لما كفروا وأشركوا وظلموا[2] ، وهنا اشارة الى معاقبة الأفراد الظالمين والمجرمين في هذه الدنيا، وقد نبهت المسلمين بعد أن أطلعتهم على تاريخ من قبلهم إلى أنهم إذا سلكوا طريق هؤلاء نفسه فسينتظرهم المصير نفسه[3]، وذلك لأن السنة الإلهية جارية على جميع الأمم والأفراد ولا تحابي احد وبتوفر الأسباب يصبح المصير واحد .

والملاحظ أنَّ الإمام علي عليه السلام سار على ما أراده القران الكريم في التثقيف والتخويف من جريان هذه السنة ،والامر ينطبق على ائمة اهل البيت عليه السلام على وجه العموم وهدفهم الاصلاحي في ذكر عقوبات الأمم الماضية وتشخيص اسبابها[4].

وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ))(الاعراف/١٦٣_١٦٦).ينظر: حميد سراج جابر، احمد فاضل، فلسفة ائمة اهل البيت الاصلاحية في تشخيص اسباب سقوط الحضارات،ص١٥٩؛ رمضان خميس زكي، سنة الله في هلاك الأمم، ص٩٦__٩٨.

[1] يونس /١٣.

[2] الثعلبي ، تفسير الثعلبي ،١١٩/٥ ، القرطبي ،الجامع لأحكام القران ،٣١٧/٨ .

[3] مكارم شيرازي ،التفسير الامثل ،٣١٧/٦.

[4] ينظر: حميد سراج جابر، احمد فاضل ، فلسفة ائمة اهل البيت الاصلاحية في تشخيص اسباب سقوط الحضارات ، جميع صفحاته.

المبحث الثاني

ضوابط ومحددات السنن التاريخية

ضوابط السنن التاريخية ومحدداتها:

ترتكز السنن التاريخية على ضوابط ومحددات عدة تمثل شروطاً أساسية لجريان تلك السنن، إذ أن هذه الشروط هي التي تتحكم بثبات السنة وحتميتها، ولاسيما أن أهم الأشكال التي اتخذتها السنن التاريخية هي شكل القضية الشرطية[1]، ويبنى الشرط بالأساس على إرادة الإنسان فهو الذي يختار تحقيقه لارتباطه بتحصيل الآثار والنتائج الايجابية التي هي سمة القوانين الإلهية، ومثل هذه القوانين تقدم خدمة كبيرة للإنسان في حياته الاعتيادية وتلعب دوراً في توجيهه بوصفها موجهاً علمياً للإنسان في حياته[2].

إن مجيء السنن على نحو أسلوب الشرط الذي يربط بين الشرط والجزاء هو توجيه من الله تعالى للإنسان في سلوكه وتبصره بالطريق الصحيح للوصول الى غاياته رحمة من الله تعالى بخلقه أنَّ هداهم الى المقدمات المطلوبة للحصول على الغايات والنتائج المرجوة أو المطلوبة لتوقي الآثار غير المرغوبة [3].

وإن المتتبع لكلام امير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة يجد ذلك التنوع في المحددات والشروط التي تتحكم بالسنن وجريانها، ولعل هذا التنوع يعكس التكامل في الجوانب التي تمثلها تلك القواعد، وهي ما يمكن دراستها وبيانها في هذا المقام.

[1] الصدر، السنن التاريخية في القران الكريم، ص٨٧.
[2] الصدر، السنن التاريخية في القران الكريم، ص٨٧.
[3] يوسف، السنن الاجتماعية في الميدان الاقتصادي، ص٢١٠.

ولعل أول هذه المحددات التقوى[1] التي برزت بوصفها نموذجاً دالاً على الضوابط في السنن التاريخية التي ذكرها الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة إذ تكاد تكون من أكثر الموضوعات التي تناولها عليه السلام[2] وذلك لان تقوى الله تعالى من اعظم الصفات التي يجب ان يتحلى بها الإنسان المؤمن فأكرم الناس عند الله هم المتقون كما في قوله تعالى:((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ))[3] فهذه منزله عظيمه ذكرها القران الكريم للمتقين ، وايضاً قيل في التقوى إنها شرف الآخرة كما جاء في قول النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم:((شرف الدنيا الغنى وشرف الأخرة التقوى))[4].

من هنا يتضح سبب جعل التقوى محدداً للخروج من الفتن والمصاعب كما عدها الإمام علي عليه السلام حينما قال :((واعْلَمُوا أَنَّه (مَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لَه مَخْرَجاً)[5] مِنَ الْفِتَنِ ونُوراً مِنَ الظُّلَمِ ويُخَلِّدْه فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُه ويُنْزِلْه مَنْزِلَ الكَرَامَةِ عِنْدَه فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِه ظِلُّهَا عَرْشُه ونُورُهَا بَهْجَتُه وزُوَّارُهَا مَلَائِك))[6] أي أن من خاف ربه ونهى نفسه عن الهوى يبتعد تلقائيا

---

[1] التقوى : الحذر، والاتقاء : الامتناع من الردى باجتناب ما يدعو إليه الهوى، التَّقْوَى في الشّرع حفظ النّفس عمّا يؤثم ، وذلك بترك المحظور. ينظر :الاصفهاني ، مفردات الفاظ القران الكريم،ص٨٨٢؛ الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ،٤٠١/٤؛ الطريحي، مجمع البحرين ،٤٤٩/١

[2] بيضون ، تصنيف نهج البلاغة ،ص٨٥٨-٨٥٢ ؛انصاريان ،الدليل على موضوعات نهج البلاغة ،ص٩٣٦؛ اويس كريم ،المعجم الموضوعي نهج البلاغة،ص١٥١-١٦٩.

[3] الحجرات/١٣.

[4] المتقي الهندي، كنز العمال ،٩٢/٣.

[5] الطلاق /٢.

[6] نهج البلاغة ، ص٢٦٦.

عن المزالف والمهالك ومنها الفتن واسبابها وينتفع المتقي بنور عقله وايمانه[١] ، إذ تعمل هذه الضابطة على إخراج من يعمل بها من كل الفتن والمصاعب لذلك نجد الإمام عليه السلام أكد عليها خلال الاستشهاد بالآية القرآنية التي قيل في شرحها :أي يجعل له مخرجا من الشدة الى الرخاء ومن الحرام الى الحلال ومن النار الى الجنة فمن صبر واتقى جعل الله له مخرجا من الضيق[٢] ونجاته من كل كرب في الدنيا والآخرة [٣] ، لذلك فأن المخرج الذي يترتب على العمل بالتقوى هو الخروج من الفتنة والانتصار فيها، فالمتقي يخرج من الفتنة سليماً [٤] ، وايضاً الفسحة والخير بعد الضيق والشر وضمان الكرامة الإنسانية بعد الخلاص من ظلم الجهل بأنوار العلوم الحاصلة عن الاستعداد بالتقوى[٥] ، وكذلك الخلود الأخروي في دار اصطنعها لخُلّص أوليائه[٦] ، ، فالتقوى والمخرج حادثان مترابطان احدهما شرط وهو التقوى والآخر جزاء وهو المخرج، وتحقق الجزاء يكون نتيجة حتمية لتحقق الشرط، هكذا تعمل السنن التاريخية ومن ثم ما يتبعها من آثار إيجابية نتيجة رعايتها .

لذلك نجد الإمام عليه السلام في كلامه عن ضابطة التقوى حدد أمرين حركيين أولهما منزلة التقوى العظيمة التي يستطيع الإنسان بها الخلاص من كل الفتن وثانيهما بيان ضابطة

---

[٧] مغنيه، في ظلال نهج البلاغة ،٤٥/٣.

[٢] الواحدي، تفسير الواحدي ،١١٠٧/٢.وينظر: الكاشاني ، زبدة التفاسير ،٨٨/٧.

[٣] الطبري ،الجامع لأحكام القران ،١٧٦/٢٨.

[٤] الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة ،١١٠/٣.

[٥] البحراني، شرح نهج البلاغة ،٤٠٤/٣.

[٦] الكيذري البيهقي ،حدائق الحقائق ،١٢٤/٢ . وينظر : حبيب الله الخوئي ،منهاج البراعة ،٣٩٠/١٠.

التقوى ونتائجها التي تبنى عليها لان التقوى حاجز يستطع به الفرد الخلاص من كل شيء فقد نقل عن الإمام علي عليه السلام قوله :((التقوى حرز لمن عمل بها))[1] .

التقوى ايضاً سبيل للابتعاد عن الشبهات والبدع التي تقتحم الناس وترمي بهم الى التهلكة ، فالإنسان معرض للوقوع فيها لكن وجود التقوى شرطٌ للخروج والتصدي لها كما قال الإمام علي عليه السلام :((ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ (وأَنَا بِه زَعِيمٌ)[2] إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَه الْعِبَرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْه مِنَ الْمَثُلَاتِ[3] حَجَزَتْه التَّقْوَى عَنْ تَقَحّمِ الشُّبُهَاتِ))[4] فالتقوى منعته من الدخول في موارد التهلكة[5]، لأنَّ عرفان حقائق الامور الدنيوية يمنع عن الوقوع في الشبهات[6]، فعندما يعرف يعرف الإنسان الحقائق عن طريق العبرة ويرى الامور باطله والاطلال زائله عندئذ يفيض الله على قلبه التقوى والخشية ويرفع التقوى شعاراً له ويمتنع عن أن يلقي نفسه في تلك الشبهات الباطلة لإشراق نور الحقّ الواضح على لوح نفسه بالاعتبار إذ جاء كلام الإمام عليه السلام في صورة شرطية متصلة[7] .

إن الإنسان العاقل إذا اعتبر بما وقع من حوادث التاريخ على الأمم الماضية وعرف الأسباب والعلل وعرف أنَّ لله سنناً وقوانين تجري على الحاضرين كما جرت على الماضين فلا

---

[1] الامدي، غرر الحكم ،ص١٠٩.
[2] يوسف /٧٢.
[3] المثلات : العقوبات .ينظر :الجوهري ،الصحاح ،١٨١٦/٥ ؛الرازي ،مختار الصحاح ،ص٣١٥.
[4] نهج البلاغة ، ص ٥٧.
[5] الخراساني ، مفتاح السعادة،٢٠٥/٤.
[6] البيهقي ، معارج نهج البلاغة ،ص٢٣٣.وينظر: الكيذري البيهقي ،حدائق الحقائق ،٢٠١/١.
[7] البحراني ، شرح نهج البلاغة ،٢٩٩/١. وينظر: شارح من أعلام القرن الثامن ، شرح نهج البلاغة ،ص١٨٤.

شك في أن هذا الاعتبار يمنعه عن دخول الشبهات، ويتضح من ذلك أن الإمام عليه السلام بين مخرج آخر يترتب على التقوى لكنه محدد ومشروط بالعبر والمعرفة التي تأتي بالتقوى لتكون حاجزاً أمام الوقوع في الشبهات بعد مشاهدة الامور وتمييزها.

لقد وصف الإمام عليه السلام التقوى هنا كونها حالة روحية معنوية من آثارها ضبط النفس وامتلاك ازمتها، فالإمام عليه السلام أعطى المصداق والوعد في تحقق السنة بتوافر ضابطة التقوى في كلامه السابق بقوله (ذمتي بما أقول رهينه وأنا به زعيم) اي حتمية الحدوث بوجود الشرط وهي صفة السنة التاريخية إذ أن كل الامور تجري بالمحددات المرتبطة بإرادة الإنسان.

ويمثل الشكر لله ضابطة وشرطاً آخر من الشروط التي حددها الإمام عليه السلام لجريان السنة، فالشكر هو عرفان الاحسان ونشره [1]، إذ يعد نعمة من نعم الله التي أنعمها على الإنسان وباباً من أبواب العبادة لله سبحانه وتعالى إذ فتحه الله لزيادة العلاقة بين العبد وربه من خلال الاعتراف والخضوع والله يجزي من يشكره فقد جاء في القران الكريم:((وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ))[2]اي نعطيهم جزاء الشكر[3] وكان كلام الإمام علي عليه السلام حول ضابطة الشكر امتداداً لقوله تعالى:((ولئن شكرتم لأزيدنكم))[4] أي أن من انشغل بشكر الله زاده الله من نعمته[5].

نعمته[5].

[1] الفراهيدي ، العين ،٢٩٢/٥؛الفيروز ابادي ،القاموس المحيط ،٦٢/٢ .
[2] ال عمران ،١٤٥.
[3] الطبرسي ، مجمع البيان ،٤٠٩/٢.وينظر: القرطبي ،الجامع لأحكام القران ،٢٢٧/٤.
[4] ابراهيم،٧.
[5] الرازي، تفسير الرازي،٨٦/١٩.

وهذه الفلسفة والغاية هي التي أشار إليها الإمام علي عليه السلام نتيجةً للشرط وذلك حينما قال :((ومَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ))[1] ، فالإمام بين منزله الشكر وفلسفته بدوام زيادة النعم على الإنسان والحث على استمرار تلك العلاقة والصلة عن طريق شرط الشكر والاعتراف لما في ذلك من بناء النفس عبر تلك العلاقة المتبادلة من عطاء وشكر بين الخالق والمخلوق وهو ما أشار اليه الإمام الباقر عليه السلام :((لا ينقطع المزيد من العطاء حتى ينقطع الشكر من العباد))[2] وقيل في شرح كلام الإمام علي عليه السلام : إذا كان الشكر بإخلاص كان سببا في اعداد النفس لقبول الصورة الإلهية من واهبها وهو شاهد الهي ناطق بذلك على وفق مقتضى العمل[3] .

يتضح من كلام العلامة البحراني أن ضابطة الشكر هي شرط إلهي تتحقق به السنة على وفق العمل به وبالاستمرار عليه تدوم النعم وهو ما يؤيد كلامنا حول ضابطة الشكر وشرطه في جريان السنة التاريخية، إلا إن جواب الشكر وهو الزيادة مشروطة بالصلاح لا أن تكون الزيادة فيها مفسدة ففي هذا الحالة يمنع من الزيادة[4]، ويظهر من ذلك شرطية الشكر لله حتى في الاجابة فتوافر الضوابط تصبح مطلقة في الجريان ومستمرة وهو حال السنن التاريخية.

---

[1] نهج البلاغة، ص٤٩٤. وتصديق ذلك في القران الكريم في قوله تعالى :((قَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ))غافر/٦٠

[2] ابن شعبة الحراني، تحف العقول ،ص٤٥٧؛ الطبرسي، مشكاة الانوار،ص٦٨ ؛ المجلسي، بحار الانوار ،٥٦/٦٨.

[3] البحراني ، شرح نهج البلاغة ،٣١٧/٥.

[4] الحسيني ، ديباج الوضي ،٢٨٣٢/٦.

ومن ذلك فأن نعم الله تعالى جميعاً يترتب عليها حق لله عز وجل وهذا الحق هو الشكر، وأداؤه كفيل بدوامها وعدم العمل به كفران بتلك النعمة ومن ثم إيذان بذهابها وهو ما عكسه الإمام عليه السلام بقوله :((إِنَّ لِلَّه فِي كُلِّ نِعْمَةٍ حَقّاً فَمَنْ أَدَّاه زَادَه مِنْهَا ومَنْ قَصَّرَ فِيه خَاطَرَ بِزَوَالِ نِعْمَتِه))[1] ومعنى شكر النعمة أن لا يغتر بها المنعم عليه ويطغى ، وأن يحسن الإنفاق منها على نفسه وأهله ، وإن بقيت بقية أغاث بها ملهوفا ، ونفّس كربة عن بائس[2] وهي دعوة الى أداء الوظائف من قبل الإنسان ومنها وظيفة الشكر التي لا تقتصر على ما يقوله اللسان فقط ، وإنما تتعدى الافعال مثلاً في اخراج حق الواجب من النعم واعطائها الى مستحقيها حيث تنفقه على الفقراء والمحتاجين وفي الامور التي تحقق رضا الله عز وجل، وفي هذا الامر حث على التكافل الاجتماعي والتعاون ما بين افراد المجتمع عن طريق العمل بالشكر الذي يوفر النعمة وتستمر به على وفق مبدأ الشرطية التي تجري بها السنن التاريخية ، إذ أكد الإمام عليه السلام ذلك في مناسبة اخرى بقوله (إِنَّ لِلَّه عبَاداً يَخْتَصُّهُمُ اللَّه بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ فَيُقِرُّهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا فَإِذا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ))[3] فهذه النعم مشروطة البقاء والدوام والاستمرار مادام البذل مستمر فإذا بخل العبد بهذا النعم وامتنع عن البذل سحبها الله من عنده وحولها الى غيره[4]، إذ نلاحظ العلاقة الموضوعية بين الشكر والزيادة ومتى ما تحقق الشكر تحققت الزيادة وهذه الأمر يحدث على وفق المنهج الإلهي السائر على الخلق جميعهم .

[1] نهج البلاغة ، ص٥١٢.
[2] مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ،٣٦٢/٤.
[3] نهج البلاغة ، ص٥٥.
[4] الموسوي ، شرح نهج البلاغه،٥١٤/٥.

من الضوابط والمحددات الأخرى التي تعتمد بالأساس على إرادة الإنسان في نفاذ السنة التاريخية هو شرط الصبر الذي يعد ركيزة دالة على مبدأ الشرطية في جريان السنة التاريخية وتطبيقها ، فقد بين القران الكريم هذه الضابطة ووضح آثارها وما يترتب على العمل بها ووجه الإنسان لذلك في طريقه لتحقق مبتغاه كما جاء في قوله تعالى :((أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ))[1] وهنا الاستعانة بالصبر في توطين النفس على الأمور تسهيلا لها واستشعار الصبر إنما هو توطين النفس[2] ، فالصبر يحتاج الى ثبات ومقاومه واطمئنان النفس حتى يتم الظفر.

وهذا الظفر هو غاية وفلسفة الإمام علي عليه السلام من طرح الصبر كمحدد لتطبيق القوانين والنواميس التاريخية وذلك حينما قال عليه السلام :((لَا يَعْدَمُ الصَّبُورُ الظَّفَرَ وإِنْ طَالَ بِه الزَّمَانُ))[3] وقد اتفق أغلب الشارحين لنهج البلاغة على معنى الصبر وعاقبته كشرط لتفعيل السنة التاريخية الحتمية إذ يحصل العامل به على مرادهُ[4] ، فطالب العلم ينجح إذا ثابر وصبر ، والشعب الثائر من أجل حريته يتحرر إذا استمر في الثورة [5]، ومن ذلك كانت غاية الإمام علي عليه السلام الحث على الاستمرار بالصبر والعمل به عبر تبشير الصابرين بالظفر حتى تطمأن أنفسهم للعمل وآثره الذي يتطلب الثبات والقوة لكي تجري السنن التاريخية ومنها سنة التمكين والنصر وسنة الاستخلاف وما شابها من سنن.

---

[1] البقرة/١٠٣.

[2] الطوسي،التبيان،٣٣/٢ .وينظر :ابن الجوزي ،زاد الميسر ،١٤٦/١

[3] نهج البلاغة ، ص٤٩٩.

[4] الحسيني ، ديباج الوضي ،٢٨٥٨/٦ ؛ حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ،٢٣٧/٢١؛ الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ،٣٤٥/٤.

[5] مغنية ، شرح نهج البلاغة ،٣٢١/٤.

فالصبر من أقوى الأسباب الداعية للنصر كما قال الإمام علي عليه السلام :((واسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّه أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ))[1] ومعناه اجعلوه شعاركم فهو من أقوى اسباب النصر[2] ومهما كان قاسياً ومراً ومهما كان دربه طويلاً وشاقا فأن لذه النصر والفوز بالمطلوب تهويه وتيسره على أهله وما من أمة صبرت الا وظفرت وفي التاريخ شواهد كثيره وعلى راسها امتنا الإسلامية في بداية تكوينها[3]، إذ ان عاقبة الصبر ثابتة لا تتغير على مر العصور وهذا ما اكد عليه الإمام علي عليه السلام فيما نقل عنه في غرر الحكم :((الصبر كفيل بالظفر))[4] وكذلك ما نقل عن الإمام الصادق عليه السلام :((الصبر يعقب خيرا فاصبروا تظفروا))[5] ومن هنا يتضح أن سنن الله الجارية من تمكين واستخلاف وتغيير لا يمكن ان تطبق الا بوجود محدد الصبر الاساسي لجريان تلك السنن ، لذا كان تأكيد وتثقيف الإمام علي عليه السلام لهذا المحدد والشرط لتفعيل دور الإنسان في تطبيق القوانين وما تعكسه من اثار كبيرة مهمة تخدم مصالحة.

ومن الضوابط والمسببات لحدوث السنن التاريخية ضابطة الاستغفار إذ يترتب على وجوده آثار كثيرة ثابتة لا تتغير طالما أستمر الاستغفار، فهذه الضابطة التي تعد دواء لكل ذنب وفيها رضا الله سبحانه، فقد دعا الله تعالى والرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم والائمة الاطهار عليهم السلام الى الاستغفار لما فيه من أثر مهم في تركيب النفس البشرية وإبعادها عن

[1] نهج البلاغة ، ص٦٨.

[2] البحراني، شرح نهج البلاغة، ٢٨/٢. وينظر: حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة، ٣٧٦/٣؛ الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ،١٤٧/١.

[3] الموسوي ، شرح نهج البلاغة ،٣٤١/٥.

[4] الأمدي ، ص١٧٣.

[5] الطبرسي ، مشكاة الانوار ،ص٥٨ ؛ المجلسي ،بحار الانوار ،٩٦/٦٨.وورد هذه الحديث في الكافي الشريف باختلاف الفاظ:((الصبر يعقب خيرا ، فاصبروا ووطنوا أنفسكم على الصبر توجروا)) الكليني ،٨٩/٢.

كل الذنوب، إذ قال النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم :((يا ايها الناس استغفروا الله وتوبوا اليه فأني استغفر الله واتوب اليه في اليوم مئة مرة))[1].

فيما نجد أن الإمام علي عليه السلام ذكر الاستغفار ودعا اليه كشرط لتحقق السنن التاريخية وذلك في قوله :((ومَنْ أُعْطيَ الِاسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةَ))[2] فقد أراد امير المؤمنين عليه السلام من ذلك تهذيب النفوس بالمواظبة على الاستغفار والتقرب من الله سبحانه وتعالى وكذلك محو السيئات وادخال السكينة والاطمئنان الى النفس وهذا الاستغفار المشار إليه من قبل الإمام الذي يذيب كل الذنوب امامه يجب أن يكون خالصاً لله حتى يتقبل الرحمة الإلهية من واهبها[3] اولاً، وأن يتنزه المستغفر عن كل شيء محرم نهى الله عنه إذ لا يعود الى ارتكاب المعاصي مرة أخرى بل يمتنع عنها[4] ثانياً ، وأن لا يقتصر على القول فقط وإنما يبرهنه بالأفعال، فالاستغفار ليس ما أعتاد عليه الناس من قلقلة اللسان فحسب ، ما في داخل القلب يترجمه اللسان[5] ثالثاً.

وقد كان كلام أمير المؤمنين عليه السلام مصداقاً لقوله تعالى :((وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا))[6]والمراد بهذه الآية العموم والشمول لجميع

[1] الطبراني، الدعاء، ص٥١٤ ؛ السيوطي، الدر المنثور في بالتفسير بالمأثور ،٧٢/٦؛ المتقي الهندي، كنز العمال ،٤٨٤/١.
[2] نهج البلاغة ، ص٤٩٤.
[3] البحراني ، شرح نهج البلاغة ،٣١٧/٥.
[4] التميمي ، صفوة شروح نهج البلاغة ، ص٧٨٨.
[5] الموسوي ، شرح نهج البلاغة ، ٣١٦/٥
[6] النساء/١١٠.

الخلق[1] وتظهر هنا سمات السنة التاريخية من شمول وعموم لكن هذا الاستغفار مشروط بالتوبة أي استغفار غير عائد ، لأنه إذا عزم على العودة فليس بتائب[2].

إن الاستغفار هو وسيله للنجاة والعبور في اوقات الضيق والشدة إذ تترتب على العمل به نتائج ايجابيه على وفق السنن التاريخية، فقد جعله الله عز وجل سبباً للرزق والرحمة والخلاص من كل شدة وهذا ما أكده الإمام علي عليه السلام في خطبه الاستسقاء[3] إذ كانت الأمة تعاني من قلة المطر وذلك بقوله :((وقَدْ جَعَلَ اللَّه سُبْحَانَه الِاسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ ورَحْمَةِ الْخَلْقِ فَقَالَ سُبْحَانَه (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّه كانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً ويُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وبَنِينَ ويَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ ويَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً)[4] فَرَحِمَ اللَّه امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَه))[5] فقد بين الإمام جزاء شرط الاستغفار هو أنَّ يجعل الرزق دائماً متواصلاً لا ينقطع[6]، لأَّن الاستغفار والتوكل على اللَّه مفتاح التوفيق إلى العمل ويدر الرزق الذي يحتاج الى كد وعرق وعمل[7] واستدل الإمام عليه السلام على ذلك بالآية التي أمر نوح عليه السلام فيها قومه بالاستغفار ،

[1] القرطبي ،الجامع لأحكام القران ،٣٨٠/٥.

[2] النحاس ،معاني القران ،٨٧/٢ .وينظر : الطوسي ،التبيان في تفسير القران،٣٢١/٣ ؛ الطبرسي ،مجمع البيان،١٨٦/٣.

[3] خطبة الاستسقاء :وهي واحده من خطب الإمام علي عليه السلام التي كانت يخطبها بعد صلاة الاستسقاء في مقام طلب السّقيا وتوفير المياه وعادتاً تكون في الصحراء والبراري او في مساجد مكة . ينظر :المفيد ، الهداية، ص١٥٧، الطوسي ،المبسوط ،١٣٤/١.

[4] نوح /١٢.

[5] نهج البلاغة ، ص١٩٩.

[6] الدخيل، شرح نهج البلاغة ، ١٨/٢.

[7] مغنيه ، شرح نهج البلاغة ،٣١٧/٢.

يعنى التوبة عن الذنوب، وقدم إليهم الموعد بما هو واقع في نفوسهم، وأحب إليهم من الأمور الآجلة فمنآهم الفوائد العاجلة ترغيبا في الايمان وبركاته والطاعة ونتائجها[١] .

لقد وظف عليه السلام النص القرآني لتأكيد الحتمية لمبدأ الشرطية لكنه مشروط بالعمل الذي يوفر النتائج الايجابية ، والآية تهدف إلى أن الرجوع إلى الله وإقامة دينه وأحكامه يسوق المجتمع إلى النظم والعدل والقسط وفي ظله تتركز القوى على بناء المجتمع على أساس صحيح ، كما أن العمل على خلاف هذه السنة ينتج خلاف ذلك[٢] ، وتظهر هنا الرابطة المعنوية المادية بين الايمان والخير والصلاح وبين الكفر والشر والفساد ، لذلك يعد الاستغفار وسيلة للرجوع الى الله والايمان به والعمل والعودة الى القانون الالهي ومن ثم نزول الخيرات والامطار على الإنسان إذ أرشدهم عليه السلام الى الخلاص ووعدهم بالرزق شرط العمل بالاستغفار، ونستنتج من ذلك تأكيد الإمام عليه السلام على أمرين :

١_أهمية الاستغفار ومنزلته في بناء الإنسان الصالح إذ يكون سبباً في البناء وانفتاح ابواب الخيرات على عكس الكفر الذي يسبب الخراب.

٢_ ثبات الإثر الذي يأتي نتيجة الاستغفار ومن ذلك استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام بالآية القرآنية التي تخص الاستغفار وآثره، لأنَّ مبدأ السببية قائم على التلازم بين السبب والمسبب على قاعدة شرطية .

[١] ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،٧٨/٨/٩.
[٢] السبحاني ، الالهيات ، ص٥٣٦.

وتعد الصدقة ضابطة أخرى لتفعيل السنة التاريخية، فالصدقة هي المحدد الذي يترتب عليه أن يكون الجزاء مناسباً للمسبب ، إذ أن توافره يحدث السنن التاريخية سواء كانت سنة النصر أم التمكين وغيرها من السنن، فالعمل به يخلف آثاراً كثيرة جعلته من المواضيع التي أكد عليها أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة وذكرها بوصفها سبباً لجريان السنة التاريخية من أجل تربية الناس على العمل وفعل الخيرات كما جاء في قوله :((اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ))[1] إذ أراد الإمام علي عليه السلام من ذلك تربية المجتمع على المساعدة والصدقة فيما بينهم حتى تعود خيراتها عليهم، فهي دعوة الى الخير وكسب الرزق عن طريق الصدقة أولاً، والحث على الصدقة لأنها متاجره مع الله سبحانه فهي تجارة مربحة ومضاعفة حتى وان كنت فقيراً ولا تملك إلا القليل ثانياً، وهو ما يفسر قوله في موضع أخر :((إذا أَمْلَقْتُمْ[2] فَتَاجِرُوا اللَّه بِالصَّدَقَةِ))[3].

وقد قيل في شرح ذلك: إن الصدقة سبب لاستنزال الرزق وقسمته من عند الله تعالى [4] مع إن لكل نفس رزق مقدر[5] ، فقد قال الله عز وجل في معنى ذلك :((أَنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ))[6] اي إن تنفقوا في طاعة الله متقربين إليه يجزكم بالضعف [7]، ويتضح من

---

[1] نهج البلاغة، ص ٤٩٤.

[2] املقتم :الفقر والحاجه .ينظر :الفراهيدي ،العين ،١٧٤/٥ ؛الطريحي ،مجمع البحرين ،٢٣٦/٥.

[3] نهج البلاغة ،ص ٥١٥. ونذكر في هذا المقام قول الإمام الصادق عليه السلام في ذلك :((إني لأملق أحيانا ، فأتاجر الله بالصدقة)) .ينظر : المجلسي ، بحار الانوار ،٢٠٦/٧٥.

[4] الحسيني ، ديباج الوضي ،٢٨٤٣/٦.

[5] القمي ،شرح حكم نهج البلاغة ،٢١ .وينظر: حبيب الله الخوئي ،شرح نهج البلاغة ،٢١٠/٢١.

[6] التغابن/١٧.وكذلك قوله:((مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ))البقرة/٢٦١.

[7] الرازي ، تفسير الرازي ،٢٨/٣٠.

ذلك أن يكون العطاء من اجل التقرب الى الله وفي سبيل مرضاته وكذلك مقروناً بالإخلاص وطيب النفس[1] وإن عطاء الله يزيد ويتضاعف للخلق كلما اعطي لله شيء وتصدق به لأنه المالك لكل شيء والقادر عليه.

وتكامل هذا القول مع قول آخر للإمام عليه السلام :((مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطَ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ))[2] إذ قال الشريف الرضي في معنى ذلك : (إن ما ينفقه المرء من ماله في سبيل الخير والبر وإن كان يسيراً فان الله يجعل الجزاء عليه عظيماً كثيراً واليدان هنا عبارة عن النعمتين ، ففرق عليه السلام بين نعمة العبد ونعمة الرب ذكرهما بالقصيرة والطويلة فجعل تلك القصيرة وهذه الطويلة لان نعم الله ابداً تضاعف عن نعم المخلوق اضعافاً كثيره إذ كانت نعم الله اصل النعم كلها فكل نعمة اليها ترجع ومنه تنزع)[3]، لكن العطاء هنا لا يقتصر على الأنفاق كما فهمه الشريف الرضي بل يمتد الى العمل والجهد الذي يقوم به الإنسان في سبيل الخير[4] ، وهنا تظهر رمزية السنة التي هي شرط للإرادة الإنسانية التي يتوقف عليها نجاح الفعل أو فشله ومبدأ الشرطية في الفكر الاسلامي الذي يمثله امير المؤمنين عليه السلام وهو الفعل والأخذ بالأسباب لجريان السنة التاريخية المطلقة.

[1] النسفي، تفسير النسفي ،٣٥٣/٤؛ البيضاوي، تفسير البيضاوي،٣٤٧/٥؛ الالوسي ، تفسير الالوسي ،١٢٨/٢٨.
[2] نهج البلاغة ، ص٥٠٩.
[3] عبده ، شرح نهج البلاغة ، ص٦٧٦.
[4] مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ،٢٥٥/٤.

وقد كان كلام الإمام عليه السلام مصداقاً لقوله تعالى :((منْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا))[1] وهو تضعيف الجزاء في الطاعات اي من جاء بخصلة من خصال الطاعة فله عشرة امثالها من الثواب[2]، فهذا أقل درجات الثواب وذلك أن الحسنة تصدر بظهور القلب ، والسيئة بظهور النفس ، فأقل درجات ثوابها أنه يصل إلى مقام القلب الذي يتلو مقام النفس في الارتقاء تلو مرتبة العشرات للآحاد في الأعداد[3]، هذا الاثر الذي يتحقق على القيام بالصدقة جاء على وفق مبدأ الشرطية وهو مبدأ سنني أقام الله عليه نظام الحياة واجرى عليه مصالح العباد وقضايا الجزاء والثواب، فهو ثابت لا يتغير ومطرد في كل زمان ومكان.

وفضلاً عن الصدقة تعد الطاعة شرط أساس لجريان القواعد والنواميس التاريخية التي طرحها الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة، فالطاعة مقدمة للوصول الى الخير ومرضاة الله عز وجل وقد جاء التأكيد عليها من الإمام عليه السلام كونه محدد لنفاذ السنة التاريخية حينما قال :((ولَا تُنَالُ مَرْضَاتُه إِلَّا بِطَاعَتِه))[4]اي لا تنال الرضي بشيء من الاشياء الا بطاعته التي تجب له وهو اهل لها دون غيره [5] ، إذ يستحيل على الإنسان الوصول الى ما يريد من سعادة وسلام وطمأنينة الا بطاعة الله واتباع منهجه وشريعته، وهذه الطاعة التي اشار إليها الإمام عليه السلام هنا تحمل عدة أمور:

---

[1] الانعام/١٦٠.وكذلك قوله تعالى :((مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا)). النمل/٨٩ .

[2] الطبرسي ، تفسير البيان،٣٠٤/٤.

[3] ابن عربي ، تفسير ابن عربي ،٢٤٩/١.

[4] نهج البلاغة ، ص١٨٨.

[5] الحسيني ، ديباج الوضي ،١٠٧٠/٣.

١_الطاعه الخالصة التي تختلف عن الظاهرة.

٢_الطاعة هنا الاخلاص بالعمل وعدم الفساد في الأرض والتقرب من الله كما قال الإمام الباقر عليه السلام :((والله ما يتقرب الى الله الا بالطاعة))[١].

٣_ بيَّن حق من حقوق الله على العباد وهو الطاعة له والانقياد الى أوامره كما اشار في قوله عليه السلام :((لَكِنَّه سُبْحَانَه جَعَلَ حَقَّه عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوه وجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْه مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفَضُّلًا مِنْه))[٢] .

ويعد الدعاء مثل سائر الشروط الاخرى كالتقوى والصبر فهو محدد لحدوث السنة التاريخية ويعتبر من الاعمال الصالحة التي يقوم بها الإنسان وليس هناك سبب أفضل من الدعاء في جلب الرزق ودفع البلاء وقد اكد الإمام علي عليه السلام على الدعاء كضابطة لحدوث السنة الإلهية في عدة مواضع ومنها قوله :((مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الإِجَابَةَ))[٣] والاستجابة هنا ايضاً مشروطه بخلوص النية وصفاء القلب والتوبة واصلاح النفس حتى يستجيب الله للعبد ويقضي حاجته، فالدعاء لله عز وجل يعمق العلاقة بين الخالق والمخلوق ويجعله يسلم أمره الى الله تعالى ويدفعه نحو ربه ، لذلك نجد الدعاء شرطاً مضموناً الاجابة من قبل الخالق فقد قيل في ذلك: (إذ دعا العبد ربه مع استجماع شروط الدعاء وأهمها أن يكون قائما بالواجبات مبتعداً عن

[١] الصدوق، الاعتقادات في دين الأمامية ،١١٢؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين،ص٢٩٤؛ ابن ادريس الحلي، مستطرفات السرائر، ص٦٣٦.

[٢] نهج البلاغة، ص٣٣٣.

[٣] نهج البلاغة، ص٤٩٤. وقول الإمام عليه السلام هنا ممثل لما جاء في كتاب الله تعالى في قوله :((وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)).غافر/٦٠

المحرمات ملتزما بأمر الله استجاب الله دعاءه)[1] ، كذلك الاجابة مشروطه بالصلاح فإذا كانت فيها مفسده في أمر الدين والدنيا لا يجاب الدعاء فيها[2] وعلى الداعي أن يفهم سنن الله تعالى التكوينية والتشريعية ، وأن يدعو ضمن دائرة هذه السنن ، فليس من مهمة الدعاء أن يتجاوز هذه السنن التي تمثل إرادة الخالق التكوينية ورحمته ولطفه[3].

وكلام الإمام عليه السلام هنا مصداق لقوله تعالى :((وَإِذا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إذا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ))[4] وللدعاء هنا آدابٌ وشرائط هي أسباب الاجابة ونيل الامنية ، فمن راعها واستكملها كان من أهل الاجابة ومن أغفلها واخل بها لم ينل شيء[5] ، وهذه تأكيد على شروط وضوابط الدعاء والاجابة ، فعند توفرها يصبح الامر مطلق في الجريان وهو سمه السنة التاريخية المستمرة الشاملة.

ولعل الإمام الصادق عليه السلام أكد هذه المفهوم بما ورد عنه أنه قال:((كان في بني اسرائيل رجل فدعا الله ان يرزقه غلاما ثلاث سنين فلما رأى ان الله لا يجيبه قال: يا رب أبعيد منك فلا تسمعني ام قريب انت مني فلا تجيبني قال: فأتاه آت في منامه فقال: انك تدعو الله عز وجل منذ ثلاث سنين بلسان بذئ وقلب عاتٍ غير نقي ونيه غير صافيه فأقلع عن بذائك

[1] الموسوي، شرح نهج البلاغة ،٣١٦/٥.
[2] الحسيني، ديباج الوضي ،٢٨٣٢/٦.
[3] مركز الرسالة، الدعاء حقيقته وآدابه واثاره ، ص٨٨.
[4] البقرة/١٨٦.
[5] الثعلبي ، تفسير الثعلبي .٧٦/٢.

وليتق الله قلبك لتحسن نيتك ،قال: ففعل الرجل ذلك ثم دعا الله فولد له غلام))[1]، فأبواب الاستجابة التي يفتحها الله عز وجل للمخلوق لا تغلق مادام باب الدعاء مفتوح من قبل العبد وهذا ما أشار اليه الإمام علي عليه السلام بقوله :((ما كان لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الدُّعَاءِ ويُغْلِقَ عَنْه بَابَ الإِجَابَةِ))[2] أي يوفقه لان يدعوه بجميع حوائجه ويقضيها له ولا يغلق عليه باب الاجابة لان ذلك لا يليق بحكمة الله تعالى ولا بعدله[3] ، وهذا الدعاء مشروط بالعمل حتى ينال العبد ما يريده من رزق ونجاح وظفر ، فجميع الحوائج لها وسائل لابد من العمل بها من أجل أن يقضي الله تلك الحوائج ولا يحل الدعاء محل تلك العوامل بل يعقب العمل او يسبقها لان الدعاء قد يكون المقدمة التي تترتب عليها النتيجة، كما قال الإمام علي عليه السلام :((لداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر))[4]،أي إن الدعاء لا يصل الى الهدف والاستجابة ما لم يوجهه ويدفعه العمل كالسهم الذي لا يصيب دون الوتر الذي يدفعه.

كذلك يعد اصلاح النفس شرطاً أساسياً في حصول حركية والتطبيق العلمي للقواعد والنواميس الإلهية التي تأخذ الطابع التاريخي وإذا توافرت هذه الضابطة تفعل سنة التمكين والاستخلاف وما شابه[5]، فهو منطلق ومحدد لإصلاح الذات والمجتمع والحياة عموما ويستطيع الإنسان بها معالجة سائر القضايا وتحصيل مختلف متطلبات الحياة لأنه صاحب دور رئيس من خلال العمل ومن ثم جريان السنة التاريخية المرتبطة بفعل الإنسان.

---

[1] الكليني ، الكافي ،٣٢٥/٢ ؛ المجلسي، روضة المتقين ،١٠٧ ؛ المجلسي ،بحار الانوار ،١٧٣/٥٨.
[2] نهج البلاغة ، ص٥٥٣.
[3] الحسيني ، ديباج الوضي ،٣٠٥٢/٦.
[4] نهج البلاغة ، ص٥٣٤.
[5] حميد سراج جابر، التوظيف الفكري للسنن القران التاريخية في مواجهة الارهاب، ص٩.

لذا نجد الإمام علي عليه السلام ركز عليها وثقف لها ومنها قوله عليه السلام :((مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَه وبَيْنَ اللَّه أَصْلَحَ اللَّه مَا بَيْنَه وبَيْنَ النَّاسِ ومَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِه أَصْلَحَ اللَّه لَه أَمْرَ دُنْيَاه ومَنْ كَانَ لَه مِنْ نَفْسِه وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْه مِنَ اللَّه حَافِظٌ))[1] فالرابطة بين العبد وربّه هي رابطة العبودية واصلاح ما بين العبد والرّب بأداء ما يجب عليه من حقّ الله وحسن الطاعة له ، وقد أمن الله فيما أوجب على عبده جميع ما يلزم له من حسن المعاملة مع الناس وجلب مودّتهم له ، فإصلاح ما بينه وبين الناس أثر لازم يترتّب على إصلاح ما بينه وبين ربّه ، كما أنّ إصلاح أمر الآخرة بإقامة الفرائض والتجنّب عن كلّ محرّم، أثره أداء وظيفة العبوديّة، فأصلح الله أمر دنيا ذلك العبد بكفالة رزقه وتحسين أحواله، ومن يعظ نفسه فهو شاغل بها مصلح لها دائما ومراقب عليها ، فكان في حفظ الله تعالى[2]، هذا الاصلاح أمر مهم تترتب عليه آثار كبيرة تخدم الإنسان ومجتمعه، فجميع المجتمعات المتحضرة والمتطورة والخالية من الفساد تجد الإنسان فيها يبدأ بنفسه في عملية الاصلاح حتى ينعكس هذا الامر على المجتمع ،على عكس المجتمعات المتدهورة التي ينتشر فيها الفساد لعدم وجود افراد مصلحين لأنفسهم أولاً ولمجتمعهم ثانياً ومن ثم اصلاح الدولة وتطورها وهذه ما تقرره السنن التاريخية الحاكمة للأمم والأفراد.

من جانب أخر اكد الإمام علي عليه السلام على أن تكون العلاقة بين أعمال الإنسان الظاهرية وسريرته الداخلية متطابقة متماثلة لا أن تكون مختلفة ، إذ قال عليه السلام في هذا الشأن:((مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَه أَصْلَحَ اللَّه عَلَانِيَتَه ومَنْ عَمِلَ لِدِينِه كَفَاه اللَّه أَمْرَ دُنْيَاه ومَنْ أَحْسَنَ

[1] نهج البلاغة،ص٥٥٢.

[2] حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ،١٣٥/٢١ . وينظر: الموسوي ، شرح نهج البلاغة ،٢٨٦/٢.

فِيمَا بَيْنَه وبَيْنَ اللَّه أَحْسَنَ اللَّه مَا بَيْنَه وبَيْنَ النَّاسِ))[1] فلا ريب أن الأعمال الظاهرة تبع للأعمال الباطنة، فمن صلح باطنه صلح ظاهره وبالعكس، وذلك لان القلب أمير مسلط على الجوارح ، والرعية تتبع أميرها[2]، اي إذ كانت اعمال الإنسان وسلوكه طيبه حسنه من الباطن كان سلوكه طيبا من الظاهر وإذ كانت افعاله سيئة فأنها نابعة من سريرته السيئة وهو ما عززه الإمام عليه السلام في موضع اخر بقوله:((اعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلَى مِثَالِه فَمَا طَابَ ظَاهِرُه طَابَ بَاطِنُه ومَا خَبُثَ ظَاهِرُه خَبُثَ بَاطِنُه))[3] لان افعال الإنسان انعكاس لما في داخله وهي حقيقه ادركها الإمام عليه السلام وطرحها للناس كقانون تاريخي ثابت من أجل إصلاح الذات واحترام النفس.

ومن ذلك فقد ثقف وحث الإمام علي عليه السلام الفرد بإصلاح نفسه اولا ثم إصلاح المجتمع لان من لا يستطيع تغيير ما في نفسه لا يمكنه احداث تغيير ايجابي في المجتمع بسبب العجز الذي يصيبه كما قال الإمام علي عليه السلام :((اعجز الناس من عجز عن اصلاح نفسه))[4] ، فالعاجز عن إصلاح نفسه كيف يقدر على اصلاح غيره لذلك على الإنسان ان ينصب جهوده لإصلاح نفسه ومعالجتها لكي تتوفر الارضية الصالحة التي من خلالها يتم اصلاح الاخرين والمجتمع.

[1] نهج البلاغة ، ص٥٥٢.
[2] ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،٦٨/٢٠.وينظر: المجلسي، بحار الانوار، ٢٦٧/٦٨.
[3] نهج البلاغة، ص ١١٦.
[4] الامدي، غرر الحكم ، ص٣٨.

ونلاحظ مما تقدم ان مبدأ الشرطية في فكر الإمام علي عليه السلام قد شغل مساحة واسعة وكبيرة بالنسبة للسنن الاخرى وإن جميع السنن تعتمد اعتماداً كلياً على هذا المبدأ على الرغم من انها سنن قائمة بذاتها ، وهذه يشير الى تأكيد الإمام علي عليه السلام على ارادة الإنسان اولاً ، والدعوة والحث على العمل ومراعاة تلك السنن للحصول على نتائج ايجابية ثانياً.

الفصل الثالث

آليات واساليب طرح السنن التاريخية

من المعلوم أنّ الأسلوب والإلية التي تتبع في إيصال أي فكرة دينية أو سياسية أو اقتصادية الى الناس إنما يعتمد على نوع هذه الفكرة ومتلقيها فضلاً عن صاحب الأسلوب الذي يعتمد على درجة علمه وامكانيته، وهو أمر لا يمكن أن يتنافس به أحد مع الإمام علي عليه السلام بعد الرسول صلى الله عليه واله وسلم، فقد كانت له استراتيجية متكاملة في طرح الأسلوب الامثل الذي يتناسب مع كل الفئات، وهو أسلوب يجمع بين الجانب الترغيبي والجانب الترهيبي ولكن بنسب متوازنة حسب طبيعة المقابل.

لذا لا نستغرب إذا وجدنا أن نصوص نهج البلاغة زخرت بالجانبين معاً في طرح الإمام علي عليه السلام عن السنن التاريخية ، لرغبته عليه السلام بضمان تحقيق الغايات والأهداف المبتغاة منها .

المبحث الاول /الآليات والاساليب الترغيبية

لقد تعددت الأساليب التي اتخذها الإمام علي عليه السلام في الجانب الترغيبي وأخذت أشكال عدة على وفق منهج بناء يقوم على تشجيع الناس وترغيبهم بتحقيق المكاسب على حسب تعاطيهم مع السنة التاريخية ويمكن أن ندرس هذه الاساليب كما يأتي:

اولا. أسلوب الاغراء :واحد من الاساليب الترغيبية التي استخدمها الإمام علي عليه السلام في التثقيف للسنة التاريخية هو أسلوب الاغراء، إذ أن الاغراء يعني الحض على الشيء والتحريض

علية والترغيب فيه ببيان محاسنه ومنافعه من أجل الالتفات إليه والاقبال عليه[1] ، ويقال الاغراء هو تنبيه المخاطب على محمود أمر ليلزمه[2].

لقد طرح الإمام عليه السلام بعض السنن بأسلوب الاغراء وتثقيف المجتمع على العمل بها وعدم تركها وتحديها، لأنَّ النتائج المترتبة على تطبيقها مقدمة للتنمية، ومن ذلك التثقيف والترغيب بالعودة للفطرة التي هي سنة الدين إذ قال الإمام عليه السلام فيها :((هَذَا الإِسْلَامَ دِينُ اللَّه الَّذِي اصْطَفَاه لِنَفْسِه واصْطَنَعَه عَلَى عَيْنِه وأَصْفَاه خِيَرَةَ خَلْقِه وأَقَامَ دَعَائِمَه عَلَى مَحَبَّتِه إِذلَّ الأَدْيَانَ بِعِزَّتِه ووَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِه وأَهَانَ أَعْدَاءَه بِكَرَامَتِه وخَذَلَ مُحَادِّيه بِنَصْرِه وهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ بِرُكْنِه وسَقَى مَنْ عَطِشَ مِنْ حِيَاضِه ثُمَّ جَعَلَه لَا انْفِصَامَ لِعُرْوَتِه ولَا فَكَّ لِحَلْقَتِه ولَا انْهِدَامَ لأَسَاسِه ولَا زَوَالَ لِدَعَائِمِه ولَا انْقِلَاعَ لِشَجَرَتِه عُيُونُهَا ومَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا ومَنَارٌ اقْتَدَى بِهَا سُفَّارُهَا وأَعْلَامٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا[3] ومَنَاهِلُ[4] رَوِيَ بِهَا وُرَّادُهَا جَعَلَ اللَّه فِيه مُنْتَهَى رِضْوَانِه وذِرْوَةَ دَعَائِمِه وسَنَامَ طَاعَتِه فَهُوَ عِنْدَ اللَّه وَثِيقُ الأَرْكَانِ رَفِيعُ الْبُنْيَانِ مُنِيرُ الْبُرْهَانِ مُضِيءُ النِّيرَانِ عَزِيزُ السُّلْطَانِ مُشْرِفُ الْمَنَارِ مُعْوِذُ الْمَثَارِ فَشَرِّفُوه واتَّبِعُوه وأَدُّوا إِلَيْه حَقَّه وضَعُوه مَوَاضِعَه))[5]

---

[1] ينظر :المبرد ، الكامل في اللغة والادب ،٢٥٩ ؛ الكفوي ،الكليات ،٢٤٦/١.

[2] ابراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ،ص٦٥١. وهناك معنى سلبي للإغراء غير الذي نقصده وهو معناه التحريش بين القوم كما جاء في قوله تعالى :((فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ))(المائدة/١٤)، وهنا الاغراء تسليط بعضهم على بعض. ينظر: الفراهيدي، العين، ٤٤١/٤؛ الطوسي، التبيان، ٤٧٣/٣؛ ابن منظور، لسان العرب، ٢٧٩/٦.

[3] فجاجها: الطريق الواسع بين الجبلين . ينظر :الجوهري ،الصحاح ،٣٣٣/١ ؛ ابن سيدة ،المخصص ،٤٧/٣.

[4] مناهل: الموارد المياه .ينظر :الفراهيدي ،العين ،٤٧/٤ ؛الطريحي ، مجمع البحرين ،٤٨٨/٥.

[5] نهج البلاغة ،ص٣١٣.

لقد أتخذ الإمام علي عليه السلام من ذكر فضائل الدين الاسلامي أداة للترغيب فيه [١] ومنها صلاحه لكل عصر فهو لا يتعارض مع العلم والعقل [٢]، كذلك ذكرة صفات هذا الدين من الثبات والدوام[٣]، فقد كان ترغيب الإمام عليه السلام بدين الله عامة وهو فطرة الله والدين الاسلامي المحمدي بصورة خاصة، فأراد من ذلك حث وتثقيف الناس على دين التوحيد وعدم تحدي هذه السنة الالهية التاريخية، لأنَّ مصير التحدي الهلاك، وذكر الفضائل للمغرى به من القواعد المهمة التي اعتمدها الإمام عليه السلام في أسلوب الاغراء.

وربما خصص الإمام عليه السلام جزءاً أساسياً في الدين ورغب فيه لضمان جريان السنة وتحقيق الاثر والنتيجة، ولعل طبيعة الاثر تؤكد أسلوب الاغراء فقد رغب بالجنة كهدف من الاهداف يقوم على أداء الفرائض[٤] حينما قال :((الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ أَدُّوهَا إِلَى اللَّه تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ))[٥] إذ امر بلزوم الفرائض من العبادات والمحافظة عليها ، كالصلاة والزكاة ، وكان ذلك بأسلوب الاغراء[٦] اي احسنوا تأديتها على الوجه الذي أراده الله منكم توصلكم الى ثواب الله بدخول الجنة فهي جزاء عليها[٧] والفرائض هنا لا تقتصر على أداء العبادات فقط وإنما تشمل

---

[١] البحراني ، شرح نهج البلاغة ،٤٥٢/٣.

[٢] مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ،١٩٩/٣.

[٣] الحسيني ، ديباج الوضي ،٢٦٢٤/٤.

[٤] الفرائض : وهي في اللغة جمع فريضه وتعني الشي الموجب او المقطوع ،اما في الفقه الاسلامي هي جميع العبادات الواجبة التي يقوم بها الإنسان المسلم من الصوم والصلاة والزكاة والحج والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويتجاوز الى جميع عمل فيه الخير والصلاح للمجتمع الإنساني وهي تدخل ضمن اركان الدين الذي يعتبر سنة تاريخية حتمية ثابتة تجري على جميع الأمم والأفراد. ينظر :ابن منظور ، لسان العرب ،٢٠٢/٧.

[٥] نهج البلاغة،ص٢٤٢.

[٦] ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،٢٨٩/٩.

[٧] الحسيني ، ديباج الوضي ،١٣٩٧/٣.

جميع ما يقوم به الإنسان في سبيل الخير والصلاح من اعمال تصب في مصلحة الفرد والمجتمع الذي يحيط به كالمساعدة والتعاون والخروج على الظالم والوقوف بوجه الفاسد، عندئذ تجري السنة التاريخية بدخولهم الجنة، إذ إن تكرار لفظة الفرائض جاء لتأكيد الامر مرغبا فيه والحث على الاقبال عليه وهذه التأكيد يمثل قاعدة أخرى من القواعد التي اعتمدها الإمام عليه السلام في أسلوب الاغراء لان التأكيد هو ايصال المعنى للسامع.

والقاعدة الثالثة في أسلوب الاغراء هو تأكيد الإمام علي عليه السلام على تحقيق الشروط والضوابط المهيأة لجريان السنة وتحقيق الإثر لذلك كان الاغراء بالنتيجة التي تترتب على تحقيق الشرط والضابطة، لأن مجال السنن الالهية الحقيقي قائم على قدم وساق بقانون السببية الذي مؤداه أنَّ الاخذ بالسبب يؤدي الى الوصول للنتيجة إذ تحققت الشروط[1]، ومن الموارد الشرطية التي رغب فيها الإمام عليه السلام هو التعاون الاجتماعي والمساعدة إذ قال في ذلك :((مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ والتَّنْفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ))[2] لأنَّ الاغاثة طاعة وفيها فوائد منها زجر الظالم ونجاة المظلوم وتوطين النفس على قهر القوة الغضبية واكتساب مودات القلوب وإذا كانت الطاعة عظيمه كانت الكفارة للمعصية عظيمة[3] ، فما يفعله الإنسان من احسان يعود علية بالنفع والعكس صحيح وهو ما تحدده الضابطة الشرطية التي تعمل بها السنة التاريخية ، فقد بث الإمام عليه السلام من خلال طرحه المتقدم الاطمئنان والاستقرار في نفس المتلقي بأن

[1] مجدي عاشور ، السنن الالهية مصادرها وضوابطها ، ص٨٩.

[2] نهج البلاغة،ص٤٧٢. ومن كفارات الذنوب الاخرى ما ورد عن قال الإمام الصادق عليه السلام قوله بهذه الشأن :((كفارة عمل السلطان قضاء حوائج الاخوان)) (الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ،١٦٧/٣).

[3] البيهقي، معارج نهج البلاغة ،٤٠٢ . وينظر: الكيذري البيهقي ،حدائق الحقائق ،٦٠٨/٢؛ البحراني ؛ شرح نهج البلاغة ،٢٥٠/٥.

القيام بالإغاثة والتنفيس يرفع الذنوب أولاً وهو ترغيب واغراء في المساعدة والتعاون بين افراد المجتمع ثانياً.

ايضاً من الامور الشرطية التي رغب بها الإمام علي عليه السلام هي الصدقة التي سبق وإن تكلمنا عنها كشرط لحدوث السنة التاريخية ،إذ قال عليه السلام في معرض الترغيب بها :((اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ))[1] وقد جاء الترغيب بالصدقة كونها سببا لاستنزال الرزق، فهي باب عظيم لذلك معد حصوله ومن وجوه اعدادها كونها نفعا متعديا يستلزم تآلف قلوب أهل الله والصالحين من عباده واجتماع الهمم على دعاء الله لصلاح حال المتصدق ولتنبيه على أقوى الاسباب الباعثة عليها وعلى البذل في كثر الخلق ليعتمد فيسهل معه البذل وهو ثقة بالله واليقين بالخلف منه[2].

لقد أراد الإمام عليه السلام بهذا أن يجعل الإحسان والمساعدة عقيدة دينية يقوى بها المجتمع، وتعود عليه خيراتها وثمراتها، وليس من شك في أنَّ هذا الأسلوب من أجدى الأساليب في نجاح الدعوة إلى الخير[3]، فقد كشف الإمام علي عليه السلام بهذا الاغراء عن حتمية لابد منها تتعلق بالنفع والرزق على المتصدق نفسه إذا يضاعف الله رزقه وهذا وعد من الله والله لا يخلف وعده.

[1] نهج البلاغة،ص٤٩٤.

[2] البحراني ، شرح نهج البلاغة ،٣١٩/٥؛ حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ،٢١٠/٢١.

[33] مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ،٣٠٦/٤.

وهذا النوع من الاغراء هو امتداد لترغيب الرسول محمد صلى الله علية واله وسلم بالصدقة وذلك حينما قال :((اكثروا من الصدقة ترزقوا))[1] هذا الرزق الذي يأتي بصوره شرطية على المتصدق لذلك كان الترغيب بفعل الشرط وهو الصدقة والعطاء الذي يتجاوزها الى مفهوم المساعدة والاعانة والجهاد في سبيل الله والتعاون وكل ما يشمل عطاء الفرد إذ يكون الجزاء أكبر وأكثر كما قال أمير المؤمنين عليه السلام :((مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطَ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ))[2] اي يعين الناس والدين ولو اعانة قليلة يعينه الله اعانات كبيرة[3]، فالصدقة تعد المحفز الذي يجري به القانون التاريخي وما يترك من آثار نافعة للمعطي ، وهذا الامر يوضح رمزية السنة التاريخية حين جريانها.

والامر ينطبق على التقوى التي وردت في كلام الإمام عليه السلام بأسلوب الترغيب بالعمل بتقوى الله والتي تترتب عليها آثار وفوائد كثيره للفرد خاصة والمجتمع بصورة عامة فالإمام عليه السلام يرغب الناس بتلك الآثار الايجابية كنتيجة للتقوى، إذ طرحها بصورة شرطية وهو ما يسمى الشرط والجزاء ومن ذلك قوله عليه السلام :((فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَه بَرَّزَ مَهَلُه[4] وفَازَ عَمَلُه))[5] فقد ثقف عليه السلام الناس لتقوى الله وأخرج ذلك بصوره الشرط ما عكس التلازم بين

---

[1] ابن ماجه ، سنن ابن ماجه ،٣٤٣/١ ؛ المنذري، الترغيب والترهيب في الحديث الشريف ، ٥١١/١؛ ابن عربي ، الفتوحات الملكية ،٥٢١/٤ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ،١٧٦/٧٤.

[2] نهج البلاغة ، ص٥٠٩.

[3] الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٣٧١/٤.

[4] مهلة : السكينة والتؤدة والرفق .ينظر :ابن الاثير ، النهاية في غريب الحديث والاثر ،٣٧٥/٤ ؛ ابن منظور ، لسان العرب،٦٣٣/١١.

[5] نهج البلاغة، ص١٩٠.

التقوى والتفوق والتقدم في عمل الخير[1] لأنها من العناية الالهية والرحمة التي تنزل على الإنسان، ولان السنن التاريخية تأخذ هذا الطابع .

وقد اكد الإمام عليه السلام ذلك الاثر المرتبط بشرط التقوى حينما أشار الى أنَّ الإنسان المتقي الذي تعصمه التقوى عن الخطأ وتبعده عن الرذيلة ستجري عليه السنة التاريخية بخلاصه من الظلم وذلك حينما قال عليه السلام :((ولَو أَنَّ السَّمَاوَاتِ والأرضينَ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتْقاً [2] ثُمَّ اتَّقَى اللَّه لَجَعَلَ اللَّه لَه مِنْهُمَا مَخْرَجاً لَا يُؤْنِسَنَّكَ إِلَّا الْحَقُّ ولَا يُوحِشَنَّكَ إِلَّا الْبَاطِلُ))[3] فالسماء والأرض مرتقين منسدين وهو كنايه عن شدة الضيق اي لو كان العبد في غايه الشده ونهاية الفتك والضيق بحيث ضاقت عليه السماوات والأرض ثم اتقى الله لجعل له مخرجا منها[4]، فظاهر كون التقوى عند استشعارها سببا قاطعا لطمع المتّقي من الدنيا، وهو مستلزم لراجيه من مجإذبة النفس الأمّارة بالسوء عن الوقوع في شبهات الدنيا [5]، ويظهر أنَّ الإمام عليه السلام وصف ذلك الميزان وصفا دقيقا حينما حدده بالالتزام بالحق والاستئناس به والابتعاد عن الباطل وتجنبه وهو الامر الذي يعكس طبيعة هذه التقوى .

والمتتبع لكلام الإمام علي عليه السلام الذي طرحه بأسلوب الاغراء يجد أن القواعد التي استند عليها هذه الأسلوب اخذت طابعين، أولهما الطابع العبادي كما تقدم في ترغيبه بسنة الدين وضابطتي التقوى والصدقة.

---

[1] عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ص٢٨٠.وينظر : حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ،٣٠٣/٨.

[2] رتقا :الحام ضد الفتق .ينظر: ابن منظور ،لسان العرب ،١١٤/١٠.

[3] نهج البلاغة ، ص١٨٨.

[4] حبيب الله الخوئي، منهاج البراعه،٢٣٨/٨.

[5] البحراني، شرح نهج البلاغة ،١٤٧/٣.

وثانيهما الطابع العام المرتبط بالجانب العبادي ايضاً فقد شجع الإمام علي عليه السلام في هذا المقام على الإحسان للغير في حضورهم وغيابهم حتى يبادلوهم بالإحسان لان المعروف لا يضيع بين الله والناس كما جاء في قوله عليه السلام :((أَحْسِنُوا فِي عَقِبِ[1] غَيْرِكُمْ تُحْفَظُوا فِي عَقِبِكُمْ))[2] فالإحسان مطلقاً يوجب الحفاظ على العقب[3] لان اكثر ما في الدنيا يقع على سبيل القرض والمكافأة فقد رأينا عيانا من ظلم الناس فظلم عقبه وولده ورأينا من قتل الناس فقتل عقبه وولده ورأينا من اخرب دورا فأخربت داره و رأينا من احسن الى اعقاب اهل النعم فأحسن الله الى عقبه وولده[4] ،إذ رغبهم الإمام عليه السلام بالإحسان الى اولاد الناس واحفادهم ومعاملتهم بأجمل صوره لكي تجري السنة ويحسن الى ذريتك واحفادك الذين يأتون بعدك لان هذا الامر يحدث على وفق قانون السنة التاريخية الثابتة .

إن استقراء ما طرحه الإمام عليه السلام في هذا الأسلوب يكشف عن ملامح بنائية هادفة واضحة لتحقق ولعل أهمها :

١_السرعة في ايصال المعنى الذي يهدف اليه الإمام عليه السلام للمتلقي.

٢_كان أسلوب الاغراء أبلغ وأقوى في نفس السامع لطبيعته الترغيبية العبادية ما يدفع الإنسان للعمل بالسنن والضوابط المغرى بها.

٣_التاكيد على المجمل العام للعبادة وهو معاملة ورعاية الناس وليس أداء حركات العبادية فقط.

---

[1] عقب غيركم: ولده و ولد ولده . ينظر :الجوهري ،الصحاح ،١٨٤/١ .

[2] نهج البلاغة ،ص٥٢١.

[3] التستري ، بهج الصباغة ،٤٧١/١٤.

[4] ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ،١٥٢/١٩.

ثانياً: أسلوب الحث والتشجيع

واحد من أساليب الترغيب التي استخدمها الإمام علي عليه السلام في بيان السنة التاريخية والتثقيف لها والعمل على جريانها، إذ شجع الإمام عليه السلام على القيام ببعض الافعال الكفيلة بذلك ومنها الحث والتشجيع على العمل والتوبة والدعاء التي هي عوامل محفزة للقانون التاريخي المرتبط بفعل الإنسان وارادته، إذ قال عليه السلام :((فَاعْمَلُوا والْعَمَلُ يُرْفَعُ والتَّوْبَةُ تَنْفَعُ والدُّعَاءُ يُسْمَعُ والْحَالُ هَادِئَةٌ والأَقْلَامُ جَارِيَةٌ))[1] أي اعملوا اليوم وأنتم في دار التكليف وأفعالكم تكون اختيارا لا اضطرارا [2]،لأنَّ العمل يوم القيامة غير نافع[3] ، فالعمل يرفع الى الله تعالى فيقبله ويثيب عليه ، والتوبة تنفع، لأنَّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له، فما دمتم احياء فتستطيعون أن تتضرعوا لله وتسألوا الرحمة لأنكم في حال تمكنكم من العمل لأخرتكم إذ يكتب لكم ثواب كما تعملون من الصالحات[4] ، فهنا الحث على العمل والتشجيع عليه من أجل الاخذ بالأسباب الباعثة للنعم ورعاية السنن الجارية المطردة التي لا تختلف ولا تتخلف .

فتحصيل النتائج والعواقب تحتاج للعمل بضوابط السنن والعوامل الممهدة للجريان حتى تترك الآثار التي لا تحصد بالتكاسل عن العمل كما قال امير المؤمنين عليه السلام :((بالعمل

---

[1] نهج البلاغة ،ص٣٥١.وكذلك قوله عليه السلام :((عْمَلُوا رَحِمَكُمُ اللَّه عَلَى أَعْلَامٍ بَيِّنَةٍ فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ (يَدْعُوا إلى دارِ السَّلامِ) وأَنْتُمْ فِي دَارِ مُسْتَعْتَبٍ عَلَى مَهَلٍ وفَرَاغٍ والصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ والأَقْلَامُ جَارِيَةٌ والأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ والأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ والتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ والأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ))(نهج البلاغة ،ص١٤٠).

[2] الراوندي ،منهاج البراعة ،٤٠٣/٢.

[3] ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،٦/١٣.

[4] مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ،٣٣٥/٣.

يحصل الثواب لا بالكسل)) [1] حتى وإن كان العمل قليلا فإن الجزاء والنعم تكون أكبر وأكثر وهذا ما أكده الإمام الصادق عليه السلام بقوله :((اعملوا قليلا تنعموا كثيرا)) [2] .

من الموارد التي شجع عليها الإمام عليه السلام وأكد عليها هو التشجيع والترغيب في العمل بسنة التدافع التي مر الكلام عنها [3]، ودفع الردي بالجيد والمسيء بالمحسن إذ شجع أمير المؤمنين عليه السلام المجتمع على ذلك وزرع فيهم ثقافه دفع السيئين وتخليص المجتمع منهم حتى لا يتم استبدالهم، والدفع الذي حثّ عليه امير المؤمنين عليه السلام يشمل دفع الاشياء قبل وقوعها وليس فقط بعد أن تحدث، إذ شجع على دفع المسيء بتكريم المحسن ومكافئته كما قال عليه السلام (ازْجُرِ الْمُسِيءَ بِثَوَابِ الْمُحْسِنِ)) [4] فالردع عن الجريمة والاساءة له عدة طرق واساليب منها عقاب المسيء وتأديبه ومنها تشجيع المحسن وجزاؤه بالحسنى، لأنَّ ذلك بطبيعة الحال تأديب وتقريع للمسيء عن اساءته ومنها تكريم المتفوقين والعباقرة والتشجيع على الاجتهاد والتقدم [5].

---

[1] الليثي الواسطي ،عيون المواعظ والحكم ،ص١٨٦.فقد عمل ائمة اهل البيت عليهم السلام على ذم الكسل والتحذير منه كما جاء في قول الإمام علي عليه السلام :((من دام كسله خاب أمله وساء عمله))(الامدي ،غرر الحكم ،ص٣٢١) وكذلك قول الإمام الباقر عليه السلام:((إياك والكسل والضجر ، فإنهما مفتاح كل شر ، من كسل لم يؤد حقا ، ومن ضجر لم يصبر على حق)) (ابن شعبة الحراني ، تحف العقول ،ص٢٩٥)،وايضاً قوله عليه السلام :((الكسل يضر بالدين والدنيا))(ابن شعبة الحراني ، تحف العقول ،ص٣٠٠؛ المجلسي ، بحار الانوار ،١٨٠/٧٥) وما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قوله :((عدو العمل الكسل))(الكليني ،الكافي ،٨٥/٥).

[2] الصدوق ، ثواب الاعمال ،١٥ ؛ الطوسي ،الامالي ، ،١٥٨ ؛الطبري ، بشارة المصطفى ،١٥٠ ؛ الاشتري ، تنبيه الخواطر ،٥٠٢/٢.

[3] جاء الكلام عنها وتفصيلها في الفصل الثاني .

[4] نهج البلاغة،ص٥٠١.

[5] مغنية ،في ظلال نهج البلاغة ،٣٢٩/٤.

فالتشجيع والثواب[1] محفزان للجميع على الاحسان والعمل الصالح وبذلك لا يبقى مجال للتفكير بالعمل السيء وهذا الدفع تكون له النتائج الايجابية، إذ يتم من خلاله تخليص المجتمع من المسيئين نتيجة جريان السنة التاريخية وتطبيقها، لذلك كان التشجيع على القيام به من قبل امير المؤمنين وائمه اهل البيت عليهم السلام إذ جاء في معنى ذلك قول الإمام الحسن المجتبى عليه السلام قوله:((السداد دفع المنكر بالمعروف))[2]، فهذا هو المنهج الإلهي في دفع الشر بالخير والفاسد بالصالح وقد ثقف الإمام عليه السلام اليه من أجل اصلاح المجتمع ودفع السيئين عنه.

ومن أساليب التشجيع الاخرى التي ترتبط بتفعيل السنة وتهيئة الأسباب لجريانها هو مسألة الاستشارة واخذ الآراء لمعرفة الصح والخطأ منها وعدم التسرع والتعصب لرأي واحد لان الشورى تعتبر من أفضل الوسائل للوصول الى الصواب إذ يتوصل الإنسان الى الواقع برأي أهل الخبرة والتجربة بعيداً عن العواطف والميول والرغبات التي قد تستولي عليه وتجعله مستبدا برأيه وهو ما

[1] استخدمت المناهج الحديثة والاساليب التربية المتطورة أسلوب الثواب والعقاب في تحقيق النتائج المرجوة والتربية الصحيحة ويعتبر علماء التربية ان الثواب والعقاب من ابرز اشكال التربية والضبط الاجتماعي وتوجيه السلوك وهو في الحقيقة أسلوب سبقهم به الإمام علي عليه السلام في عشرات الكتب والرسائل التي ذكرت هذا الأسلوب وكيف استخدمه بصورة انفرد بها الإمام عليه السلام وبطريقة خاليه من العقاب المادي تقوم على البناء النفسي وعدم التضحية بالمسيء والمحافظة على كيانه عن طريق بناء نظام التحفيز بأسلوب تنافسي إنساني وهو ادق نظام مكافأة بلا عقوبة كما جاء في عهده الى مالك الاشتر :((وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ والْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيداً لأَهْلِ الإِحْسَانِ فِي الإِحْسَانِ وتَدْرِيباً لأَهْلِ الإِسَاءَةِ عَلَى الإِسَاءَةِ وأَلْزِمْ كُلاًّ مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَه))(نهج البلاغة ،ص٤٣١).ينظر : بدر محمد مالك، التوجيه الثواب ام العقاب، صفحاته جميعاً، انتصار كاظم جواد ،اساليب الثواب والعقاب في عملية التعليم ،صفحاته جميعاً.

[2] الطبراني ،المعجم الكبير ،٦٨/٣ ؛ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسن، ،١٦٣ ؛العاملي ،الدر النظيم ،٥٠٦ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ،٢٣٨/٦.

يفسر قول امير المؤمنين عليه السلام في ذلك :((مَنِ اسْتَقْبَلَ وُجُوه الآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطَإِ))[1] ولا شك في أن المتصفح لوجوه الآراء والمفكر في إيهما اصوب يعرف مواقع الخطأ في الامور ومظانها وهو ترغيب في الاستشارة والفكر لاستصلاح الاعمال قبل الوقوع فيها[2] وهو الاصل في معرفة الصحيح من الفاسد [3]، هو ما تشير اليه السنة التاريخية عند الأخذ بمحدداتها التي تترك الإثر الايجابي بعد تطبيقها.

وقد بيَّن الإمام علي وأئمة اهل البيت عليهم السلام أن الاستشارة لابد من أن تؤخذ من الاشخاص الذين يحملون صفات المتقين الذين يخافون ربهم ولديهم العلم الكافي حتى تصل الى المعرفة المطلوبة كما قال ابو عبدالله الصادق عليه السلام :((استشيروا في أمركم الذين يخافون ربهم))[4] لان الذي يخاف ربه لا يزين لك الرأي السيء ولا يشوه الرأي الصحيح بل يدل على الواقع في الاستشارة وبذلك تحقق النتائج المرجوة بعد العمل بضوابط السنن التاريخية التي تعطي آثاراً ايجابية .

في المقابل حذر أمير المؤمنين عليه السلام من الاستبداد بالرأي الذي يأخذ مأخذاً كبيراً من العقل لأن الاستبداد والعقل لا يجتمعان إذ أن نتيجة الاستبداد هو الهلاك لا محالة[5]، فقد قال الإمام عليه السلام :((مَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِه هَلَكَ ومَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا))[6] إذ إن

---

[1] نهج البلاغة ، ص٥٠١. على عكس من يجهل الآراء فيكون الاثر سلبي كما ورد عن امير المؤمنين عليه السلام :((من جهل وجوه الآراء أعيته الحيل))(الامدي ، غرر الحكم ،ص٣١٨).

[2] البحراني ، شرح نهج البلاغة ،٣٢٧/٥. وينظر : مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ،٢٢٧/٤.

[3] البيهقي ، معارج نهج البلاغة،ص٤٣٥.وينظر : الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ،٣٢٩/٤.

[4] البرقي ،المحاسن ،٦٠١/٢ ؛ المجلسي ، روضة المتقين ،٢٦٩/٤ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ،٤١/١٢

[5] حميد سراج جابر ، الجودة وفلسفة اتقان العمل ،ص٢٢.

[6] نهج البلاغة ،ص ٥٠٠.

الإنسان الذي يأخذ الامور على عاتقه كاملة دون الاستعانة بالأخرين أو الاستفادة من خبراتهم لا شك في أنه من الهالكين بسبب استبداده برأيه وعدم فسح المجال امام عقله للمشاركة مع عقول الاخرين[1] ، ويتضح من ذلك أن من يتعامل مع السنن والضوابط التي تحددها يفلح على عكس من يهمل تلك الشروط ويتحداها، لذا عمل الإمام عليه السلام على التثقيف للمشاورة والتحذير من تركها، وهذا المنهج التثقيفي هو منهج عادل يأخذ بنظر الاعتبار المرحلية والتتابع في الطرح والعمل ، مما يقننه ويحدث التوازن في النتائج المرجوة.

ومن المصاديق ايضاً ما يتعلق بالحث على ستر العيوب[2] وعدم فضحها وذلك لما يترتب عليها من آثار إيجابية للفرد الذي يعمل به والمجتمع عامة علي العكس من تركه والقيام بفضح عيوب الناس الامر الذي يؤدي الى دمار المجتمع ، لذلك كان الترغيب والتشجيع على ستر العيوب والتأكيد عليه كما جاء في الوصية الشهيرة لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه

[1] ينظر: ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،٢٨٣/١٨ ؛البحراني ،شرح نهج البلاغة ،٢٢٤/٥؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ،٣٢٣/٤.

[2] ستر العيوب في الاسلام : لقد حث الاسلام على ستر العيوب ورغب فيه واتخذ عدة من الوسائل من أجل ذلك ،فقد وردت الكثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية واقوال ائمه اهل البيت عليهم السلام التي تتكلم عن موضوع الستر ،ومنها قوله تعالى :((إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ))(النور/١٩) وكذلك قوله تعالى :((لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا))(النساء/١٤٨)،وكذلك حث عليه النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم على ستر المسلم وعدم فضح عيوبه كما جاء في قوله:((من ستر مسلما في الدنيا ستره الله عز وجل في الدنيا والآخرة))(ابن ماجة ،سنن ابن ماجة ،٨٥٠/٢)،وايضاً الإمام علي عليه السلام عن الكلام نهى عن الكلام بعيوب الناس والانشغال بعيوب النفس كما جاء في قوله:((استر عورة أخيك لما تعلمه فيك))(الامدي ، غرر الحكم،ص٣١) ،وستر العيوب مفهوم واسع يتعدى الى اهداء العيوب الى اصاحبها كما جاء في اقوال ائمه البيت عليهم السلام ومنها قول الإمام علي عليه السلام:((ليكن آثر الناس عندك من أهدى إليك عيبك ، وأعانك على نفسك)) (الامدي، غرر الحكم ،ص٢٨١)، وقول الإمام الصادق عليه السلام :((أحب إخواني إلي من أهدى إلي عيوبي))(الكليني ، الكافي ، ٦٣٩/٢ ؛ابن شعبة الحراني ، تحف العقول ،ص٢٩٦).

السلام الى مالك الاشتر عندما ولاه مصر إذ قال له :((إِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ واللَّه يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللَّه مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَه مِنْ رَعِيَّتِكَ))[1] وذكر ذلك مرغباً فيه[2]، وهو اشارة الى أنَّ الإنسان ينبغي عليه ستر عيوب الناس ليستر الله عيوبه وهذا بمثابة الثواب الالهي في الدنيا وهناك ثواب أعظم ينتظره في الاخر[3] وهذا الثواب يأتي كنتيجة لجريان السنة الالهية التاريخية بعد حصول المقدمات المتمثلة بستر عيوب الاخرين، فتطبيق القانون التاريخي يعقب بنتائج من جنس العمل.

ولعل ما ورد عن الرسول محمد صلى الله علية واله وسلم في هذه المقام يصلح أن يكون كشاهد إذ قال صلى الله عليه واله وسلم :((كان بالمدينة اقوام لهم عيوب فسكتوا فأسكت الله عن عيوبهم الناس فماتوا ولا عيوب لهم عند الناس وكان بالمدينة اقوام لا عيوب لهم فتكلموا في عيوب الناس فأظهر الله لهم عيوبا لم يزالوا يعرفون بها الى ان ماتوا))[4] فالقصة التاريخية خير مثال على جريان تلك السنن على جميع الأفراد دون محاباة فلا يشذ منها المؤمن والكافر بل سارية على الجميع دون تخلف أو اختلاف بشرط توفر المقدمات .

---

[1] نهج البلاغة،ص٤٢٩.وكذلك قوله عليه السلام :((يا أيها الناس طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، وطوبى لمن لزم بيته ، وأكل قوته ، واشتغل بطاعة ربه ، وبكى على خطيئته ، فكان من نفسه في شغل ، والناس منه في راحه)) (نهج البلاغة ،ص٢٥٥).

[2] البحراني ، شرح نهج البلاغة ،١٤٥/٥ . وينظر : شبر، نخبة الشرحين ،١٧١٨/٤.

[3] مكارم شيرازي ، شرح نهج البلاغة ،٣٢٩/١٠.

[4] الشيخ الطوسي ،الأمالي ،ص٤٤؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة ،١٥ /٢٩٢؛ المجلسي ، بحار الانوار ،٢١٣/٧٢.

وستر العيوب لا يتوقف على إخفاء الأفراد لعيوبك وعدم فضحها وإخراجها للناس جميعا إذ يمكن للإنسان ستر عيوبه بنفسه عن طريق الحياء والخجل اللذين يمنعان الفرد من القيام بالأعمال القبيحة وهو الأمر الأخر الذي رغب فيه امير المؤمنين عليه السلام وحث الناس عليه وذلك في قوله :((مَنْ كَسَاه الْحَيَاءُ ثَوْبَه لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَه))[1] لان الإنسان إذا كان يمتلك ملكه الحياء يستحي ويخجل ولا يرتكب عيبا قط لأنه يخجل من مقابلة الناس إذا انكشفت لهم فعله القبيح فمن كان يستحي فلن يقرب من عيب وإذا لم يقترف عيبا امتنع عن الناس إن يروا الا الافعال الطيبة الحسنة[2]، فقد جعله الله تعالى في الإنسان ليرتدع به عما تنزع إليه نفسه من القبيح[3] وهذا طابع السنة التاريخية في جريان الامور بتحديدها بضوابط ومنها ضابطة الحياء التي تعمل على ستر عيوب الناس كلما اخذ الإنسان بها والإمام عليه السلام مثلما هي عادتهُ ووظيفته ودورة حثّ على ذلك من أجل بناء الإنسان وتربية المجتمع على طريق الفكر السليم.

فضلاً عن ما تقدم فأن الإمام علي عليه السلام استخدم الأسلوب التعبوي والتشجيعي في طرح بعض السنن التاريخية وغالبا ما كان يتكلم الإمام عليه السلام بهذا الأسلوب في طرح سنة النصر والتمكين التاريخية فهي تتعلق بالمواجهات والحروب لذلك كان استخدام الأسلوب التعبوي في ليلة معركه صفين عندما قال لأصحابه :((فَصَمْداً صَمْداً حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ (وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ والله مَعَكُمْ ولَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ [4]))[1] إذ أمرهم بإسلوب تعبوي بالصمود وقصدا العدو

[1] نهج البلاغة ،ص٥٠٨. بالإضافة الى الحياء يعتبر العلم ايضاً ضابطة لستر العيوب كما وردعن الإمام عليه السلام في قوله:((من كساه العلم ثوبه ، اختفى عن الناس عيبه)) (ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص٢١٥)، وكذلك العقل كما قال عليه السلام :((غطاء العيوب العقل))(الامدي ،غرر الحكم ،ص٢٠٧).

[2] الموسوي ، شرح نهج البلاغة ،٣٨٠/٥.

[3] ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،٤٥/١٩. وينظر: الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٣٦٥/٤.

[4] محمد /٣٥.

من أجل الحق حتى ينتصروا لأنهم اصحاب الحق الذين يقاتلون من أجل الله وفي سبيل الله والله معهم ما داموا معه وهو الذي ينزل عليهم النصر ولن ينقصهم شيئا من ثواب وجزاء اعمالهم[٢] فقد استخدم امير المؤمنين عليه السلام هذا الأسلوب من أجل:

١-رفع الروح المعنوية[٣] لدى المقاتلين لان الجانب المعنوي مهم جداً في أوقات الحروب لذلك عمل عليه السلام على هذا الجانب من أجل تغذية المقاتلين بالثقة والاستعداد لخوض الحرب.

٢-تسكين النفوس وبث الاطمئنان في قلوب المقاتلين بالبشارة لهم في تحقيق النصر الالهي[٤] لانهم يقاتلون من أجل الحق وفي سبيل الله.

والتعبئة لم تقتصر على ذكر السنن التاريخية فقط وإنما ذكر الحوادث التاريخية التي انزل الله فيها النصر على المسلمين وطبقت فيه سنة التمكين التاريخية بعد أن توافرت اسباب النصر إذا نجد الإمام علي عليه السلام يذكرهم بأصحاب الرسول محمد صلى الله علية واله وسلم في معارك صدر الاسلام وكيف ثبت الاسلام وقام بجهود وثبات هؤلاء الاصحاب إذ يقول عليه السلام لأصحابه في معركه صفين كما اسلفنا :((لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّه (ص) نَقْتُلُ آبَاءَنَا وأَبْنَاءَنَا

---

[١] نهج البلاغة ، ص٩٧.

[٢] الراوندي ، منهاج البراعة ،٢٩٣/١ ؛ ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،١٧٥/٥ ؛ حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ،٢٧/٥ ؛ الموسوي ،شرح نهج البلاغة ،٤٠١/١.

[٣] مبدأ الروح المعنوية من مبادئ الحرب القديمة إذ ادخل الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم هذه المبدأ في الحرب من خلال اساليبه المحكمة في التعامل بهذا المبدأ والتي ظهر انها اساليب غاية في الدقة وانها سبقت المارشال(مونتجمري) وجميع القادة الأوربيين الذين اخذوها من المسلمين وجاء بعد الرسول صلى الله عليه واله وسلم الامام علي عليه السلام بالاهتمام بالروح المعنوية والحث عليها والتثقيف لها بعد اساليب وعوامل. ينظر: حميد سراج جابر، الدبلوماسية وقواعد المواجهة في فكر الرسول صلى الله عليه واله وسلم، ص٤٩_٦٥؛ شكري ناصر عبد الحسن، الامام علي عليه السلام دراسة في فكرة العسكري، ص١١٧_٢٠١.

[٤] ينظر: البحراني ، شرح نهج البلاغة ،١٧٩/٢.

وإِخْوَانَنَا وأَعْمَامَنَا مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَاناً وتَسْلِيماً ومُضِيّاً عَلَى اللَّقَمِ وصَبْراً عَلَى مَضَضِ الأَلَمِ وجِدّاً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ ولَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا والآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَه كَأْسَ الْمَنُونِ فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا ومَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا فَلَمَّا رَأَى اللَّه صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ وأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ حَتَّى اسْتَقَرَّ الإِسْلَامُ مُلْقِياً جِرَانَه ومُتَبَوِّئاً أَوْطَانَه))[1] .

في هذا المقام نجد أن التعبئة والحث على القتال والثبات وذكر جريان سنة الله عليهم بالنصر والتمكين هي بسبب توفر المسببات فيهم وربما يظهر أن ما قاله الشارح البحراني بهذا الصدد يبتعد عن المعنى الاساس والهدف المبتغى من أن كلام الإمام عليه السلام هو في توبيخ[2] أصحابه على ترك الحرب والتقصير فيه إذ ذكره ليبين للسامعين تقصيرهم بالنسبة الى ما كان أولئك عليه في جهادهم زمن الرسول صلى الله عليه واله وسلم[3]، إلا أن الكلام هنا كان في معرض التعبئة والحث وليس التوبيخ لان أمير المؤمنين عليه السلام ذكرهم بأصحاب الرسول كيف كانوا وكيف نزلت فيهم سنة الله من النصر والتمكين فهو حث وتشجيع حتى يصبحوا مثل اصحاب الرسول صلى الله عليه واله وسلم لكي تجري عليهم السنة التاريخية ، وليس شرطاً أن يكون التذكير بالقدوة الحسنة والرمزية الهادفة دليل على التقصير من طرف من الاطراف وهو أمر لا ينفي تخلف أصحاب الإمام علي عليه السلام معنوياً ومادياً عن اللحاق به ،ألا إن استخدام الأسلوب هو جزء من استراتيجية مدروسة للإمام عليه السلام .

---

[1] نهج البلاغة،ص٩١.

[2] وما تجدر الاشارة إليه هنا ان عدد خطب التوبيخ التي وردت في كلام الإمام عليه السلام كثيرة جداً ،إذ كانت معظم خطبه فيها الجانب التوبيخي وكان يوبخ اصحابه لتخاذلهم عن الجهاد ويبوخ عماله لتقصيرهم في العمل ويوبخ البخلاء بالمال والنفس وتوبيخ الخارجين عليه لان التوبيخ وسيله وأسلوب للوصول الى الهدف من الكلام . ينظر :نهج البلاغة، ص٧٧ و٩٨و١٧٤.

[3] شرح نهج البلاغة ،١٤٨/٢.

ولعل ما يؤيد هذا الطرح الذي ذكرناه ما رأيناه من الشارح عباس الموسوي إذ قال : إن الإمام عليه السلام يريد من خلال الكلام أن يحثهم على الجهاد ويدفعهم الى القتال وشرح واقع المسلمين الذين عاشوا مع النبي حيث يذكرهم الإمام بهذا المشهد الحي ثم يبين كيف انزل الله النصر علي المسلمين[1]، لهذا كان أمير المؤمنين يستخدم الأسلوب التعبوي من أجل رفع الهمم وشد العزيمة لدى المقاتلين في المعارك عن طريق طرح السنن التاريخية الثابتة المستمرة.

ويمكن لنا أن نجمع الرأيين معاً برأي يتضمن جمع أسلوب التوبيخ والتعبئة ويمكن أن يكون الإمام عليه السلام قد ذكرهم بأصحاب الرسول صلى الله عليه واله وسلم ليوبخهم على تخاذلهم ومن ثم فهي تعبئة لهم واستنفار لتغيير واقعهم المادي والمعنوي والاندفاع في المعركة.

[1] شرح نهج البلاغة ،٣٦٦/١

المبحث الثاني

الآليات والأساليب الترهيبية

الاساليب الترهيبية :

استخدم الإمام علي عليه السلام عدة آليات وأساليب في طرح السنة التاريخية من أجل إيصال ما يهدف إليه الى الناس والمجتمع ومنها الاساليب الترهيبية التي أراد من خلالها تخويف الناس وابعادهم عن الفعل والعمل الذي يطرحه بأسلوب التحذير أو النهي أو التنبيه أو غيرها من الاساليب الترهيبية التي تتلائم مع تلك السنن التي تطرح بهذا الأسلوب طلباً للموعظة والاعتبار ببيان الآثار السلبية التي تعقب العمل بهذا السنن أو التي تعقب تحدي تلك السنن أو اهمالها ومن أهم الاساليب الترهيبية التي استعملها الإمام علي عليه السلام هي:

أولاً: أسلوب التحذير:

التحذير هو تنبيه المخاطب على أمر مكروه أو مذموم ليتجنبه أو يتوقى منه ببيان مساوئه واضراره[1]، لذا عمل الإمام علي عليه السلام على طرح بعض السنن التاريخية بأسلوب تحذيري من أجل إيصال ما يهدف إليه الى المتلقي على أساس بيان محاسن ومساوئ تلك السنة أو الضابطة لمحددة لجريانها بما يتناسب مع فهم السامع من أجل زيادة درجة تعاطيهم معها وبالتالي تسخيرها وبناء حياتهم وفقا لها .

فمن المواضع التي ذكرها الإمام علي عليه السلام محذراً الإنسان منها بوصفها سنة تاريخية ثابتة تجري على الجميع هي سنة الاستدراج فقد حذر منها ومن توالي النعم على الإنسان في حالة العصيان وارتكاب الفواحش وجاء ذلك التحذير بصورة مباشرة حينما قال عليه

[1] الصبان ،حاشية الصبان على شرح الاشموني لألفية ابن مالك ،٢٧٨/٣.

السلام :((يَا ابْنَ آدَمَ إذا رَأَيْتَ رَبَّكَ سُبْحَانَه يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعَمَه وأَنْتَ تَعْصِيه فَاحْذَرْه))[1] فهو تحذير من معصية اللَّه، لأنه إذا تواترت نعم اللَّه على عبده من صحّة البدن وكثرة المال والاولاد واستقامة الاحوال، وذلك العبد يعصى ربّه، كان استحقاقه للعقاب اوكد لما روى انّ اللَّه يقول يا بن آدم خيرى عليك نازل وشرّك الىّ صاعد واتحبّب اليك بالنّعم وتتمقّت الىّ بالمعاصي[2]، فالتحذير هنا حتى لا تتضاعف علية العقوبة ويستدرج بحكم السنن التاريخية اولاً ومن أجل الرجوع الى الله سبحانه وتعالى وعدم الاستمرار بالمعاصي حتى لا تتحول هذه النعمة الى نقمة ثانياً، وللعمل على تثقيف الناس من خلال التحذير على فضيلتي الصبر والشكر ثالثاً.

كما استخدم الإمام علي عليه السلام أسلوب التنبيه والتحذير من مصارعة الحق والوقوف ضده لان ذلك سبب رئيس في جريان سنة الله في هلاك الأمم كما مر الكلام عنها، إذ طرحه بالتحذير وبيان النتيجة السلبية التي تصدر عنها كما جاء في قوله عليه السلام :((مَنْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَعَه))[3] يعني من رد الحق عن مجراه وممضاه وكابر في نفوذه وعزم على رده من جهة نفسه ذل ورجع صاغرا اليه وكان بمنزله من صرع لجنبه فلا يستطيع حيله [4] .

إن النتيجة ستكون حتميه والهلاك لا محاله لذلك حذر الإمام عليه السلام من مصارعة الحق لأنَّ هناك الكثير من الأمم والاقوام التي وقفت بوجه الحق وكانت نهايتهم الهلاك والفناء

[1] نهج البلاغة ،ص٤٧٢.

[2] البيهقي، معارج نهج البلاغة ،٧٩٦/٢. وينظر: حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ، ٤٢/٢١.

[3] نهج البلاغة ،ص٥٤٨.

[4] الحسيني ، ديباج الوضي ،٣٠٢٨/٦.

ومنها قصص الأمم السابقة التي كذبت الانبياء والرسل المتفقين على كلمة الحق[1]، فهذه القصص هي تطبيقات لتلك السنن وفيها عبرة كبيرة للأجيال القادمة لان ثبات الحكم وجريانه على الجميع بحكم القواعد التاريخية الحاكمة في سير عملية التاريخ.

ايضاً الحق لا يهلك من يقف ضده فقط بل حتى من يمنعه أو ينحرف عن طريقه فقد قال محذرا ومخوفا الامراء والقادة :((فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ الْحَقَّ فَاشْتَرَوْه وأَخَذُوهُمْ بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْه))[2] أي منعوا الناس الحق فاشترى الناس الحق منهم بالرشا والأموال[3] وجعلوا تصرّفاتهم معهم بالباطل فاقتدوه [4]، فقد بين أنَّ هلاك الأمم السابقة كان لانحرافهم عن الحق واخذهم طريق الضلال وذكره، لأنَّهم القادة والحكام وولاة الامر منعوا الناس الحق الذي لهم فاشتروا حقهم بالباطل لانهم يريدون حقهم وحملوهم على الباطل من ظلم الناس وجور عليهم[5]، لذا كان تحذير الإمام علي عليه السلام من الانحراف والابتعاد عن الحق لان نتيجة ذلك الابتعاد ستكون الهلاك طبقاً للجريان السنن التاريخية التي لا تحابي احداً بل تشمل جميع من ينحرف أو يقف أمام مسار الحق.

---

[1] ومن الآيات التي دلت على هلاك الأمم بسبب تكذيبهم للرسل اصحاب كلمة الحق قوله تعالى :((كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ))(ص/١٢_١٤)وقوله تعالى :((كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ))(ق/١٢_١٤). وينظر اكثر عن تكذيب الأمم للأنبياء والرسل وعقوباتها في الأمم السابقة :حميد سراج ،احمد فاضل ،فلسفة ائمة اهل البيت عليهم السلام الاصلاحية في تشخيص اسباب سقوط الحضارات ،ص٥٨_٧٤ و١٥٨_١٨٢.

[2] نهج البلاغة ،ص٤٦٧.

[3] ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،٧٧/١٨.

[4] البحراني ، شرح نهج البلاغة ،٢٣٧/٥ .

[5] الموسوي ، شرح نهج البلاغة ،٢٠١/٥.

ومن الشواهد التاريخية على ذلك من الذين هلكوا بسبب معاداتهم للحق هم بنو امية إذ صارعوا علياً واولاده عليهم السلام مدة ثمانين سنة[1] ولكن محاربتهم لعلي عليه السلام كانت سبب في تعجيل هلاكهم وبقاء فضائل علي عليه السلام كالقبلة المنصوبة في الشهرة ، وكالسنن المحفوظة في الكثرة[2] لان امير المؤمنين عليه السلام مع الحق كما قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم :((علي مع الحق والحق مع علي))[3].

كما لم ينس الإمام علي عليه السلام ذكر الدنيا والتحذير منها وعدم الإغترار بها لأنها محكومة بقواعد وقوانين ثابته تجري بهم أينما كانوا لذلك حذرهم منه بذكر السنن التاريخية التي تحكم جريان عملية التاريخ فقد قال عليه السلام في ذلك:((فَاللَّه اللَّه عِبَادَ اللَّه فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنٍ وأَنْتُمْ والسَّاعَةُ فِي قَرَنٍ))[4] إذ أكد أمير المؤمنين عليه السلام هنا على التخويف بالتحذير من الدنيا وعلَّل ذلك التحذير بكون الدنيا ماضية على سنن أي على طريقة واحدة لا

[1] استخدم بنو امية العديد من الوسائل في محاربة ائمه البيت عليهم السلام ومنها سب الإمام علي عليه السلام على المنابر والمإذن ، فقد قال الشيخ الاميني في ذلك :((إنه كان في أيام بني أمية أكثر من سبعين ألف منبر يلعن عليها علي بن أبي طالب بما سنه لهم معاوية من ذلك))(الاميني ، الغدير ،١٠٢/٢) وقال ياقوت الحموي ايضاً:((لعن علي بن أبي طالب عليه السلام على منابر الشرق والغرب))(معجم البلدان،١٩/٣) وكذلك أسلوب الحرب والقتل التي شنها بنو امية على اهل البيت عليهم السلام وشيعتهم ،إذ بدأها معاوية بحرب الإمام عليه السلام في معركة صفين سنة (٣٧هـ)، وبعدها جاء يزيد بن معاوية ليواصل الحرب على اهل البيت بقتل الإمام الحسين عليه السلام وأبناءه واصحابه في فاجعة كربلاء في العاشر من محرم (٦١هـ)، استمر العداء الاموي بقمع الثورات وقتل ابناء الائمه واصحابهم، فقد قتل هشام بن عبدالملك زيد بن الإمام زين العابدين سنة (١٢١هـ)، فضلاً عن ذلك استخدم بنو امية أسلوب وضع الروايات والأخبار القبيحة عن الإمام علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه ،وهكذا تواصل العداء الاموي لأهل البيت عليهم السلام حتى سقوط دولتهم على يد العباسيين سنة (١٢٣هـ). ينظر :اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ،٤٠/٢_٤٣؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،٣٠/٤_٣٤؛ ابن الاثير ،الكامل في التاريخ ،٢٤٢/٥؛ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦٣/٤؛.

[2] ينظر:ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة،٢٢٤/١٣.

[3] الصدوق ، الامالي ،١٥٠؛ الخزاز القمي ، كفاية الاثر ،٢٠ ؛ الطبرسي ،الاحتجاج ،٩٧/١

[4] نهج البلاغة ،ص٢٨١.

يختلف حكمها فكما كان من شأنها أن أهلكت القرون الماضية وفعلت بهم وبآثارهم ما فعلت وصيّرتهم إلى الأحوال الَّتي عدّدناها فكذلك فعلها بكم[1]، فقد قام تحذير الإمام عليه السلام على أركان عدة اهمها بيان السنن التاريخية الحاكمة وطرحها للناس للاتعاظ والاعتبار بها اولاً ، وذكر الشواهد التاريخية على تطبيق تلك السنن في الأمم السالفة ثانياً.

فقد جاء تحذيرهم مما سيقع بهم كما وقع في الذين قبلهم من أجل الاتعاظ والاعتبار إذ أشار بصورة صريحة الى مسألة الاعتبار بالماضيين بقوله :((أَولَيْسَ لَكُمْ فِي آثار الأَوَّلِينَ مُزْدَجَرٌ وفِي آبَائِكُمُ الْمَاضِينَ تَبْصِرَةٌ ومُعْتَبَرٌ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ))[2] إذ إن ما وقع في ابائهم هو واقع فيهم بحكم الثبات الذي تطبقه السنة التاريخية لذلك كان التحذير من الدنيا واخذ العبرة والانزجار هو الارتداع عن ما حرم الله[3]، لأنَّ الدنيا دار زوالٍ وعلى الإنسان عدم الانجذاب اليها والسير نحوها لأنها طريق مظلم يؤدي الى التهلكة ومن هنا كان تحذير الإمام عليه السلام منها لأنَّ المصير واحد لا يتغير.

ثم ذكر الإمام عليه السلام مساوئ الدنيا منفراً فيها بذكر السنن التاريخية التي تجري فيها وهي عبارة عن قوانين حاكمة لها، فقد كان ذم الدنيا من اهم ملامح هذه التحذير لغرض التنفير عنها كما جاء في قوله عليه السلام :((دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ وبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا ولَا يَسْلَمُ نُزَّالُهَا أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ وتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ والأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ وإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا

[1] البحراني ، شرح نهج البلاغة ،٢٠٧/٤، وينظر : المجلسي ،بحار الانوار ،٢٠٧/٧ ؛ حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ،١٩٦/١١.

[2] نهج البلاغة،ص١٤٥.

[3] الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ،١٢٢/٢ ؛ التميمي ، صفوة شروح نهج البلاغة ،ص٢٤٦ .

أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا وتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا واعْلَمُوا عِبَادَ اللَّه أَنَّكُمْ ومَا أَنْتُمْ فِيه مِنْ هَذِه الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً وأَعْمَرَ دِيَاراً وأَبْعَدَ آثاراً))[1].

لقد حذر من الدنيا لوجود البلاء فيها كسنة تاريخية ثابتة مطردة ، فالبلاء يحيط بالدنيا من كل جانب[2] وإن ملازمة البلاء للدنيا والمحن التي تصيب الإنسان فيها جعل أمير المؤمنين عليه السلام يحذر منها ويزهد فيها بالنسبة للإنسان المؤمن لأنها سجن المؤمن كما قال النبي الاكرم محمد صلى الله علية واله وسلم :((الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر))[3] .

والملاحظ تعدد الصور التي حذر فيها الإمام علي عليه السلام من الدنيا بل وتنوعها واختلافها، فقد ذكر الإمام عليه السلام في مقام التحذير وصف آخر للدنيا متمثلاً بسنة التداول التاريخية فالدنيا لا تدوم ولا تبقى، فالإنسان يتوهم دوامها عليه في حقّه من أحوالها المعجبة له كالمال والصحّة والشباب فكأنّه في مدّة بقاء تلك الأحوال عليه قد أخذ منها عهدا فكان التغيّر العارض لها المستلزم لزوال تلك الأحوال عنه[4]، فهي تغدر بذي الجاه وذي المال وذي السلطان فتنزلهم عن رتبهم ، وتجعل غيرهم مكانهم ولا تستمر على حالة واحدة ، بل تتقلب من حال إلى حال وتشمل كل من نزل بها[5] .

---

[1] نهج البلاغة ،ص٣٤٨.

[2] ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،٢٥٧/١١ . وينظر : الراوندي، منهاج البراعة ،٣٢٢/٢ ؛ الحسيني ،ديباج الوضي ،١٨٢٢/٤ ؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة ،٣٢٣/٣ ؛ حبيب الله الخوئي ،منهاج البراعة ،٣٢٣/١٤ ؛ التميمي صفوة شروح نهج البلاغة ،ص٥٦٢.

[3] ابن حنبل ، مسند احمد ،٣٢٣/٢ ؛ مسلم، صحيح مسلم ،٢١٠/٨ ؛ابن ماجه ، سنن ابن ماجة،١٣٧٨/٨؛ الترمذي ،سنن الترمذي ،٣٨٥/٣.

[4] البحراني ، شرح نهج البلاغة،٩١/٤ .وينظر :حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ،٣٢٥/١٤.

[5] الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ،٣٨٨/٣ . وينظر :حبيب الله الخوئي ،منهاج البراعة ،٣٢٥/١٤

ولم يكتف الإمام عليه السلام بتلك الصورة بل نجده يحذر من توافر الاسباب لجريان سنة التداول الالهية التاريخية وعدم استمرار احوال الدنيا كلها لك وإنما متقلبة، فمثل ما تعطيك تأخذ منك ويوما لك ويوما عليك كما قال الإمام علي عليه السلام في توبيخه لمعاوية محذراً اياه من الدنيا :((فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقٍ أجلكَ وَلَا مَرْزُوقٍ مَا لَيْسَ لَكَ واعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ يَوْمٌ لَكَ ويَوْمٌ عَلَيْكَ وأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُوَلٍ فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ ومَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْه بِقُوَّتِكَ))[1] ومعنى ذلك أن الدهر لا ينفك عن ذلك وأن حكمه جار على هذه الحالة واليوم الذي يكون عليه هو ما يلحقه من الضرر والبؤس واليوم الذي له هو ما يلحقه فيه من النعماء والخير وان احوال الدنيا متداوله بين الخلق والامور متعاقبة [2] إذ نبه معاوية على زوال حكمه وما يملكه وانتقاله الى غيره وعدم استمراره بحكم هذه القانون التاريخي الثابت وهو المداولة بين الناس وما حصل مع معاوية وبني امية[3] خير شاهد على جريان تلك السنة وانتقال الحكم الى العباسيين.

وبعد أن ذكر الإمام علي عليه السلام صفات الدنيا بأسلوب التحذير بين أن الإنسان لم يؤمر بالسعي لها وإنما خلق الآخرة وهي الحياة الباقية التي لا تزول وامرنا الله تعالى بالعمل

[1] نهج البلاغة ،٤٦٢

[2] التستري ، بهج الصباغة ،٢٧٠١/٥

[3] فقد تجري سنة التداول على وفق سنن العدل الالهية فلا تسقط دولة او حضارة ألا وفقدت اهليتها الحضارية وكانت هناك اسباب عديدة لسقوط دولة بني امية ومن اهمها الابتعاد عن تطبيق الدين الاسلامي وشرائعه وانتشار الظلم والفساد في الدولة ، وانغماسهم في الشهوات والترف وحياة البذخ وخاصة في عهد يزيد بن معاوية ، كذلك التعصب ادى دوراً في سقوط دوله بني امية واشعال الفتنة بين المسلمين ، بالإضافة الى الثورات العديدة التي حدث ومن ابرزها ثورة الإمام الحسين عليه السلام عام (٦١هـ) وثورة زيد بن علي بن الحسين (١٢٢هـ). ينظر :اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ،٢٤٤/٢؛الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٤٩٧/٥؛ المسعودي ، مروج الذهب ،٢٢٨/٣.

لأجلها ولأجل من فيها، فقد أكد عليه السلام على ذلك التحذير من الدنيا في رسالة الى معاوية[1] بقوله:((ولَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلِقْنَا ولَا بِالسَّعْيِ فِيهَا أُمِرْنَا وإِنَّمَا وُضِعْنَا فِيهَا لِنُبْتَلَى بِهَا وقَدِ ابْتَلَانِي اللَّه بِكَ وابْتَلَاكَ بِي))[2] فتحذير الإمام عليه السلام هنا واضح من عدم الركون الى الدنيا لأنها دار اختبار وامتحان ليعلم المطيع من العاصي فقد أشار إلى غرض الدنيا وغايتها ليتنبّه لذلك ويعمل له [3].

وإن ابتلاءه عليه السلام بمعاوية بأن يحاربه على مخالفته للإمام وعصيانه لله وطلبه للفساد بالأرض، وابتلاء معاوية بالإمام عليه السلام أن يطيعه ولا يخرج عن امره كما ابتلى ابليس بأدم[4] وهنا يظهر الجانب الإنساني والارشادي للإمام علي عليه السلام حتى مع اعدائه ومبغضيه من خلال طرح السنن التاريخية، بل إن منطق الإمام عليه السلام هو جزء من المرحلية في مقابله الإمام عليه السلام للشر والمرور بتدرجات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ومن صور الأسلوب الترهيبي هو تحذير الإمام علي عليه السلام من سنة الله في هلاك الأمم والأفراد الذي يجري علي جميع الأفراد والأمم كبقية السنن التي ذكرناها سابقاً[5]، فقد حذر

[1] كانت هناك الكثير من الرسائل بين الإمام علي عليه السلام ومعاوية فقد ذكر في نهج البلاغة اكثر من(١٥) رساله في مختلف المواضيع وكانت بعضها جواباً على رسائل معاوية ،وقد كان الإمام عليه فيها يوبخ معاوية ويحذره من الدنيا الزائلة ويذكره بالظلم الذي ارتكبه بحقه والفتنة التي افتعلها في صفوف المسلمين ، كذلك لم يغب جانب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عن رسائل الإمام عليه السلام على رغم من العداء بينهم. ينظر: نهج البلاغة ،ص٣٦٦و٣٦٧و٣٦٨و٣٦٩و٢٧٤و٣٨٥و٣٩١و٤٠٦و٤١٠و٤٢٣و٤٤٦و٤٥٤و٤٥٥.

[2] نهج البلاغة ،ص٤٤٦.

[3] البحراني ، شرح نهج البلاغة،١٩١/٥.

[4] الحسيني ، ديباج الوضي ،٢٦١٧/٥.

[5] ينظر في الفصل الثاني (فصل الانواع)

عليه السلام من أهم أسباب جريان هذه السنة وهو التكبر والجبروت والتشبه بالخالق[1] لان العقوبة الالهية ستكون كبيرة لان المتكبرين لا يمثلون سوى ذرات في مقابل العظمة الالهية ، فهو القادر على كل شيء ولا يمكن لاحد التشبه به وهذا ما أشار اليه امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في وصيته الشهيرة الى الاشتر النخعي إذ قال عليه السلام :((إِيَّاكَ ومُسَامَاةَ[2] اللَّه فِي عَظَمَتِه والتَّشَبُّه بِه فِي جَبَرُوتِه فَإِنَّ اللَّه يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ ويُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ أَنْصِفِ اللَّه وأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ))[3] فهو تحذير من أن تتردى بالكبرياء فإنها رداء اللَّه [4] ولان التكبّر يستلزم أن يذلّ اللَّه صاحبه ويهينه، فإنّك إن تجبّرت واختلت يذلّك اللَّه ويهينك وكلّ من كان كذلك فيجب أن يحذر من اللَّه بترك التجبّر[5].

وهذا الطرح هو تحرير للحاكم من الشعور الذي يصيبه بأن السلطة حق مكتسب له ودائم وبذلك يفقد الاحساس بالمسؤولية ويبتعد عن اداء حقوق الرعية ، لذا يحتاج الحاكم والقائد الى رادع ومرشد يذكره بعظمة الله فوقه وانه تعالى صاحب الحكم المطلق الذي لا ينتهي، وان يعرف الإنسان الحاكم قيمته وكيانه امام عظمة الخالق ولا يتجاوز موقعه، لأنَّ العقوبة المترتبة على هذا التكبر هو أن الله سيذله ويهينه ويلقيه في نار جهنم كما قال الإمام الصادق عليه

---

[1] للمزيد والتفصيل عن هذه الاسباب ينظر: بابا سيلا، اسباب هلاك الأمم السالفة، ص ١٥٥_١٨٦؛ حميد سراج جابر، احمد فاضل، فلسفة ائمة اهل البيت الاصلاحية في تشخيص اسباب سقوط الحضارات، ص١٣٩_١٤١.

[2] مساماة :مفاعلة من السمو وهو الرفعة .ينظر :الفراهيدي ،العين ،٣١٨/٧ ،ابن منظور ؛ لسان العرب ،٤٠١/١٤ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ،٤٥٠/١٩،

[3] نهج البلاغة ،ص٤٢٨.

[4] الراوندي ، منهاج البراعة ،١٧٤/٣.

[5] البحراني ، شرح نهج البلاغة ،١٤٣/٥.

السلام :((الكبر رداء الله فمن نازع الله شيئا من ذلك أكبه الله في النار))[1] إذ تجري السنة التاريخية في حال المنازعة الله في قوته وجبروته ،كما حدث في قصة قارون وهي احدى قصص المتكبرين في القران الكريم[2].

وبما أن الظلم سبب من أسباب جريان سنة الله في هلاك الأمم والأفراد فقد أكد الإمام علي عليه السلام أن عقاب الله تعالى سيكون شديداً ومستمراً على الظالمين عكس ظلمهم الذين يكون فقط في الدنيا إلا إن عقاب الله في الدنيا والآخرة لا ينقطع عن الظالمين لما فعلوا من ظلمهم للعباد، وذلك في معرض تحذيره من الظلم عندما قال عليه السلام:((يوْمُ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الظَّالِمِ عَلَى الْمَظْلُومِ))[3] إذ كان تحذيره بوعيد الظالم بعقاب في يوم القيامة يوم المجازاة الذي يأخذ حق المظلوم وانصافه فيه أذ سيكون العذاب شديداً وكذلك قد يتعجّل على الظالم في الدّنيا بل لا يخلو الظلم من عقوبة وهلاك في الدّنيا قبل العذاب والمجازاة في الآخرة [4]، فلابد للظالم أن يعاقب سواء كانت العقوبة من الخالق أم من المخلوق على يد ظالم أخر كما قال

---

[1] الكليني ،الكافي ،٣١٠/٢ ؛ابن شعبة الحراني ، تحف العقول ،٣١٥ ؛ الطبرسي ،مشكاة الانوار ،٤٠١

[2] قال تعالى:((انَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦)وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأرض إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨)فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩)وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠)فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأرض فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨١)) (القصص/٧٦_٨١).

[3] نهج البلاغة، ص٥١١.

[4] البحراني ، شرح نهج البلاغة ،٣٦٢/٥؛ حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ،٣٦١/٤

الإمام الصادق عليه السلام :((ما انتصر الله من ظالم إلا بظالم))[1] وتكون العقوبة اشد بأساً وتنكيلا به لان آثار الظلم لا تزول ويبقى العقاب عليه كما قال امير المؤمنين عليه السلام في التحذير من ذلك:((إياك والظلم فإنه يزول عمن تظلمه ويبقى وزره عليك))[2] وبهذه التحذير أراد الإمام علي السلام عدة امور منها:

١_منع الناس من الظلم واشاعه ثقافة السلم بين افراد المجتمع عن طريق طرح تلك السنة العقابية وتخوفيهم منها.

٢_حتمية معاقبة الظالم بعقاب شديد ودائم من قبل الله عز وجل .

٣_انصاف المظلوم ببيان اخذ حقه من الظالم وأن يطمئن ويصبر، لأنَّ حقه لا يضيع عند الله سبحانه وتعالى إذ ان نصرة المظلوم حقاً محتوم .

وقد اتضحت صورة الأسلوب الترهيبي الهادف فيما طرحه الإمام علي عليه السلام محذراً من الاستهانة بأمور الدين وعدم الالتزام بها وتركها، لأنَّ الاثر سيكون سلبياً والنتيجة ستكون مضاعفة الاضرار لذلك طرحها عليه السلام بأسلوب التحذير بقوله عليه السلام :((لَا يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ لِاسْتِصْلَاحِ دُنْيَاهُمْ إِلَّا فَتَحَ اللَّه عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْه))[3] فقد يترك الإنسان الجهاد للحفاظ على حياته ودنياه فإذا به يعيش الذل والهوان ويموت وهو يتحرك وقد يقضي الظالمون على حياته في آخر الامر[4] ، فهذه حقيقة لا يمكن لاحد ان ينكرها فالكثير

[1] الكليني ،الكافي ،٣٣٤/٢ ؛ الصدوق ، ثواب الاعمال ،٢٧٤ ؛ المجلسي ، روضة المتقين ،٣٥٩/٩

[2] الليثي الواسطي ، عيون المواعظ والحكم ،ص٩٧.

[3] نهج البلاغة ، ص٤٨٧.

[4] الموسوي ، شرح نهج البلاغة ،٥/.٢٨٣

من الأمم اصابها الهلاك والبلاء لانهم تركوا امر الدين وابتعدوا عنه ، وأوضح مثال لهذه الحقيقة المسلمون في هذا العصر إذ تركوا الجهاد وهو من أقدس واجبات الاسلام وأهمها ، تركوه وعاشوا عزلا من كل سلاح يرهبون به الذئاب الضارية والوحوش الكاسرة التي تحيط بهم من كل ناحية ، تركوا دينهم وتاريخهم بترك الجهاد واستسلموا للترف والكسل ، والكلام الفارغ ، فأضاعوا بلادهم ، ووأدوا حريتهم وكرامتهم[1]، فالتحذير هنا من امرين: الاول من الدنيا والانشغال بها والركون اليها، والثاني النهي عن ترك سنة الدين وشرائعها لما يخلفه ذلك الامر من اثر سلبي على الفرد والأمه جميعاً، وإذا ما تذكرنا أن الدين سنة حتمية ثابتة ومطردة أمكن فهم الإمام عليه السلام لما سيجره ترك أمور الدين من الفساد المادي والمعنوي وسيادة الهمجية والذلة.

طرح الإمام علي عليه السلام الجانب الاستحقاقي في تحذيراته والذي يمثل نتيجة حتمية للسنة التاريخية وهذا ما يفسر لنا قوله عليه السلام :((وكَمَا تَدِينُ تُدَانُ وكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ ومَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْه غَداً فَامْهَدْ لِقَدَمِكَ وقَدِّمْ لِيَوْمِكَ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ والْجِدَّ الْجِدَّ أَيُّهَا الْغَافِلِ))[2] وهذا قانون عام شامل تسير وفقه حياة الإنسان فكما تجازي غيرك تجازى بفعلك وبحسب ما عملت[3] ، فتعامل الله معك يكون حسب تعاملك معه فأن عملت بالطاعة والتقوى جزاك الله خيراً وأن عصيته الله ادخلك النار وجزاك بما فعلت، كذلك الافعال التي تقوم بها للأخرين تفعل معك سواء كانت إيجابية أم سلبية.

[1] مغنية، في ظلال نهج البلاغة ،٢٨٠/٤

[2] نهج البلاغة ،ص٢١٤.

[3] ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ،١٦٠/٩ .وينظر: حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ،٢٠٩/٩ ؛الموسوي ،شرح نهج البلاغة ،٤٩٠/٢.

لذا كان تأكيد الإمام علي عليه السلام على الحذر من سوء الاعمال والتقصير في العمل اتجاه الله سبحانه وتعالى حتى لا يعاقب عليها الإنسان وترجع آثارها عليه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك :((وإِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ وقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ))[1] لان بين الإنسان وعمله خيرا كان أو شرّا ارتباط خاصّ لا يرجع إلَّا إليه ولا يجزى إلَّا به ولا يقدم إلَّا إليه[2]، فهذه قاعدة كلية كبرى[3] تطبق على جميع الاعمال والافعال ولا يمكن لاحد التخلف عنها وكل ما تفعله ستعود عليك آثاره بحسب نوع الفعل بالإيجاب أو السلب .

ومن الشواهد التاريخية على ذلك ما حدث مع هارون العباسي إذ إن هارون أرسل إلى يحيى بن خالد وهو في محبسه يقرعه بذنوبه ويقول له: (كيف رأيت مافعلت بك من خراب دارك وقتل ولدك ونهب اموالك، فقال يحيى سيفعل به كما فعل بي، فلما عاد الرسول إليه بالجواب وجم طويلا وحزن ، وقال : والله ليكونن ما قال ، فإنه لم يقل لي شيئا قط إلا وكان كما قال)[4].

[1] نهج البلاغة،ص٢٧٧.

[2] حبيب الله الخوئي ،منهاج البراعة ،٣٤٣/١٨ . ينظر: الموسوي ، شرح نهج البلاغة ،١٩٣/٤.

[3] الموسوي ،شرح نهج البلاغة ،١٩٤/٤.

[4] ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،١٥٢/١٩ .وكانت للبرامكة مكانه عالية في الدولة العباسية ، فقد كان يحيى بن خالد البرمكي مسؤول عن تربية هارون ، وهو الذي حافظ على حقه في ولاية العهد ،الا ان هناك عدة اسباب دفعت هارون للقضاء على البرامكة وقتلهم جميعاً ،من تلك الاسباب التي ذكرتها المصادر هو استغلال البرامكة لنفوذهم واقناع هارون بأن يعقد بيعة ولاية العهد لابنه الاكبر عبدالله المأمون بعد ثمان سنوات من بيعة هارون الاولى لابنه الامين ،وكذلك من الاسباب نكبة البرامكة هي علاقة العباسة اخت هارون وجعفر بن يحيى البرمكي الذي كان خليل هارون في مجالسه ، وقيل ان أسباب انقلاب هارون على البرامكة بسبب استبداهم على الدولة واخذهم اموال الجباية والتدخل في امور الحكم، وقيل إنهم اطلقوا رجلا من آل أبي طالب كان في أيديهم، هذه الاسباب دفعت هارون بأن يأمر كاتبة بكتابة الرسائل الى جميع ولاته امرهم فيها بقطع رؤوس البرامكة وارسال اموالهم الى بيت المال وأمر بقطع رأس جعفر بن يحيى في تلك الليلة ،كما امر بإدخال يحيى بن خالد البرمكي الى السجن ومعه ابنائه وأمر بضرب روسهم في الصباح ومعهم الف برمكي سنة (١٧٨هـ). ينظر

ومما تقدم يتضح أن أسباب اختيار الإمام علي عليه السلام لأسلوب التحذير والغاية منه تكمن فيما يلي :

١_استعمل الإمام عليه السلام هذه الأسلوب لإيصال مراده الى السامعين، لأنَّ لأكثر تأثيرا فيهم بالسنن والمواضيع التي طرحها بهذه الأسلوب، فهو يترك اثراً في نفس المخاطب، لأنَّ لان خير رادع للإنسان عن الاعراض عن ضوابط السنن او تحديها.

٢_أتضح أن تحذير يمثل النصيحة وتنبيه المخاطب بالابتعاد عن ما يوجب هلاكه بواسطة السنن التاريخية وهذه الامر يدخل ضمن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣_غاية التحذير من عدم الاخذ بضوابط السنن التاريخية وتحديها تتمثل في توجيه النفس الإنسانية للعمل بتلك الشروط والضوابط ورعاية تلك السنن لتتجنب الوقوع في الهلاك والنهاية.

ثانياً. أسلوب النهي:

من الاساليب الترهيبية التي اتخذها الإمام علي عليه السلام في طرح السنة التاريخية وببيانها هو أسلوب نهي الناس وحثهم على الترك حتى لا يقعوا في التهلكة ولا تجري العقوبة عليهم ،والنهي خلاف الأَمر[١] فمثلاً نجده قد نهى الناس عن ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لهذا السبب وذلك حينما قال عليه السلام:((لا تَتْرُكُوا الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ

:الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،٦/٤٨٤_٤٨٤؛ المسعودي ، مروج الذهب ،٣/٣٦٨؛ ابن مسكوية ، تجارب الأمم ، ٣/٥٣٢.

[١] ابن منظور ، لسان العرب ،١٥/٣٤٣.

فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ)) [1] وقد نفّر عن ذلك الترك بما يستلزمه ويعدّ له من تولّى الأشرار عليهم وعدم استجابة دعاء الداعين منهم ،لان ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يستلزم ثوران المنكر وقلّة المعروف من طباع الأشرار ويعدّ لاستيلائها وغلبتها وولاية أهلها وذلك يستلزم كثرة الشرّ والأشرار وقلّة الصالحين وضعف هممهم عن استنزال رحمة اللّه تعالى بأدعيتهم فيدعون فلا يستجاب لهم [2].

لقد نهاهم أمير المؤمنين عن ترك ذلك لان التواني والتسامح فيهما يولد سيطرة الاشرار عليهم وقيام حكومة ظالمة طاغية، لان أحد المصاديق المهمة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تتمثل في التصدي لقوى السلطة والحكومة فيما لو ارتكبوا مخالفات شرعية ودستورية ولو ترك الناس هذين الامرين لوجد الحكام انفسهم احراراً وتوغلوا في خط الانحراف والظلم، فهناك علاقة منطقية بين حكومة الاشرار وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر[3].

وهذه العلاقة المنطقية حتمية تنطبق على جميع الأمم وجاء التأكيد عليها من قبل الرسول محمد وائمة اهل البيت عليهم السلام[4] ، إذ قال النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم في ذلك:((كما تكونوا يولى عليكم))[5] وهذا قانون تاريخي ثابت يجري على الأمم والأفراد ،

---

[1] نهج البلاغة،ص٤٢٢.

[2] البحراني، شرح نهج البلاغة،١٢٢/٥. وينظر: شبر ،نخبة الشرحين ،٤/ ١٦٩٥.

[3] مكارم شيرازي ، نفحات الولاية ،٢٢٢/١٠.

[4] قال الإمام الكاظم عليه السلام :((لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم)) ينظر: الكليني ،الكافي ،٥٦/٥ ؛ الطوسي ، تهذيب الاحكام ،١٧٦/٦ ؛العلامة الحلي ، تحرير الاحكام ،٢٣٩/٢ ؛الجرجاني ، شرح المواقف ،٣٧٥/٨.

[5] البيهقي ،شعب الايمان ،٢٣/٦ ؛ المتقي الهندي ،كنز العمال ،٨٩/٦ ؛ الانصاري ، مغنى اللبيب ،٦٩٧/٢ ؛ السيوطي ،الجامع الكبير ٢٩٤/٢؛ الفتني ، تذكرة الموضوعات ،ص١٨٢.

فعندما تكون الامة متفككة لا تأمر بالمعروف ولا تنهى عن المنكر وليس لديها رأى ولا قضية تدافع عنها ولا تعمل من أجل مصلحتها عندئذ يولى الاشرار عليها، على العكس تماماً عندما تكون الامة واعية وقوية مؤدية واجباتها وعارفة بحقوقها تختار من يمثلها وبذلك تكون حكومتها صالحة تعمل لخدمة الامة، إذ إن هناك العديد من الاقوام تركت الامر بالمعروف والنهي عن المنكر نزل بهم البلاء والمصائب ومن هنا قال النبي محمد صلى الله علية واله وسلم :((ان الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ، ثم عموا بالبلاء))[1].

وهذه الشواهد التاريخية تؤكد سريان السنة التاريخية على جميع الأمم والأفراد، لأن حكم الله واحد بالنسبة لجميع البشر ولا يخص فقط النصارى واليهود ، لذا نجد الإمام علي عليه السلام نهى عن ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا يحكمهم الاشرار وكذلك لا يستجاب دعاؤهم، لأنَّ الدعاء يحتاج الى عمل كما اسلفنا في الكلام عن ضابطة الدعاء[2]، وفضلاً عن ذلك حتى لا تحل عليهم اللعنة الالهية كما فعلت بالأمم السابقة فقد قال الإمام علي عليه السلام في هذا الشأن :((فَإِنَّ اللَّه سُبْحَانَه لَمْ يَلْعَنِ[3] الْقَرْنَ الْمَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ))[4] إذ بين امير المؤمنين عليه السلام سبب هلاك الأقوام

[1] الأشتري ، تنبيه الخواطر ،ص٥٥٨ ؛ الذهبي ،الكبائر ،ص١١١ .

[2] ينظر في الفصل الثاني (مبحث المحددات).

[3] اللعن: الطرد . ينظر: الزمخشري ،اساس البلاغة ،٨٥٩ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ،٤/ ٣٨٧ ؛ الفيروز ابادي ،القاموس المحيط ،٢٦٧/٤ .

[4] نهج البلاغة،ص٢٩٩. وينظر عن اثر هذا الترك في عقوبات الأمم القديمة :حميد سراج جابر، احمد فاضل ،فلسفة ائمة اعل البيت عليهم السلام الاصلاحية في تشخيص اسباب سقوط الحضارات ،ص٤٠_٤٤.

السابقة وهم بنو اسرائيل(القرن الماضي)[1] لارتكابهم للمعاصي وامتناعهم عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فكان ينزل عليهم اللعن، لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يخلي الأمة من الانحرافات السلوكية والروحية لذلك تركهما يحدث العكس ويولى الاشرار وتكون النتائج وخيمه ،هذا عمل السنة التاريخية بثبات الحكم على من يتقاعس عن العمل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لان القانون التاريخي يترك آثراً ايجابياً بالعمل وسلبياً بالترك.

كذلك الامر ينطبق على ترك الحق والتخلي عنه وتشجيع الباطل إذ يترتب عليه النتائج نفسها من توطين الاشرار والطغاة كما قال امير المؤمنين عليه السلام :((أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ ولَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ ولَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ لَكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاه بَنِي إِسْرَائِيلَ[2]))[1] وهنا بين الإمام عليه السلام سبب الطمع وقيام

---

[1] ينظر: الحسيني ، ديباج الوضي ،٢٠٤٥/٤؛ البحراني ،شرح نهج البلاغة ،٢٩٢/٤ ؛ حبيب الله الخوئي ،منهاج البراعة ،١٥/١٢؛الحسيني الشيرازي ،توضيح نهج البلاغة ،٢٢١/٣؛ مكارم شيرازي ،نفحات الولاية ،٣٦٨/٧؛ شبر ، نخبة الشرحين ،١٤٢١/٤.

[2] متاه بني اسرائيل : قال تعالى :((يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأرض الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١)قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢)قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأرض فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ))(المائدة/ ٢١_٢٦)، قال الطبرسيّ قال المفسرون: لما عبر موسى عليه السّلام وبنو إسرائيل البحر وهلك فرعون أمرهم اللَّه سبحانه بدخول الأرض المقدّسة فلما نزلوا على نهر الأردن خافوا عن الدخول فبعث من كلّ سبط رجلا وهم الذين ذكرهم اللَّه تعالى في قوله (وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ بَنِي) فعاينوا من عظم شأنهم وقوّتهم شيئا عجيبا فرجعوا إلى بني إسرائيل فأخبروا موسى بذلك فأمرهم أن يكتموا فوفى اثنان منهم يوشع بن نون من سبط ابن يامين وقيل إنه كان من سبط يوسف عليه السّلام وكالب بن يوحنا من سبط يهودا وعصى العشرة وأخبروا بذلك . وقيل كتم الخمسة منهم وأظهر الباقون وفشا الخبر في الناس فقالوا إن دخلنا عليهم تكون نسائنا وأهالينا اغنمة لهم ، وهموا بالانصراف إلى مصر وهموا بيوشع وكالب وأرادوا أن يرجموهما بالحجارة فاغتاظ لذلك موسى وقال (قالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ

الباطل وهو معاوية وأصحابه، وذلك السبب هو تخاذلهم عن نصرة الحقّ وتضاعفهم عن إضعاف الباطل[٢]، وما ذكره الإمام عليه السلام في هذا العبارة لا يختص بزمان أو مكان معين بل هو أصل كلي للإعصار والامصار كافة في ان تنامي الباطل معلول لضعف الحق ثم شبه تلك الفئة ببني اسرائيل اثر ابتعادهم عن الحق وتيههم اربعين سنة [٣].

ومما تقدم يتضح أنَّ الإمام علي عليه السلام ربط سيطرة الباطل الضعيف في ابتعاد الناس عن الحق وتفككهم من حوله وهذا عمل السنن التاريخية ذات الحكم المستمر الذي لا يتغير ولا يتخلف، وقد ذكر بني اسرائيل كشاهد تاريخي لجريان تلك السنة بعد معاداتهم للحق وابتعادهم ،وهو إشارة الى ثبات الحكم عند تشابه الظروف والاحوال، لذا كان النهي والترهيب من التفكك والتخاذل عن نصرة الحق حتى لا تظهر النتائج سلبية.

الامر نفسه ينطبق على كفران النعم[٤] فقد نهى الإمام علي عليه السلام عن الابتعاد والتشرد من الشكر، لأنّ الشكر سبب مطرد لزيادة النعم كما في ظاهر الآية الشريفة :((لَئِنْ

إِلَّا نَفْسِي) فأوحى اللَّه إليه إنهم يتيهون في الأرض أربعين سنة وإنما يخرج منهم من لم يعص اللَّه في ذلك فبقوا في التيه أربعين سنة في ستة عشر فرسخا وقيل تسع فراسخ وهم ستمائة ألف مقاتل لا تتخرّق ثيابهم وتثبت معهم وينزل عليهم المنّ والسلوى .ينظر : الطبرسي ، مجمع البيان ،٣٠٨/٣.

[١] نهج البلاغة،ص٢٤١.

[٢] البحراني ،شرح نهج البلاغة ،٣١٧/٣ .

[٣] مكارم شيرازي، نفحات الولاية ،٢٦٩/٦.

[٤] كفران النعم: من اهم اسباب عقاب وهلاك الأمم وخرابها هو الكفر بأنعم الله وعدم شكرها ، لذا اراد ائمة اهل البيت عليهم السلام التنبيه والتذكير من كان غافلاً او ناسياً وجاهلاً لشكر الله الآئه ونعمائه لتدوم عليهم هذه النعم وذلك من خلال ذم وتحريم كفران النعم والاشارة الى ما يستوجب بقاء النعمه وأدامتها وهو تحصينها بالشكر وإحاطتها على الدوام بالحمد وعدم الكفران ،فعن الإمام الرضا عن آبائه عن الإمام علي عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه واله وسلم قال :((اسرع الذنوب عقوبة كفران النعم))(الطوسي ،الأمالي ،ص٤٥٠ ؛الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٣٤١/١٠)،وعن الإمام السجاد عليه السلام قال :((الذنوب التي تغير النعم ....كفران

شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ))[1] لذلك نجد أمير المؤمنين نهى عن ترك الشكر لان الترك سبب لقلة النعم وانقطاعها والشكر يعمل على زيادتها إذ قال في ذلك بأسلوب النهي :((إذا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النِّعَمِ فَلَا تُنَفِّرُوا أَقْصَاهَا بِقِلَّةِ الشُّكْرِ))[2] ومعناه إذا وقع في يدك طرف من النعمة فاجتهد في تحصيل الطرف الآخر بكثرة الشكر فان الشكر يبقي السابق ويجلب اللاحق[3] وإذا كان وجوده سببا لوجود النعم وبقائها واتصال أواخرها بأوائلها كان عدمه أو قلته سبباً عرضياً يكون معه نفارها لا لقصور من مفيضها، فنسبة التنفير إليهم فلأنهم بقلة شكرهم سبب لنفار النعم[4]، اي إن عدم الشكر يحرم اصحاب النعم منها لأنه سبب لاستنزال الخيرات الالهية فقله الشكر يحرم الإنسان من باقي النعم ويذهب ما في ايديه منها لذلك كان أسلوب الإمام علي عليه السلام في بيان ذلك هو الترهيب بالنهي عن ترك هذا الفعل الحسن، وما يترتب عليه من تفعيل السنة الالهية وجريان العقوبات كأثر مترتب على كفران النعم.

النعم وعدم الشكر ....))(الصدوق، معاني الاخبار، ص٢٧٠؛ ابن فهد الحلي، عدة الداعي ،ص١٩٩)، وكفران النعم وجحودها نجده في قصة قوم سبأ من بلاد اليمن الذين جحدوا وانكروا الآء الله بعد ان وسع عليهم سبحانه من خلال الاعراض عن شكر الله والكفر بها قال تعالى :((لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آَيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ))(سبأ/١٥_١٦) فقد اخبر الله سبحانه عن " سبأ " وهي القبيلة من اليمن انه أنعم عليهم بالجنتين وبالبلدة الطيبة ، وأمرهم بشكر نعمه " فأعرضوا " عن ذلك ، فلم يشكروه وكفروه وجحدوا نعمه ، ولم يقبلوا ممن دعاهم إلى الله من أنبيائه ورسله جازاهم الله على ذلك بأن ارسل عليهم سيل العرم ، وسلبهم تلك النعمة وانزل بهم البلية ، فالسيل الماء الكثير الذي لا يمكن ضبطه ولا دفعه. ينظر :الطوسي :التبيان في تفسير القران ،٣٨٧/٨؛ حميد سراج ،احمد فاضل ، فلسفة ائمة اهل البيت عليهم السلام الاصلاحية في تشخيص اسباب سقوط الحضارات ،ص٧٤_٨٠.

[1] ابراهيم/٧.

[2] نهج البلاغة ،ص٤٧٠.

[3] عبدالوهاب، شرح كلمات امير المؤمنين،ص٦٣.

[4] البحراني، شرح مئة كلمة ،ص١٨٨.

ثالثاً. أسلوب الوعظ :

وهو من الأساليب التي أستخدمها الإمام علي عليه السلام في طرح السنن التاريخية وبيانها، ويعني النصح والتذكير بالعواقب[1] إذ إن امير المؤمنين عليه السلام كان غالبا ما يؤكد على الوعظ والموعظة التي تعد نداءاً روحانياً يعلو بالإنسان نحو الكمال ويدعوه الى ترك ما علية من سوء وغفلة[2] .

كان الإمام عليه السلام يحث على الموعظة حتى بالأسلوب فهو يعمل على تثقيف الناس والمجتمع على الاتعاظ بالسنن الالهية الجارية حتى قبل ذكر السنن نفسها إذ أمر بالموعظة والاعتبار بالأمم السابقة وكيف صارت أحوالهم وتطبيق القوانين الالهية عليهم لكي لا يقع الناس فيما وقع فيه من كان قبلهم إذ قال امير المؤمنين عليه السلام في ذلك :((فَاتَّعِظُوا عِبَادَ اللَّه بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ واعْتَبِرُوا بِالآيِ[3] السَّوَاطِعِ وازْدَجِرُوا[4] بِالنُّذُرِ الْبَوَالِغِ وانْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ والْمَوَاعِظِ))[5] إذ حمل الإمام علي السلام مخاطبيه على التأمل بسالف التاريخ وحوادثه التي تنطوي على دروس وعبر بغية توظيفها لما يخدم مصيرهم وعاقبتهم ليتذكروا عظماء التاريخ وكبكبه الملوك السلاطين والثراء العظيم الذي كان عليه لماضون والحياة المرفهة الوادعة ثم كيف اتى الدهر عليها واحالها ركاما بعد ان ابادهم من اخرهم فلم يبقى من قصورهم الشاهقة سوى

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ،٨/٤.

[2] ينظر : مكتبة الروضة الحيدرية ، الموعظة في نهج البلاغة ،ص٥.

[3] قال الشارح الحسيني في ديباج الوضي: ان المقصود بالآي هي النعم على خلاف جميع الشارحين للنهج الذين قالوا انها آثار الله او الآيات القرآنية . ينظر:٦٣٠/٢.

[4] الزجر: النهي والمنع . ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ،٣١٨/٤ .

[5] نهج البلاغة ،ص١١٦.

الاطلال بل لم يبقى من اجسامهم سوى العظام النخرة فقد ذهبوا واكلهم النسيان[1] ثم امرهم بالاعتبار بآيات آثار اللّه وعجائب مصنوعاته أو آيات القرآن المعذرة والمنذرة وبراهينها الساطعة المشرقة وتحصيل ثمرة الذكر والموعظة عنهما [2] .

لقد أراد الإمام علي عليه السلام من هذا الأسلوب الوعظي الذي استخدمه ردع المجتمع وتوعية الناس من خلال التفكر والاعتبار بأحوال الماضيين وكيف طبقت عليهم السنن والقوانين الالهية ومعرفتها عبر الحوادث التاريخية.

ولكن هذه الدروس والعبر الاتية من سالف التاريخ التي تكشف عن القوانين الحاكمة لها لا يمكن الاتعاظ بها إن لم يكن هنا استعداد باطني من داخل النفس لتقبل الوعظ، لذا وجه الإمام عليه السلام نحو زجر النفس وبنائها بالشكل السليم من خلال الاتعاظ بالماضيين إذ قال عليه السلام في ذلك الشأن:((واعْلَمُوا أَنَّه مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلَى نَفْسِه حَتَّى يَكُونَ لَه مِنْهَا وَاعِظٌ وزَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَه مِنْ غَيْرِهَا لَا زَاجِرٌ ولَا وَاعِظٌ))[3] أي من لم يعن الواعظين له والمنذرين على نفسه ، ولم يكن معهم قاهراً لها لم ينتفع بالوعظ والزجر، لان هوى نفسه يغلب وعظ كل واعظ وزجر كل زاجر[4] .

والوعظ الزاجر من داخل النفس هو العقل السليم أو الضمير الحي أو الوجدان اليقظ الذي يدرك النتائج والعواقب على حقيقتها، ويعرف الحوادث قبل وقوعها مستندا في ذلك إلى ما

[1] حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة ،١١٨/٦ ؛ مكارم شيرازي ، نفحات الولاية ،٢٩٨/٣.

[2] البحراني ، شرح نهج البلاغة ،٢٦٧/٢؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة ،١١٨/٦.

[3] نهج البلاغة ،ص١٢٣.

[4] ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،٣٩٧/٦ ،. ينظر: التميمي ، صفوة شروح نهج البلاغة ،٢٠٣ .

شاهد ورأى[1]، إذ وجه هنا امير المؤمنين عليه السلام الى زجر النفس ومحاسبتها من قبل الإنسان نفسه لان لا يمكن لأي شخص التأثير إن لم يكن لدية استعداداً لقبول التغيير.

فالنفس إن لم يكن فيها استعداد لا تقبل اي شيء من المؤثرات الخارجية مهما كانت قوتها لذا تقف ائمة اهل البيت عليهم السلام لمحاسبة النفس لكي يكون لديها استعداد لتقبل الرحمة الالهية كما قال الإمام الباقر عليه السلام :((من لم يجعل الله له من نفسه واعظا ، فإن مواعظ الناس لن تغني عنه شيئا))[2] إي الحث على محاسبة الشخص لنفسه في كل يوم وكل ساعه وتقبل الاخرين حتى يتعظ ويتم التغيير لديه لان تغير النفس أهم من مواعظ الاخرين وعليه فأن محاسبة النفس أمر ضروري لزجرها وهذا ما اشار إليه الإمام الكاظم عليه السلام في قوله :((ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فإن عمل خيرا استزاد الله منه وحمد الله عليه وإن عمل شيئا شرا استغفر الله وتاب إليه))[3] وهذه وصية بوزن الاعمال ومحاسبتها قبل الحساب حتى يكون الفرد من المتقين الواعظين الزاجرين للنفس .

إنّ المتتبع لطرح الإمام علي عليه السلام يجد أنه ذكر القواعد التاريخية نفسها بأسلوب الموعظة إذ طرح الحياة وما تتضمنه من قوانين واحكام ثابتة لا تتغير فهي طريق واضح تسير فيه الاعمار والسنين وكل احداث الدنيا ولا يمكن لاحد أن يوقفها إذ قال في ذلك عليه السلام :((كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ وكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ))[4] أي ان كل الاشياء المعدودة والمتوقعة هي اتية لا محاله

[1] مغنية، في ظلال نهج البلاغة ،٤٠٦/١ . وينظر: الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة،٣٧/٢.
[2] ابن شعبة الحراني، تحف العقول ،٢٩٤؛الامين ،اعيان الشيعة ،٦٥٧/١.
[3] الكوفي ،الزهد ،٧٦ ؛ الكليني ،الكافي ،٤٥٣/٢ ؛ الشيخ المفيد ، الاختصاص ،ص٢٧؛ ابن طاووس ، فلاح السائل ،ص٢١٢ ؛ الديلمي ،ارشاد القلوب ،١٨٢/١.
[4] نهج البلاغة ،ص٤٨٠.

ولا مفر منها وما يعد ينقص ويفنى فمثلا عمر الإنسان معدود بسنين فإذا ذهبت سنة نقص جزء من العمر وما يتوقع ويترقب مجيئه يأتي لا محاله فلابد للإنسان أن يعمل للاتي ويصرف النظر عن المنقضي[1] وهذا الكلام من المشهورات الخطابية في معرض الموعظة[2] .

فقد أشار الإمام عليه السلام الى حقيقة وقاعدة ثابتة وهي أن كل شيء متوقع يأتي لأن بعلم الله سبحانه وتعالى وحسب قواعد السنن التاريخية ، لذا لا يمكن ان يتخلف ما دام هناك قوانين تحكمه وضوابط متوفر تعمل على جريان تلك السنن التاريخية ، ومن هنا كان الأسلوب الوعظي مقدمة حقيقة لربط العمل بالمسببات المنطقية التي تفعل السنة التاريخية بما يخدم الإنسان لان الأثر إنما ينتج من نوعية الفعل.

[1] الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ،٢٩٢/٤.

[2] البحراني ، شرح نهج البلاغة،٢٧٥/٥.

الفصل الرابع

آثار السنن التاريخية ومعطياتها

المبحث الاول/ آثار جريان السنن التاريخية

إن جريان جميع السنن الإلهية التي تحكم حركة هذا الكون ومنها السنن الطبيعية أو السنن التاريخية كلها تترك آثاراً وعواقب ونتائج مهمة ، فمثلاً حركة الشمس والارض وهو قانون طبيعي له أثره وهو الليل والنهار، وسنة التقاء الذكر والانثى آثاره التناسل والتكاثر ،وهكذا السنن التاريخية ايضاً فجميعها لها آثار ونتائج مهمة على حياة الأفراد والأمم .

وقد تكون نتيجة أو أثر سنة معينة هي مقدمة لبداية وتطبيق سنة أخرى لان السنن التاريخية مترابطة فيما بينها ارتباطاً مادياً ومعنوياً[1]، فمثلا الأثر الذي يترتب على سنة الله في الاستدراج يكون مقدمة لتطبيق سنة تاريخية أخرى وهي سنة الله في هلاك الأمم ، وكذلك النتائج التي تترتب على سنة الله في الأخذ بالأسباب ومنها أسباب الاصلاح يترتب عليها سنة الله في التغيير، وايضاً الاخذ بأسباب الرزق يترتب عليها حدوث سنة الله في الرزق، وهكذا بقية الأسباب إذ تكون النتائج مقدمه لبداية سنن تاريخية أخرى.

إلا أن آثار السنن التاريخية غالبا ما تكون آثار بعيدة المدى لا يمكن للفرد أن يراها إلا بعد مدة زمنية طويله لكنها حتمية الحدوث ولو بعد حين، وهي معطيات كبيرة جداً على الإنسان والمجتمع بصورة عامة فقد تكون هذه الآثار سلبية إذا تم تحدي السنن أو ايجابية عند الأخذ بالأسباب بحسب نوع السنة الجارية على الأفراد والمجتمعات.

[1] ينظر: فلاح المسلي، السنن الإلهية في القرآن الكريم ،ص١.

اولاً. آثار ومعطيات الاخذ بالأسباب

إن جريان السنن التاريخية وتحقيق معطياتها وآثارها القائمة على تفاعل الفرد معها إنما يأتي من الأخذ بالأسباب والمحددات الكفيلة بجريانها بشكل يساهم في التنمية بمختلف اشكالها ومن هنا يمكن تحديد هذه الآثار والمعطيات بما يأتي :

١_ الآثار التنموية وتحقيق الاهداف البعيدة

أولاً. الآثار التنموية: أ_ الرزق: الرزق واحد من أهم الآثار الايجابية التي تخلفها السنن التاريخية بعد جريانها وهو نتيجة حتمية لشروط معينة، فعلى الرغم من إن الارزاق مقسمة وموزعة من الله سبحانه عز وجل كما هو معروف، لكن هناك أسباباً وشروطاً لإنزال الرزق وزيادته بحكم السنن التاريخية وعندما يتم العمل بالشرط يترك الأثر على الفاعل به.

ومن أهم الاسباب الباعثة للرزق الاستغفار فهو سبب لحدوثة بحكم السنة التاريخية، فقد دعا الإمام علي عليه السلام الناس للاستغفار في خطبة الاستسقاء لكي ينزل المطر عندما كانوا يعانون من قلة الامطار إذ قال عليه السلام ((وقَدْ جَعَلَ اللَّه سُبْحَانَه الِاسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ ورَحْمَةِ الْخَلْقِ فَقَالَ سُبْحَانَه (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّه كانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً ويُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وبَنِينَ ويَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ ويَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً)[1] فَرَحِمَ اللَّه امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَه))[2] فقد بين

[1] نوح/١٠
[2] نهج البلاغه،١٩٩

الإمام عليه السلام أن الله سبحانه جعل الاستغفار سببا في درّ الرزق [١] المتواصل دون انقطاع [٢]، أي إن نزول الرزق يأتي كنتيجة للاستغفار فهو أثر يحدث بعد أن تطبق السنة التاريخية بتوفر شرطها وقد يكون الرزق مطراً أو اموال وإبناء أو غيرها من انواع الأرزاق النازلة على بني ادم من قبل الله عز وجل.

السبب الاخر الذي يكون الرزق أثراً له وذكره الإمام علي عليه السلام كمحدد لنفاذ السنة التاريخية الجارية هو الصدقة، فقد قال عليه السلام ((((اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ))) [٣] إذ إن الرزق مقسوم ومقدر من الله لكل فرد ولكن وصول هذه الزرق المقسوم مشروط بالتكسب والاستنزال فإذا قل رزق انسان فليتصدق إذ ان من وسائل كسبة الصدقة [٤]، فهذا الأثر هو مهم جداً على الأفراد والمجتمعات ويضمن لهم العيش السليم مادام العمل مستمر بالأسباب الدالة عليه وهو نتيجة حتمية وأثر إيجابي مادي تخلفه جريان السنة التاريخية ويكون بداية لسنته تعالى في رزق عباده إذ جعل الرزق يصلهم بأسباب يباشرونها باختيارهم وجعلها موصلة الى اكتساب الرزق [٥] .

والملاحظ أنَّ طرح الإمام عليه السلام بهذه الخصوص استند على بيان الآثار التي تمثلت بالرزق على وفق مبدأ التوازن في العبادة بين الجانب المادي والمعنوي وهو الامر الذي لا

---

[١] الراوندي ، منهاج البراعة ،٦٨/٢، ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،٧٨/٩.
[٢] الدخيل، شرح نهج البلاغة ، ١٨/٢.
[٣] نهج البلاغة، ص٤٩٤.
[٤] الحسيني، ديباج الوصي ،٢٨٣٤/٦ ؛ حبيب الله الخوئي ،شرح نهج البلاغة ،٢١٠/٢١ .
[٥] زيدان ،السنن الإلهية في الأمم والأفراد ، ص٢٢١.

يخلو من غاية وهدف تكاملي يقوم على أساس تحقيق التكافل الاجتماعي من ناحية وتحقيق الاتصال الروحي مع الله سبحانه من ناحية أخرى.

ب_ زيادة النعم[1] **ودوامها** :أحدى من الآثار المهمة التي تتركها مراعاة السنن الإلهية[2] والقيام بها على الأفراد والأمم هو زيادة النعم ودوامها على الإنسان ويأتي هذا الأثر نتيجة للصبر على الطاعة وعدم المعصية وهو الأمر الذي أكده امير المؤمنين عليه السلام بقوله ((واسْتَتِمُّوا نِعَمَ اللَّه عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِه والْمُجَانَبَةِ لِمَعْصِيَتِه))[3] ورغَّب بالصبر وعدم المعصية بكونه سبباً يستتمّ به نعمة اللَّه عليهم ، ولمّا كان استلزامه لها كالثمرة له وكانت ثمرة الصبر حلاوة قدّمها ليحلو الصبر بذكرها[4]، وهذه الثمرة هي دوام النعم وزيادتها سواء كانت تلك النعم مادية أم معنوية.

والذي يوجب بقاء النعمة ودوامها ويمنع من نفورها هو شكر النعمة، إذ يكون استمرار النعم أثراً على القيام بالشكر وأداء حق النعم كما قال الإمام علي عليه السلام ((حَمْدُ لِلَّه الْوَاصِلِ

[1] والنعم هنا لا تعني الجانب المادي فقط كالمال والحياة المرهفة بل تشمل النعم المعنوية كالعافية وصحة البدن والايمان بالله وسوله وولاية اهل البيت عليهم السلام ومن ذلك قول الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم ((الصحة والفراغ نعمتان مكفورتان)) (المجلسي ، بحار الانوار ،١٦٨/٦٤)،وعنه صلى الله عليه واله وسلم((نعمتان مكفورتان : الأمن والعافية))(الصدوق ، الخصال ،ص٣٤)،وعن امير المؤمنين عليه السلام قال ((الصحة بضاعة ، والتواني إضاعة ، ألا إن من النعم سعة المال ، وأفضل من سعة المال صحة البدن وأفضل من صحة البدن تقوى القلب))(الراوندي ، الدعوات ،ص١١٣).

[2] المراعاة في اللغة هي : المُناظَرة والمُراقَبَة والمحافَظة والإبْقاءُ على الشيء ،ويمكن القول ان مراعاة السنن هو السير وفقها وعدم الاصطدام بها. ينظر :ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٢٧/١٤.

[3] نهج البلاغة ،ص٢٧٩.

[4] البحراني ، شرح نهج البلاغة ،١٩٢/٤

الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ والنِّعَمَ بِالشُّكْرِ نَحْمَدُه عَلَى آلَائِه كَمَا نَحْمَدُه علَى بَلَائِه))[1] إذ إن الشكر يؤثر في الإنسان تأثير إيجابي معنوي مادي وهذ الأثر يتحقق من رعاية الإنسان لمضمون للسنن التاريخية.

ويتضح أن كلام الإمام عليه السلام حول هذه الأثر أعتمد بالدرجة الاساس على الأمور العبادية التي تجري بها السنن التاريخية وبالتالي تحقيق المعطيات، فالصبر اختبار للإنسان في كيفية المحافظة والتعامل مع النعم، والشكر يمثل العرفان وعدم إنكار النعم واستمرار التواصل الروحي مع معطي تلك النعم وهو الله عز وجل.

ثانياً: تحقيق الاهداف البعيدة المدى:

أ_ النجاة والخلاص: من الآثار المهمة التي تتركها السنن التاريخية بعد جريانها هي النجاة من التهلكة والخلاص من المصاعب والشدائد بموجب تحقيق الضوابط التي تعمل على حدوث السنة التاريخية ومن ثم تخلف أثر يكون ذا فائدة عظيمة للأفراد والمجتمعات جميعاً، فالخلاص والنجاة أثر لتقوى الإنسان وهو أثر حتمي لابد منه كما قال امير المؤمنين عليه السلام ((واعْلَمُوا أَنَّه (مَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لَه مَخْرَجاً)[2] مِنَ الْفِتَنِ ونُوراً مِنَ الظُّلَمِ ويُخَلِّدْه فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُه ويُنْزِلْه مَنْزِلَ الكَرَامَةِ عِنْدَه فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِه ظِلُّهَا عَرْشُه ونُورُهَا بَهْجَتُه وزُوَّارُهَا مَلَائِك))[3] فهذا الآثار

[1] نهج البلاغة ،ص١٦٩. وعنه عليه السلام قال ((ثمرة الشكر زيادة النعم))(الليثي الواسطي ،عيون المواعظ والحكم ،ص٢٠٧)، وعن الإمام الصادق عليه السلام قوله ((لا تدوم النعم إلا بعد ثلاث: معرفة بما يلزم لله سبحانه فيها ، وأداء شكرها ، والتعب فيها))(ابن شعبه الحراني ، تحف العقول ،ص٣١٨).

[2] الطلاق/٢.

[3] نهج البلاغة، ص٢٦.

التي تتركها التقوى على الفرد من الخروج من الفتن والظلمات والمنزلة العظيمة التي يحصل عليها الفرد، لذلك فأن المخرج الذي يترتب على العمل بالتقوى هو الخروج والنصر على الفتنه، فالمتقي يخرج من الفتنه سليماً[1] .

والأثر لا يقتصر فقط على الدنيا إنما يشمل الخلود الأخروي في دار اصطنعها الله لخلص اوليائه[2] فهي معطيات مهمه جدا وايجابية على الأفراد كذلك تحدث مع المجتمعات عند القيام بها فالخروج من الظلم أثر عظيم يخلص الفرد من الهلاك والسير في الطريق الخاطئ والاخذ بيده نحو المسار الصحيح .

إن الشدائد والمحن مهما كانت شديدة وقوية إلا أنّ التقوى كفيلة بالخروج منها، وهذا ما يفسر قول الإمام علي عليه السلام ((ولَو أَنَّ السَّمَاوَاتِ والأَرَضِينَ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتْقاً ثُمَّ اتَّقَى اللَّه لَجَعَلَ اللَّه لَهم منْهُمَا مَخْرَجاً لَا يُؤْنِسَنَّكَ إِلَّا الْحَقُّ ولَا يُوحِشَنَّكَ إِلَّا الْبَاطِلُ))[3] وقد بين الإمام عليه السلام هنا الأثر والبشارة بالخلاص من ضيق الحال والشدة الى النور والخير وشرط ذلك

[1] الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ،١١٠/٣

[2] الكيذري البيهقي ، حدائق الحقائق ،١٢٤/٢ . وينظر : حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ، ٣٩٠/١٠.

[3] نهج البلاغه،ص١٨٨. ومن آثار التقوى التي ذكرها الله في القرآن الكريم كما جاء في قوله تعالى ((وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤) ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا))الطلاق/ ٢_٥.

التقوى[1] وهي آثار معنوية مادية تترتب نتيجة لمراعاة الفرد للأخذ الأسباب التي تترتب عليها معطيات كثيرة .

ولعل المخرج المقصود هو ما يميز السنن التاريخية ويثقف لها ، فهو صورة حية لطبيعة التعامل البشري مع الواقع الديني الذي تعد التقوى أبرز صوره وعلاماته العامة ، إذ إن كلام الإمام عليه السلام لا يعني فقط الآثار المميزة للسنن التاريخية بل هو فرز للعبادة الحقه المنضبطة الواعية الموصوفة بالتقوى.

ب_ النصر والغلبة : من الآثار المهمة التي يخلفها جريان السنن التاريخية على الأفراد والأمم هو النصر والغلبة، إذ يعد من المعطيات الايجابية الحتمية ويكون هذا الأثر مادياً أو معنوياً وقد يتأخر حدوثه الا أنه يأتي لا محالة وتأخذ الاقوام حقها وينتصر المستضعف المظلوم بحكم ثبات السنن التاريخية .

فالذين يقفون الى جانب الحق لابد لهم إن ينتصروا ولو بعد حين كذلك المظلومين تؤخذ حقوقهم وينتصروا وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله ((يوْمُ الْعدل عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الجور عَلَى الْمَظْلُومِ))[2] إذ بين هنا أمير المؤمنين عليه السلام النصر والغلبة التي يستحقها المظلوم عندما يعاقب الظالم في يوم العدل وهو يوم القيامة[3] ولا يقتصر على يوم القيامة

[1] ينظر :البحراني ، شرح نهج البلاغة ،١٤٦/٣ ؛ شبر، نخبة الشرحين ،٨٠٢/٢ .
[2] نهج البلاغة،ص٥٣٤.
[3] ينظر :البحراني ،شرح نهج البلاغة ،٤٠٩/٥ ، حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة،٤٢٦/٢١ ؛ الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ،٤٢٤/٤ ؛ الموسوي ،شرح نهج البلاغة ،٤٥٥/٥.

فقط بل هو وقت جزاء الله وعقابه للظلم سواء في الدنيا أو الاخرة، يكون هذا الجزاء أشد ودائم وهو أثر لابد منه.

وقد يكون انتصار المظلوم بعدة طرق ومنها ضرب الظالمين بعضهم ببعض وهذا ما اشار الية القرآن الكريم في ذكر هذا الأثر للسنة التاريخية بقوله تعالى ((وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))[1] اي ينتقم اللَّه تعالى من الظالم بالظالم ، ثم ينتقم من الجميع بنفسه [2] كما قال الإمام الصادق عليه السلام ((ما انتصر الله من ظالم الا بظالم وذلك قول الله " وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون "))[3].

وهذا انتصار بالنسبة للمظلوم عندما يعذب الذي ظلمه واخذ حقه لان الله سبحانه وتعالى لا يظلم عنده احد وينتصر عز وجل للجميع من الظالمين لأنه الحاكم العادل بين الناس جميعاً، والانتصار مستمر للمظلومين متى ما وقع عليهم الظلم بحكم ثبات السنن التاريخية وأثرها في من تجري عليهم.

وقد بين الإمام علي عليه السلام المصير المحتوم لأهل البيت عليهم السلام وأن الدنيا ستنقاد لهم بعد تمردها وجموحها عليهم هو أثر تتركه السنة التاريخية على من استضعف وابتلى في الارض وسلب منه حقه حيث سيأتي يوم يرد الحق له وتصبح السلطة والسيادة لهم على هذا

---

[1] الانعام /١٢٩.

[2] التستري ، تفسير التستري ،ص٦٣ .وينظر : السمعاني ، تفسير السمعاني ،١٤٥/١.

[3] العياشي، تفسير العياشي ،٣٧٦/١ ؛ الكليني ،الكافي ،٢/ ٣٣٤ ؛ الصدوق ، ثواب الاعمال ،٢٧٤.وانتصار الله للمظلوم خير من انتصاره لنفسه كما جاء قول الرسول محمد صلى الله واله وسلم((أوحى الله إلى نبي من أنبيائه . . . إذا ظلمت بمظلمة فارض بانتصاري لك ، فإن انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك))(الكليني ، الكافي ،٣٠٤/٢ ؛ المجلسي ، بحار الانوار ،٢٧٧/٧٠)

العالم وهنا نقصد ائمة أهل البيت عليهم السلام بعدما لاقوا المحن والمصائب والابتلاءات جاءهم النصر من قبل الله عز وجل كما قال الإمام علي عليه السلام ((لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا وتَلَا عَقِيبَ ذَلِكَ (ونُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ ونَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ونَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ)[1]))[2] إذ إن وراثة الارض بعد تلك الشدائد وهكذا هي عاقبة الانبياء والمرسلين وهو وعد إلهي لابد أن يتحقق بعد الابتلاءات التي واجهوها بأن ترجع اليهم وتعطف نحوهم ،إذ قيل في معناه نحن اهل البيت نمتحن بضروب البلاء تمحيصا لنا وتهذيبا ثم يأتي بعد ذلك الخلاص والفلح والنصرة [3].

وهذا النصر كان أثراً لواحدة من السنن الإلهية التاريخية وهي سنة الابتلاء وهذه النتيجة هي مقدمه لسنة اخرى هي سنة النصر والتمكين، فهو تطمين من قبل الإمام عليه السلام بحتمية النصر بعد الشدة والبلاء، وتثقيف لبقاء الامل في حياة افضل مؤزرة بالنصر الالهي.

وقد يكون ذلك النصر الحتمي هو أثراً لقيام الإنسان بدين الله ودين رسوله وأداء الفرائض ونصرة الدين وهو سنة تاريخية ثابتة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ((فَاللَّه اللَّه مَعْشَرَ الْعِبَادِ

---

[1] القصص/٥.

[2] نهج البلاغة،ص٥٠٦.وقال عليه السلام في اهل البيت وولايتهم ووراثتهم للأرض ايضاً ((لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ (ص) مِنْ هَذِه الأُمَّةِ أَحَدٌ ، ولَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْه أَبَداً ، هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وعِمَادُ الْيَقِينِ ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي وبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي ، ولَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ ، وفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ والْوِرَاثَةُ ، الآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِه ونُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِه)) ينظر: نهج البلاغة ،ص٤٧.

[3] البيهقي، معارج نهج البلاغة ،ص٤٢٧.

وأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصِّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ[1] وفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ وأَضْمِرُوا[2] بُطُونَكُمْ واسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ وأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ وخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ولَا تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا فَقَدْ قَالَ اللَّه سُبْحَانَه (إِنْ تَنْصُرُوا الله يَنْصُرْكُمْ ويُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ)[3] وقَالَ تَعَالَى (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ الله قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَه لَه ولَه أَجْرٌ كَرِيمٌ)[4] فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ ولَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ اسْتَنْصَرَكُمْ ولَه جُنُودُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ وهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))[5] إذ دعا الإمام عليه السلام هنا الى فكاك رقابهم وتحرير الانفس من النار عن طريق العبادات والسهر في طاعة الله والصيام والصلاة والقيام وانفاق الاموال في سبيل الله وبذلك تحيوا انفسكم وتنقذوها من النار[6] .

وقد استشهد الإمام عليه السلام بالآية القرآنية الخاصة بالنصر الإلهي وقد قيل في شرحها: ان تنصروا دين الله ودين النبي بالقتال والجهاد ينصركم في الدنيا والاخرة ويثبت اقدامكم على الصراط[7] ، فمن ينصر الله وهو نصر دينه وشريعته والانتصار على النفس الامارة بالسوء ينصره الله سبحانه وتعالى ويجعله في منزلة عالية جداً كما قال امير المؤمنين عليه السلام في

---

[1] السقم: المرض. ينظر : ابن الاثير ،النهاية في غريب الحديث والأثر ،٣٨٠/٢ ؛ ابن منظور ،لسان العرب ،٢٨٨/١٢ ؛ الفيروز ابادي ،القاموس المحيط،١٢٩/٤.

[2] اضمروا: الهزال وخفة لحم (لحوق البطن) . ينظر :الفراهيدي ،العين ،٤١/٧ ؛ الجوهري ،الصحاح ،٧٢٢/٢.

[3] محمد/٧.

[4] الحديد/١١.

[5] نهج البلاغة ،ص٢٦٧.

[6] البحراني ،شرح نهج البلاغة ،٤٠٧/٣ ؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة ،٢٠٨/٣.

[7] الطبري ، مجمع البيان ،١٦٤/٩ .و ينظر: القرطبي ، جامع لأحكام القرآن ،٢٣٢/١٦.

تكمله خطبته ((تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللَّه فِي دَارِه))[1] هذا الأثر والمنزلة العظيمة التي يتحصل عليها الفرد بعد نصرته لدين الله ولنبيه محمد صل الله عليه واله وسلم سواء كان في الدنيا أم الاخرة.

والملاحظ من طرح الإمام علي عليه السلام حول هذه النتيجة التي تخلفها السنن التاريخية عدة امور اهمها:

١_النصر يحتاج الى مقدمات مادية ومعنوية ليتحقق بفعل القانون التاريخي الحتمي بعد توافر الضوابط.

٢_انتصار المظلوم والمستضعف هو اقرار للعدالة الإلهية بعد تعرضهم للظلم ومواجهتهم له بالصبر وتسليم الامر لله عز وجل.

٣_اهمية الدين في النصر، إذ ينصر من يرعاه ويتعامل معه كسنة تاريخية مطردة تحطم من يتحداها وتنصر من يعمل بها وبأجزائها.

٢. الآثار التوعوية والاصلاحية:

اولاً. الاصلاح والاعتدال: من الآثار المهمة التي تتركها السنن التاريخية على الأفراد والأمم والمجتمعات بعد جريانها عليهم هي اصلاح وتغيير احوال الأفراد والأمم نحو الافضل وبصورة ايجابية حيث تنعم تلك المجتمعات بحياة وتعايش اجتماعي ممتاز لكن هذه الاصلاح يأتي بعد القيام بالضوابط التي تحقق نتيجة الشرط كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك ((مَنْ

[1] نهج البلاغة ،ص٢٦٧.

أَصْلَحَ مَا بَيْنَه وبَيْنَ اللَّه أَصْلَحَ اللَّه مَا بَيْنَه وبَيْنَ النَّاسِ ومَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِه أَصْلَحَ اللَّه لَه أَمْرَ دُنْيَاه ومَنْ كَانَ لَه مِنْ نَفْسِه وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْه مِنَ اللَّه حَافِظٌ))[1] إذ بين الإمام علي عليه السلام الآثار والمعطيات التي تترتب على اصلاح علاقة الفرد بالله إذ يصلح الله علاقته بالمجتمع والناس ويتم التعايش السلمي بينهم من دون مشاكل ومصاعب وكذلك اصلاح أمر الدنيا من الآثار المهمة التي يخلفها اصلاح أمر الاخرة .

إن اصلاح العبد ما بينه وبين الناس أثر لازم يترتب على اصلاح ما بينه وبين ربه كما أن أثر أداء وظيفة العبودية هو اصلاح الله أمر الدنيا للعبد بكفالة رزقه وتحسين احواله[2]، فبعد قيام الفرد بتلك الافعال تتم سنة التغيير وهي عبارة عن أثر ونتيجة لسنة الله في الاخذ بالأسباب.

ايضاً من الآثار المهمة التي تتركها السنن التاريخية هي اعتدال المجتمعات وصلاح الزمان وقوة الدولة ولكن هذا الأثر مشروط بالاستقامة[3] وبأداء الحقوق بين الوالي والرعية كما قال امير المؤمنين عليه السلام((أَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَه مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ وحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّه سُبْحَانَه لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ فَجَعَلَهَا نِظَاماً لأُلْفَتِهِمْ وعِزّاً لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوُلَاةِ ولَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ فَإِذا أَدَّتْ

---

[1] نهج البلاغة،ص٥٥٢.

[2] حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة ،١٣٤/٢١.

[3] الاستقامة : هي لزوم طاعة الله عز وجل كما في ظاهر قوله تعالى ((إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ))(فصلت /٣٠. وينظر :الاحقاف/١٣) والاستقامة هي الدين كما قال الإمام علي عليه السلام((كيف يستقيم من لم يستقم دينه))(الليثي الواسطي ، عيون المواعظ والحكم ،ص٣٨٣) وعنه ايضاً ((من لزم الاستقامة لزمته السلامة))(الديلمي ،اعلام الدين في صفات المؤمنين،ص١٨٧) وفي آثارها قال تعالى ((وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا))((الجن/١٦) والجنة ايضاً كما قال الإمام عليه السلام ((من استقام فإلى الجنة ، ومن زل فإلى النار))(نهج البلاغة ،١٦٧٠).

الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّه وأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ وقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ واعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ وجَرَتْ عَلَى إِذلَالِهَا السُّنَنُ فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ وطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ ويَئِسَتْ مَطَامِعُ الأَعْدَاءِ وإِذا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِه اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ وظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ وكَثُرَ الإِدْغَالُ فِي الدِّينِ وتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ فَعُمِلَ بِالْهَوَى وعُطِّلَتِ الأَحْكَامُ وكَثُرَتْ عِلَل النُّفُوسِ))[1] وهذه السنة التي تفرض على الإنسان ألا يستحق شيئا من الحقوق إلا بأدائه حقوقا عليه ، ليست إلا سنة الكون العادلة القائمة بهذا العدل[2] ، فالقيام بهذه السنة الإلهية ورعايتها من خلال أداء الحقوق تترتب عليها آثار مادية ومعنوية مهمة لأنها قائمة على مبدأ التكافؤ بين الوالي والرعية وبهذا التضامن والترابط بين الحاكم والمحكوم تستقيم الأمور ، ومن أجل هذا جعله سبحانه دستور الحكم وأساسه ونظام قائم له [3] ومن اهم تلك الآثار الايجابية:

١_ان سياسة المساواة تقوي شأن الحاكم داخلياً وخارجياً من خلال وقوف المجتمع معه واسناده.

٢_ عز الحقّ بينهم ولم يكن له مخالف وقيام مناهج الدين وطرقه بالاستقامة على قوانينه والعمل بها واعتدال معالم العدل ومظانّه بحيث لا جور فيها[4]، وهي آثار معنوية مهمة في استمرار الدولة وقوتها.

٣_جريان الامور على مجاريها وطرقها وصلاح الزمان وسلامته من الفتن والمحن [1] بعد أن اصلح الرعية والوالي انفسهم إذ ينعكس ذلك على الزمان.

---

[1] نهج البلاغة ،ص٣٣٣.

[2] جورج قرداح ، روائع نهج البلاغة ،٤٣

[3] مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ،٢٦/٣.

[4] البحراني ، شرح نهج البلاغة ،٤٣/٤ .وينظر: شبر ، نخبة الشرحين ،١٢٠١/٣ .

٤_استمرار الدولة وثباتها لأنها قائمه على قواعد واسس لا يستطيع احد النيل منها كما قال عليه السلام في هذا الشأن((ثبات الدولة بإقامة سنن العدل))[٢] لان العدل بين الرعية والوالي يولد استقرار الدولة وتحصينها، وبذلك تبطل جميع محاولات الاعداء للسيطرة عليها.

ويتضح من ذلك أن صلاح الرعية والوالي تداخلا مع بعضهما ولكل منهما أثره في الاخر وهذا الامر كان واضحا جلياً في دولة الرسول الاكرم محمد صلى الله عليه واله وسلم إذ كان اعظم مؤدياً للحقوق وكيف ظهرت تلك الآثار في دولته كذلك دولة أمير المؤمنين عليه السلام وكيف كانت الدولة عادلة مستقيمة وغيرها في الكثير من الحكومات عبر التاريخ [٣] .

ثم تطرق الإمام عليه السلام الى بيان الآثار الناتجة عن تقاعس وعدم تأدية الحقوق بين الراعي والرعية وهي آثار سلبية خطرة على المجتمع والدولة ومن اهمها: التفرق واختلاف الآراء وانتشار الظلم والفساد في الدين وتعطيل الاحكام الشرعية[٤]، وذلك بعد أن استبد الحاكم وطغى وعدم قيام المحكوم بواجبه وإهمال تلك السنة الإلهية وعدم رعايتها ويظهر ذلك في أوضح

---

[١] الراوندي ، منهاج البراعة ،٣٥٤/٢ ؛ الحسيني ، ديباج الوصي ،١٧٤٥/٤.

[٢] الامدي ، غرر الحكم ،ص١١٣.

[٣] مكارم شيرازي ، نفحات الولاية ،١٨٥/٨. تعد دولة الإمام علي عليه السلام خير مثال لقيام حكومة الله العادلة على وجه الارض وذلك لتطابق القول فيها مع الفعل والعمل إذ يقول عليه السلام ((جمال السياسة العدل))(الليثي الواسطي، عيون المواعظ والحكم ،ص٢٢٣)، وقد جعل العدل مطلبه في الحكم فقد قال ابن عبّاس ((دخلت على علي عليه السلام بذي قار وهو يخصف نعله ، فقال لي : ما قيمة هذه النعل ؟ فقلت : لا قيمة لها ، فقال : واللَّه هي أحبّ إليّ من إمرتكم ، إلا أن أقيم حقا أو أدفع باطلا))(ابن حمدون ،التذكرة الحمدونية ،٨٦/١)، بل ركز على المساواة والعدل حتى في نظرة العين كما يوصي محمد ان ابي بكر ((خْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ وأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ وابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ والنَّظْرَةِ حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ ولَا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ))(نهج البلاغة ،٣٨٣).

[٤] البحراني ،شرح نهج البلاغة ،٤٣/٤ . وينظر :شبر ، نخبة الشرحين ،١٢٠١/٣.

صورة في الحكومات التي عقبت دولة الإمام علي عليه السلام امثال دولة بني امية(٤١_١٣٢هـ) ودوله بني العباس(١٣٢_٦٥٦هـ).

وينبغي الإشارة إلى أن حق الرعية على الراعي ثابت مطلقا ، سواء أقامت الرعية بما عليها من حق الراعي أم لم تقم، أما حق الراعي على رعيته فمقيد بصلاح الراعي ، قيامه بما عليه من حق فإن أهمل فلا تجب طاعته ، بل يجوز خلعه وعزله[١].

ويتضح مما تقدم أن العدل أساس راحة المجتمع ومن ضاق صدره من العدل سيكون اضيق إذ ما ساد الجور والظلم وهذا ما قاله الإمام عليه السلام ((فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً ومَنْ ضَاقَ عَلَيْه الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْه أَضْيَقُ))[٢] فالعمل بمقتضى العدل فيه وسعة للنّاس إذ به نظامهم وقوام أمورهم ، ولولاه لاختلّ النّظام وضاع القوام ومن ضاق عليه القيام بالحكم الذي اقتضاه العدل فالجور الذي أقدم عليه بمقتضى هوى نفسه وميل طبعه أضيق عليه في الدّنيا والآخرة[٣] لان العدل يضع الأمور في مواضعها ، ويعطي لكل ذي حقّ حقه، ولا يبقى في دولة ظالم ولا مظلوم[٤] وهذا أثر مهم جدا تتركه السنن التاريخية على قيام الأمم واستقرارها لذلك نلاحظ أن الدول التي لا يسودها العدل دول غير مستقرة ومتفككة وكثيرة الحروب على عكس البلدان التي يحقق نظامها العدل واداء الحقوق والواجبات .

[١] الإمام زين العابدين عليه السلام ،شرح رسالة الحقوق ،ص٣٧٨.
[٢] نهج البلاغة، ص٥٧ .
[٣] الخوئي ، منهاج البراعة ،٢١٤/٣.
[٤] مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ،١٣٠/١.

ثانياً. المعرفة والعبرة : من أهم الآثار التي تنتج عن جريان السنة التاريخية على الأفراد والأمم هي المعرفة العامة واخذ العبرة من الحوادث التاريخية التي تقع بفعل حدوث السنن التاريخية عليها إذ يعطي لنا السير في احداث الماضيين معرفة كبيرة وصورة واضحة عن الحاضر والمستقبل ويستطيع الإنسان من خلال ذلك تسخير الواقع لصالحه وعدم الوقوع في المهالك والمصاعب إذ مر قول امير المؤمنين عليه السلام في أثر تتبع السنن التاريخية والتعرف عليها ((أَيْ بُنَيَّ إِنِّي وإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ وفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ وسِرْتُ فِي آثارِهِمْ حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِه ونَفْعَه مِنْ ضَرَرِه فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَه وتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَه وصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَه))[1] .

فقد بين لنا امير المؤمنين عليه السلام عدة آثار مهمة من السير في احوال الماضيين ومنها معرفة الماضي ومعرفة الرديء من الجيد ومعرفة الطريق الصحيح الذي تسير عليه لتفادي العواقب السيئة من الطريق المهلك وكذلك معرفة عواقب الأمور وقراءة المستقبل ليتحكم فيه الإنسان ويسيطر عليه[2] لأنّ التاريخ وحوادثه لا يخرج عن نطاق تلك السنن، فالآثار التي يتركها الماضي هي آثار السنن التاريخية الحاكمة للتاريخ، فمطالعة تاريخ الماضين تجعل عمر الإنسان طويلا بقدر أعمارهم حقا ، لأنها تضع مجموعة تجاربهم خلال أعمارهم تحت تصرفه واختياره.

---

[1] نهج البلاغة ، ص٣٩٤.وقال عليه السلام في ذلك ايضاً قال ((أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ وأَمِتْه بِالزَّهَادَةِ .... واعْرِضْ عَلَيْه أَخْبَارَ الْمَاضِينَ وذَكِّرْه بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِينَ وسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وآثارِهِمْ فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وعَمَّا انْتَقَلُوا وأَيْنَ حَلُّوا ونَزَلُوا فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ انْتَقَلُوا عَنِ الأَحِبَّةِ وحَلُّوا دِيَارَ الْغُرْبَةِ وكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ))(نهج البلاغة ،ص٢٩٢).

[2] ينظر :البحراني ، شرح نهج البلاغة ،١٧/٥؛ مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ،٤٩٠/٣ .

ان مراجعة أحوال الماضيين والوقوف على اخبارهم عبرا لمن اعتبر وموعظة لمن اتعظ إذ إن عرض سجلات الماضي يجعل المرء عنده رؤية شخصية بتحسين واقعه والارتفاع من الحضيض الى التكامل والسمو[1]، فهذا أثر عام تتركه جميع السنن التاريخية على الفرد عند قراءة التاريخ لان مكان لقيام الحضارات والدول واندثارها إذ تمر كل الأمم عليه وتنتهي فيه.

فالإنسان بالاعتبار يستطيع حفظ ما بقى من حياته والسير على الطريق الصحيح وعدم الوقوع في المهالك والمصاعب وهو أثر يتركه الاعتبار كما قال الإمام علي عليه السلام ((ولَوِ اعْتَبَرْتَ بِمَا مَضَى حَفِظْتَ مَا بَقِيَ))[2] فقد أكد على أنّ الاعتبار بما مضى من العمر أو من أحوال الدنيا والقرون الماضية لغاية حفظ ما بقي من العمر أن يضيّع في الباطل أو حفظ ما يبقى من السعادة الأُخرويّة بالسعي في تحصيلها[3] إذ إن الاعتبار والنظر الى آثار الماضي وكيف وقعت بهم السنن التاريخية وحكمتهم والتدبر في الآثار يجعلك تتطلع الى المستقبل وتحفظ عمرك الباقي وتصلح الحال، لأنّ لا يوجد درس ولا عبرة أبلغ من التاريخ والحوادث الواقعة في طياته .

ثالثاً. التذكير وزجر النفس :ان سنة الابتلاء والاختبار الالهي التي تصيب الإنسان تخلف آثاراً كبيرة في الفرد المبتلى ومن أهم تلك النتائج التي تخلفها الابتلاءات هي التوبة والتذكير وزجر النفس وابتعادها عن الذنوب والمعاصي وهو ما تهدف اليه تلك السنة كما قال امير المؤمنين

---

[1] الموسوي ،الوصية الخالدة ،ص٢٣.

[2] نهج البلاغة،ص٤٢٣.وايضاً قوله عليه السلام ((واعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِه بَعْضاً وآخِرَهَا لَاحِقٌ بِأَوَّلِهَا)) نهج البلاغة،ص٤٥٩.

[3] البحراني ، شرح نهج البلاغة ،١٢٧/٥ .وينظر : المجلسي ، بحار الانوار ،٤٨٤/٣٣.

عليه السلام ((إِنَّ اللَّه يَبْتَلِي عِبَادَه عِنْدَ الأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ وحَبْسِ الْبَرَكَاتِ وإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ لِيَتُوبَ تَائِبٌ ويُقْلِعَ مُقْلِعٌ ويَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ ويَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ))[1] انّ الإنسان إذا ساعدته السعادة الدنيوية، اعرض عن ذكر اللَّه، ونسى ما قدّمت يداه، وإذا مسّه الضّرّ من نقص الثمرات وحبس البركات لم يجد ملجأ سوى اللَّه، فيتوب اليه ويدعوه ويتقرّب الى اللَّه بخضوع وخشوع ، فيكون ذلك الخشوع والانابة من اسباب هدايته ونجاته [2]، إذ يكون أثر الابتلاء هو التوبة والرجوع الى الله وهذا أثر مهم في حياة الإنسان يجعله يسلك الطريق الصحيح ويبتعد عن الانحراف ويتقرب من الله عز وجل .

وقد يؤدي التذكير الى إيقاظ الشعور من الغفلة والرجوع الى الله عز وجل وعدم التكبر إذ ان هذا الأثر يترتب على سنة الابتلاء التي تصيب الإنسان كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ((ولَكِنَّ اللَّه يَخْتَبِرُ عِبَادَه بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ ويَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ ويَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ وإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ ولِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَى فَضْلِه وأَسْبَاباً ذُلُلًا لِعَفْوِه))[3] فالابتلاءات اسبابا غائيّة من العناية الإلهية لإعداد النفوس لإخراج الكبر منها[4] لأنَّ

---

[1] نهج البلاغة ،ص١٩٩. وفي ذلك اشارة الى قوله تعالى ((ولَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ والْجُوعِ ونَقْصٍ مِنَ الأَمْوالِ والأَنْفُسِ والثَّمَراتِ وبَشِّرِ الصَّابِرِينَ))البقرة / ١٥٥.

[2] البيهقي ، معارج نهج البلاغة ،٢٣٥. وينظر :البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ١٨٥/٣ ؛ الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، ٢٢٧/٢.

[3] نهج البلاغة ،ص٢٩٤.وجاء في هذا الشأن قوله عليه السلام ((ولو أراد الله أن يخلق آدم من نور يخطف الأبصار ضياؤه . . . لفعل ، ولو فعل لظلت له الأعناق خاضعة ، ولخفت البلوى فيه على الملائكة ، ولكن الله سبحانه يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون أصله، تمييزا بالاختيار لهم ونفيا للاستكبار عنهم))(نهج البلاغة،ص١٨٧).

[4] البحراني ،شرح نهج البلاغة ،٢٨٣/٤.

المشاق تصفّى نفس الإنسان ، وتلطَّف الأفئدة عن خشونتها و ترشد الإنسان على أنه ضعيف لا يقدر على شيء فيسكن الذل والانكسار في قلبه وان الشخص إذا عمل بالمشاق نال فضله تعالى وعفوه، فان العفو عن المذنب لا يكون إلا بالإطاعة[1]، وهذا أثر ايجابي مهم جداً في تصحيح مسار الإنسان وتغييره نحو الاصلاح والتكامل، إلا إن هذه الآثار التي تنتج عن سنة الابتلاء تختلف حسب طبيعة تعاطي الفرد مع تلك السنة التاريخية ورعايته لها وتجاوبه معها.

إن جميع الابتلاءات التي تقع على الإنسان يكون لها أثر وجزاء مهم تعطيه تلك الاختبارات الإلهية ويختلف عظم الجزاء بحسب نوع الابتلاء وشدته وهو ما أكده الإمام علي عليه السلام بقوله ((كُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوَى والِاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ الْمَثُوبَةُ والْجَزَاءُ أَجْزَلَ))[2] إذ إن الاجر يكون على قدر المشقة والثواب يكون اجزل على الفرد من جميع النواحي المادية والمعنوية وهو ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ((ان عظيم البلاء يكافأ به عظيم الجزاء))[3].

ويتضح من ذلك ان الابتلاء يمثل محور زجر النفس والإخلاص لله تعالى وتكون آثاره إيجابية تربوية حتمية على وفق السنن التاريخية سواء كانت هذه الآثار مادية ببناء الشخصية

---

[1] الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ،٢٠٢/٣.

[2] نهج البلاغة ،ص٢٩٢.

[3] الكليني ،الكافي ،٢٥٣/٢ ؛ الاسكافي ،التمحيص ،ص٣٣؛ الصدوق، الخصال ،١٨ ؛ الحراني ، تحف العقول ،ص٤١ .وفي ذلك الشأن نذكر ما قاله الرسول محمد صلى الله عليه واله سلم ((يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض)) .ينظر: الترمذي ، سنن الترمذي ،٢٩٠/٤؛ البيهقي ، السنن الكبرى ،٣٧٥/٣.

الإنسانية وصقلها وتطهيرها من شوائبها أم معنوياً بالثواب والحسنات، فهذه المصالح العظيمة والآثار الكبيرة تكون بمثابة التعويض للفرد المبتلى وهو منتهى العدل الالهي.

ثانياً. آثار السنن التاريخية في التخطيط والاستراتيجية المستقبلية

تلعب السنن التاريخية دوراً كبيراً في قراءة المستقبل والتنبؤ والتأثير فيه من خلال تعليل المسارات التاريخية للأمم والحضارات إذ تظهر القراءة العلمية للتاريخ والاحداث التي تقع فيه، وذلك لان السنن تتميز بطابع الثبات وعدم التغير والاستمرارية ما يؤهل الإنسان للاستفادة منها في معرفة وتحليل الوقائع التاريخية والتنبؤ بالمستقبل من خلال تلك السنن.

وعملية استشراف[1] المستقبل تعتبر عملية منظمة تبدأ بدراسة الماضي بكل ما فيه من احداث وسنن، لتمر بالحاضر المعاش وتنظر الى ذلك بالبصر والبصيرة في استشراف المستقبل الذي تنشده، ولا يتم العمل بالشكل الصحيح إلا بدراسة السنن التاريخية فيما سبق من الاقوام والنظر الى التاريخ بعين النافذ البصير[2].

وقد قرأ الإمام علي عليه السلام نهاية دولة بني امية من خلال السنن التاريخية التي تحدوها وأعرضوا عنها وظلموا الناس واستباحوا حقوقهم لذلك حكم عليهم بالهلاك حينما قال عليه

[1] الاستشراف في اللغة : يدل على العلو والارتفاع ، والشريف الرجل العالي ، واستشرفت الشي إذا رفعت بصرك تنظر اليه ، وتشرف الشيء واستشرفه: وضع يده على حاجبه كالذي يستظل من الشمس حتى يبصره ويستبينه . أما الاستشراف اصطلاحاً فهو عبارة عن ذاك التطلع للمستقبل ومحاولة امتلاك الادوات المناسبة التي تعين علي تحسين وتوضيح الصورة للمستقبل الذي ننشده وعليه فالاستشراف تفقد وتطلع وتأمل . ينظر :ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ٢٦٣/٣ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ،١٧١/٩ ؛ عماد عبدالكريم ، خضر ابراهيم ، السنن الإلهية ودورها في استشراف المستقبل ،ص٦.

[2] عماد عبد الكريم، خضر ابراهيم ،السنن الإلهية في القرآن الكريم ودورها في استشراف المستقبل ، ص١٢.

السلام ((فعنْدَ ذَلِكَ لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَر[1] ولَا وَبَرٍ[2] إِلَّا وأَدْخَلَه الظَّلَمَةُ تَرْحَةً[3] وأَوْلَجُوا فِيه نِقْمَةً فَيَوْمَئِذٍ لَا يَبْقَى لَهُمْ فِي السَّمَاءِ عَاذِرٌ ولَا فِي الأَرْضِ نَاصِرٌ أَصْفَيْتُمْ بِالأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِه وأَوْرَدْتُمُوه غَيْرَ مَوْرِدِه وسَيَنْتَقِمُ اللَّه مِمَّنْ ظَلَمَ مَأْكَلًا بِمَأْكَلٍ ومَشْرَباً بِمَشْرَبٍ مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلْقَمِ ومَشَارِبِ الصَّبِرِ والْمَقِرِ ولِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ ودِثَارِ السَّيْفِ وإِنَّمَا هُمْ مَطَايَا الْخَطِيئَاتِ وزَوَامِلُ[4] الآثَامِ فَأُقْسِمُ ثُمَّ أُقْسِمُ لَتَنْخَمَنَّهَا[5] أُمَيَّةُ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفَظُ النُّخَامَةُ ثُمَّ لَا تَذُوقُهَا ولَا تَطْعَمُ بِطَعْمِهَا أَبَداً مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ))[6] فهو يخبرهم عن زوال ملك بني امية وأخبارهم وما سيقع فيهم من هلاك لانهم ظلموا وبخسوا حق اهل البيت عليهم السلام وازاحة الخلافة عنهم ويبدلهم المأكل الطيب والمشرب الهني بغيرة مما لا تقبله النفوس ولا تستسيغه فبدل المطعم الطيب مطاعم العلقم وبدل مشارب الطيبة المشارب المريرة التي لا يكاد يتجرعها الإنسان ويستبدل أمنهم بالخوف الملازم لهم الذي يطاردهم اينما كانوا والسيف ايضا فالمطاردة نفسيا وعسكريا[7] هذا الهلاك حدث على وفق قوانين التاريخ الثابتة التي لا تتغير وأثرها يطول كل من وقعت عليه وتمنح القدرة على التنبؤ بمستقبل الظواهر التاريخية وهذا القدرات لا تقل اهمية عن القدرات الكشافة التي تتيحها لنا السنن والقوانين الطبيعية في فهم مستقبل الظواهر العلمية الطبية والفلكية فكما يستطيع العلم أن يتنبأ بمستقبل

---

[1] مدر : قطع طين يابس . ينظر : الفراهيدي ، العين ، ٣٣٨/٨ .

[2] وبر :صوف الابل الارانب ونحوها . ينظر :ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٧١/٥.

[3] ترحة: الحزن . ينظر : الزمخشري ،اساس البلاغة ،ص٧٨؛ الطريحي ، مجمع البحرين ،٣٤٤/٢ .

[4] زوامل: بعير يَسْتَظْهِر به الرجلُ يَحْمِل عليه متاعه وطعامه. ينظر :ابن منظور ،لسان العرب ،٣١٠/١١ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ،٣١٣/١٤.

[5] لتنخمنها: لبزقة التي تخرج من أقصى الحلق ، ومن مخرج الخاء المعجمة . ينظر :ابن الاثير ،النهاية في غريب الحديث والأثر ،٤٣/٥.

[6] نهج البلاغة ،ص٢٢٣.

[7] الموسوي ، شرح مهج البلاغة ،٢٧/٣.

الظواهر الطبيعية كذلك يستطيع المختصون في السنن التاريخية اكتشاف ما يصيب المجتمع من خلال تلك السنن[1].

فالأمم والاقوام التي اخذت بالأسباب وتعاملت معها بجدية حصلت على الفوز والنجاح وكان لها ما تريد وفق السنن التاريخية، فمن يعمل بضوابط النصر والتمكين يفلح وينصر ويعرف عاقبته ، على عكس من يعرض عن تلك الاسباب ويتحدى السنة ويعمل بأسباب الهلاك من ظلم ومحاربة الحق فيكون مصيره معروف عن طريق معرفة السنن التاريخية التي تتمتع بخصائص تتيح لها استشراف المستقبل.

إن الاستشراف والتخطيط بالسنن التاريخية من القضايا المهمة التي نطرحها هنا فهو ضرورة حياتية ولازمة من لوازم صناعة المستقبل والتحكم فيه، فالمستقبل وليد فعل الحاضر الواعي كما أن الحاضر وليد الماضي القريب أو البعيد[2]، لكن هذا التخطيط والاستشراف يحتاج الى العمل بالأسباب والضوابط وتسخير الامكانيات المتوفرة حتى تتحول السنن التاريخية الى واقع كما بين أمير المؤمنين عليه السلام المطلوب في الحصول على الظفر وماذا يحتاج هذا الامر حتى يتحقق أذ قال ((الظَّفَرُ بِالْحَزْمِ والْحَزْمُ بِإِجَالَةِ الرَّأْيِ والرَّأْيُ بِتَحْصِينِ الأَسْرَارِ))[3] وهنا وهنا يشير الإمام عليه السلام بهذا إلى أن التخطيط شرط أساس للظفر والنجاح ، وان أي عمل من غير تصميم وتخطيط يذهب سدى وربما كان ضررا محضا و الشرط الأساسي في التخطيط

[1] عيساوي ،فقه السنن الإلهية ،ص٢٤٨.
[2] عيساوي ، فقه السنن الإلهية ،ص٢٥٣.
[3] نهج البلاغة ،ص٤٧٧.

الحازم وفسّره الإمام بإجالة الرأي أي بالدراسة العلمية على أن تبقى هذه الدراسة طي الكتمان لا يعلن عنها إلا بعد التجربة والنجاح التام[1] .

وهذا الامر ينطبق على الوضع الحالي بما يتعلق بالتطور العالمي في الأمم قياسا بالمجتمع الاسلامي إذ إن رعاية السنن التاريخية هي التي تحكم ذلك التطور لاسيما ان خططهم طويلة الامد ومستقبلية على المستوى المادي والانتاجي ولا يوجد تحدي لتلك السنن عند الغرب في الامور الدنيوية على الرغم من انها مجتمعات كافرة لكن السنن التاريخية عالمية لا تحابي أحداً ومن أخذ بالسنة الإلهية سواء كانت مؤمناً أم كافراً تحقق له نتائجها في الدنيا[2] وهذا من الآثار المادية المهمة والواضحة لرعاية السنن التاريخية.

على العكس من واقع مجتمعنا الاسلامي كيف أصبحت أحواله من تردي الاوضاع وانتشار الفساد بأنواعه وتولي شرار القوم الحكم نتيجة عدم رعاية السنن الإلهية والاعراض عنها، وذلك لان التقصير في تحصيل سنن الله التي امرنا بالسير على هديها تترتب عليها نتائج وخيمة ومن ثم لا يأتي على هذا التقصير في تحصيلها مدداً من الله أو خرق للناموس الكوني الذي قام نظام الحياة فيه على ارتباط النتائج بالمقدمات وفضل الله لا يأتي بمعصيته، ولذلك فأنتظار خرق الناموس الكوني دون السعي الحثيث واتخاذ الاسباب المطلوبة شرعا يعد وهما أماله الخيبة والخسارة[3]

[1] مغنية ،في ظلال نهج البلاغة ،٢٤٧/٤.
[2] ينظر: الحميد، سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن ،ص٤١٩_٤٨٧.
[3] رشيد كهوس ،السنن الإلهية لطائف وبصائر ،ص١٩٢.

المبحث الثاني

آثار تحدي السنن التاريخية

إن عدم أخذ السنن التاريخية وضوابطها ومحدداتها بعين الاعتبار اي بمعنى تحديها إنما يترك أثاراً تدميرية في المتحدي ولكنها بالتأكيد توازنية عادلة بالنسبة للمجتمع الذي يحتاج هذه العدالة في معاقبة المتجاوزين الفوضويين ونقصد من يتحدى السنن والقوانين، ومن هذه الآثار التي تصيب الأمم والأفراد هي الهلاك والنهاية والخزي في الدنيا والاخرة.

ومن السنن التي يعقب حدوثها الهلاك هي سنة الاستدراج فالله سبحانه وتعالى بعد أن يستدرج العبد باستمرار النعم عليه وهو مستمر في ارتكاب المعاصي أذ يكون الاستدراج سبباً لهلاكه كما قال الله سبحانه وتعالى ((والَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ))[1]اي سنستدنيهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم[2]، ومن ذلك فان الهلاك سيقع في الشخص المستدرج لا محالة إذ لم تنبهه تلك النعم من الغفلة وزاد في الغرور والجهل عندئذ يكون العقاب شديداً وهو حكم السنن التاريخية الثابتة المطردة.

ايضاً من الأمور التي تكون نهايتها وأثرها الهلاك هي مصارعة الحق ومحاربته إذ أن النتيجة تكون حتمية وهي التهلكة والخزي وهذا ما اشار اليه الإمام علي عليه السلام بقوله ((مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَه لِلْحَقِّ هَلَكَ))[3] ويقصد به من خاصم الحق فقد صار هالكا[4]، فمقاومه الحق سببٌ لهلاكه فالحق يعلو ولا يعلى عليه[5]، ومن يقف بوجه الحق معرض للهلاك، لأنَّ النصر للحق

[1] الاعراف/١٨٢.
[2] الزمخشري ،الكشاف ،ص١٣٣ . ينظر: البيضاوي ، تفسير البيضاوي ،٨٧/٣.
[3] نهج البلاغة،ص٥٠٢.
[4] الراوندي ، منهاج البراعة ،١٧١/١.
[5] الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ،٣٥٢/٤.

وأصحابه، فهذه القانون عام شامل ثابت في كل زمان ومكان وهذا أثر مخيف لبني البشر وعليهم الحذر من ذلك كما مر ذكره سابقا، وهو ما جرى على عدد كبير من الأقوام والأمم والتاريخ يحتوي على شواهد كثيرة[1]، لذا بين أمير المؤمنين عليه السلام ذلك التحدي الذي يكون أثره الهلاك مبيناً السبل والوسائل لمواجهتها.

ومن الآثار السلبية التي تتركها السنن التاريخية نتيجة الاعراض عنها ومن ذلك ترك الناس الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما أسلفنا والتخلي عن أداء هذه المسؤولية العظيمة هو تولي الاشرار وهذا ما حذر ونهى عنه امير المؤمنين عليه السلام عندما قال عليه السلام ((لَا تَتْرُكُوا الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ))[2] إذ بين الإمام عليه السلام هنا الآثار التي يتركها عدم أداء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنها تسلط الاشرار والظالمين، لأنَّ ترك الاجتماع على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يستلزم ثوران المنكر وقلَّة المعروف من طباع الأشرار ويعدّ لاستيلائها وغلبتها وولاية أهلها[3] لان التخلي عن أداء هذا الامر يؤدي إلى خلق الظروف الملائمة لتمادي المنحرفين والأشرار في

[1] من صور هلاك الأمم بسبب الترفع عن الحق وعدم الانقياد له وذلك الحق هو توحيد الله سبحانه وتعالى هم قوم عاد بعدما استكبروا وانكروا تفرد الله سبحانه وتعالى بالعبادة ، إذ قال تعالى في عاد((الُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ))(الاعراف/٧٠)، فقد اهلك هذه الامة المستكبرة على ربها بأشد اصناف العذاب وهو الريح كما جاء في قوله تعالى((وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ))(الذاريات/٤١_٤٢)،والعقيم: الريح التي ليس فيها بركة ولا تلقح الشجر ولا تسوق مطراً . ينظر: الطبري، جامع البيان، ٧/٢٧.

[2] نهج البلاغة ،ص٤٢٢.

[3] البحراني ،شرح نهج البلاغة ،١٢٣/٥ .ينظر :حبيب الله الخوئي ،منهاج البراعة ،١٣٠/٢٠

انحرافهم وشرهم أثر غياب الرادع لهم ، والمتابع عليهم زلاتهم وفسادهم ، إذ يأمنون من عدم الاعتراض وعدم الملاحقة [1].

وهذا الأمر طبيعي إذا غاب المصلح ظهر الفاسد وأخذ بزمام الامور ، عندئذ يعم الظلم والجور والاعتداء على الأنفس والاعراض والأموال ، والاعتداء على جميع الحرمات والمقدسات، وعم فساد الأخلاق وتحللها ، وضعف العلاقات الاجتماعية ، وتفكك كيان الأسرة التي هي نقطة البدء في اصلاح الجيل الناشئ ، والحفاظ على سلامته الروحية ، وحينئذ سيفتقد الأمان والاستقرار والطمأنينة [2].

والأثر الاخر الذي ذكره أمير المؤمنين عليه السلام في قوله السابق هو عدم استجابة الدعاء بسبب تقصيرهم في دفع الظالمين ولكشف ما هم فيه من البلاء والضر[3] ، والمجتمع الذي ينتشر فيه الفساد والظلم لا تفتح اليه ابواب السماء لان صلاح المجتمع واستجابة الدعاء مرتبط بالأمر بالمعروف والنهي عن النكر .

والنتيجة النهائية التي تترتب على ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بحكم السنن والقوانين التاريخية الثابتة هو العذاب والطرد الالهي كما قال امير المؤمنين عليه السلام ((وإِنَّ عِنْدَكُمُ الأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللَّه وقَوَارِعِه وأَيَّامِه ووَقَائِعِه فَلَا تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَه جَهْلًا بِأَخْذِه وتَهَاوُناً بِبَطْشِه ويَأْساً مِنْ بَأْسِه فَإِنَّ اللَّه سُبْحَانَه لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الأَمْرَ

[1] مركز الرسالة ،الامر بالمعروف والنهي عن المنكر،ص١٠٧.
[2] مركز الرسالة ،الامر بالمعروف والنهي عن المنكر،ص١٠٧.
[3] الحسيني ، ديباج الوضي،٥/٢٤٨٠.

بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَلَعَنَ اللَّه السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي والْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي))[1] تنبيه لهم على أنّ لعنة اللَّه للقرن الماضي بين أيديهم قبل الإسلام كان لازما مساويا لتركهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر منحصرا فيه ، وكانت لعنته لسفهائهم وناقصي عقولهم لركوبهم المعاصي المنكرة ، وأمّا للحكماء منهم ولذوي العقول فلعدم إنكارهم وتناهيهم عمّا يشاهدونه من ذلك المنكر[2]، إذ إن دين اللَّه ايجابي لا سلبي ، فهو لا يرضى منك أن تترك المنكر وكفى ، بل عليك أيضا أن تنهى عنه[3].

ومن ذلك فأن من أسباب هلاك الأقوام السابقة هو ارتكابهم للمعاصي وسكوت علمائهم عليهم وامتناعهم عن الامر بالمعروف و النهي عن المنكر فكان ينزل عليهم لهذا السبب العذاب من الله وهذه حكم عام شامل لجميع البشرية، و اللعن هنا ليس عقابا روحيا وأخرويا فقط ، إنه هنا يأخذ معنى سياسيا ، إن اللعن هو البعد عن رحمة الله ورعايته ، وهذا يعني أن الملعون يتعرض للنكبات السياسية والاجتماعية التي تؤدي به في النهاية إلى الانحطاط والانهيار[4] ويمثل هذه اللعن النتيجة النهائية لترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد تسلط الفاسدين وغياب المصلحين وعدم استجابة الدعاء من قبل الله تعالى ينزل العذاب الالهي وهو ما أكده الرسول

[1] نهج البلاغة ،ص٢٩٩.
[2] البحراني ، شرح نهج البلاغة ،٣٠٥/٤.
[3] مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ،١٤٩/٣.
[4] شمس الدين ، التاريخ وحركة التقدم البشري ،ص١٢٨.

محمد صلى الله عليه واله وسلم ((لتأمرن بالمعروف ، ولتنهن عن المنكر ، أو ليعمنكم عذاب الله))[1].

ومن ما تقدم تتضح عدة امور اهمها:

١_ ان تحدي السنن التاريخية هو الاعراض عن الاخذ بالأسباب والضوابط التي تعمل بها السنة التاريخية وعدم رعايتها ،كذلك عدم الاعتبار والاتعاظ بما حل بالأقوام السابقة .

٢_ التحدي يترك آثاراً خطيرة واهمها الهلاك الذي تتنوع عقوباته كالمسخ والآفات الامراض والعذاب الآخروي والتسلط الخارجي واللعن او قد يكون زوال نعمة ونفارها.

٣_ أراد الإمام علي عليه السلام من ذلك الطرح تخويف الناس وتحذيرهم من الهلاك بذكر تطبيقات عن الأمم الهالكة وبيان اسباب هلاكها.

ومن تلك الآثار التي يخلفها تحدي السنن التاريخية هي زوال النعم وعدم دوامها بسبب ارتكاب الذنوب والمعاصي وهو ما يفسر قول الإمام علي عليه السلام ((وايْمُ اللَّه مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ[2] نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا[3] لِاتِّرَحُوهَا[4] (أَنَّ الله لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)[5] ولَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ وتَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ

[1] الحر العاملي ، وسائل الشيعة ،١٣٥/١٦.
[2] غض: طرية . ينظر : ابن منظور ،لسان العرب ،١٩٦/٧؛ الفيروز ابادي ،القاموس المحيط ،٣٣٨/٢ .
[3] اجترحوها :اكتسبوها. ينظر :الفراهيدي ،العين ،٧٨/٢ ؛ ابن فارس ،معجم مقاييس اللغة ،٤٥١/١ .
[4] لا ترحوها : لا تقطعوها .ينظر: ابن الاثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ص١٨٦؛ ابن منظور ، لسان العرب ،٤١٧/٢.
[5] ال عمران/١٨٢.

ووَلَه مِنْ قُلُوبِهِمْ لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ وأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ))[1] أي جعل سبب زوال النعمة الذنوب لان مرجع الذنوب الى استيلاء القوة الشهوانية والغضبية ومن استولى عليه هاتان القوتان فهو لا يقدر على أمساك النعمة بسبب عجزة عن امساكها ويكون زوال نعمته في الدنيا مكافأة لذنوبه[2] وهذا قانون طبيعي وسنة كونية جعلها الله في الكون[3] إذ إن كل ذنب يترك أثراً سيئاً في الفرد والمجتمع على السواء والمذنب يلاقي جزاءه حتماً.

وأتفق اغلب الشارحين[4] على الفهم السابق لكلام الإمام عليه السلام إلا إن محمد جواد مغنية عبر عنه(ان الإمام عليه السلام يتكلم عن الجماعة دون الأفراد كما هو الظاهر من كلمة « قوم » وان مراده من النعمة الحياة الكريمة بالخصوص ، ومن الذنوب الفرقة والشتات أي قوم أنعم اللَّه عليهم بدولة كريمة تصونهم من الاعتداء وتحقق لهم الطمأنينة والاستقرار ثم تشاحنوا وتباغضوا تزول عنهم هذه النعمة ، ويصبحون لقمة سائغة لكل طامع) [5] وهذا التحليل يتفق مع مع مفهوم السنن التاريخية الثابتة التي تنطبق على الجميع وأثرها حتمي، فالإمام عليه السلام بين هنا أسباب زوال النعم عن الاقوام ومن ثم هلاكهم بعد ذلك بين لهم سبيل الخروج من النقم وزوال النعم الى الرجوع الى الله عز وجل بنوايا صادقة والعمل بأسبابه وسننه حتى يتخلصوا من ذلك لان سنة الله ثابتة لا تتبدل ولا تتغير في جميع جوانب الحياة كما قال تعالى ((وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ

[1] نهج البلاغة، ص٢٥٨. وفي هذا القول إشارة الى قوله تعالى ((إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)) (الرعد/١١).

[2] البيهقي ، معارج نهج البلاغة ،٦١٣ .وينظر: الكيذري البيهقي ،حدائق الحقائق ،٩٤/٢.

[3] الموسوي، شرح نهج البلاغة ،٣١٦٠.

[4] ينظر : البحراني ، شرح نهج البلاغة ،٣٧١/٢ ؛ حبيب الله الخوئي ، منهاج البراعة ،٢٥٤/١٠؛ الحسيني الشيرازي ،توضيح نهج البلاغة ،٧٩/٣؛ مكارم شيرازي ، نفحات الولاية ،٦ /٤٣٨.

[5] مغنية ،في ظلال نهج البلاغة ،٩/٣.

اللهِ تَحْوِيلًا))[1]، غير إن هذا لا يمنع التخصيص وإن المجتمع والجماعة والقوم إنما هم مجموع إفراد وثقافات ، وقد يكون الذنب فردي ولكن المساعدة والمساندة والسكون والرضا هي مقدمات للاجتماع والعموم ، كما هو الحال في عاقر ناقة صالح وتعميم العذاب[2].

أما فيما يخص استشهاد الإمام عليه السلام بالآية القرآنية فهو دليل واضح على قانون الاختيار وحرية الإرادة ، وفيه حقيقة أن الله لا يعاقب أحدا من دون سبب ، ولا يزيد في عقاب أحد دون دليل[3].

[1] فاطر/٤٣.

[2] وردت الكثير من الآيات القرآنية والروايات عن ائمة اهل البيت عليهم السلام فيما يخص ناقة صالح عليه السلام (ثمود) وهلاك قومه بسبب عقرها على الرغم من إن فاعلها واحد ، لكن العذاب شملهم كلهم بسبب تأييدهم عقرها وسكوتهم ومنها قوله تعالى ((ويَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤)فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ))(هود/٦٤_٦٥)وكذلك قول الإمام علي عليه السلام ((ايهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا والسُّخْطُ وإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللَّه بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوه بِالرِّضَا فَقَالَ سُبْحَانَه (فَعَقَرُوها فَأَصْبَحُوا نادِمِينَ) فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ)) (نهج البلاغة،٣١٩). وينظر :الشعر /١٧٥ ،الشمس/١٤.

[3] مكارم شيرازي ،التفسير الامثل ،٤٣١/١٥.

الخاتمة

وبعد إكمال الدراسة يمكن الخروج بجملة من النتائج:

١_إبراز المنهج التثقيفي التوعوي الذي يضطلع به نهج البلاغة كمترجم لخطاب الإمام علي عليه السلام ببعدية النظري والعملي.

٢_ إن طرح الامام علي عليه السلام للسنن التاريخية يعكس الفكر الاسلامي الحقيقي في التعامل مع القوانين الإلهية ، فهو خير من مثل الدين الاسلامي والقران الكريم.

٣_ إن الله تعالى خلق البشر وسخر لهم سنناً تاريخية دقيقة وينبغي على كل فرد أن يفهمها، لأنَّ طريق النجاح والتطور والابداع في معرفتها والعمل بها ، الهلاك والفشل بسبب تحديها، فالأعراض وعدم مراعاة السنن التاريخية له آثارٌ ومعطيات سلبية في الافراد والامم تتمثل في سيادة العشوائية وانحطاط المجتمعات ، والعكس صحيح عند مراعاتها .

٤_ إن السنن التاريخية تتشابه مع القوانين في العلوم الصرفة من حيث الثبات والاستمرارية ما يحكم بعلمية التاريخ كما العلوم الأخرى.

٥_ان الامم المتقدمة هي الامم التي تستفيد من التاريخ عن طريق قوانينه التي تحكم الاحداث ومعرفة اسباب التطور والتحضر واسباب الانحلال والتدهور ، على عكس الامم التي تعاني من الضعف والجمود، لأنها عاجزة عن فهم حركة التاريخ واستيعاب القواعد والقوانين التي تحكمه.

٦_ ان جريان جميع السنن التاريخية لا يتصادم أو يتعارض مع اختيار الانسان وإرادته، بل انها تجري من تحت يده وبمحض ارادته، إذ إن الحديث عن سنن التاريخ لا يعني ان هناك جبرية إلهية تفرض على البشر في قرارتهم وتتحكم في تصرفاتهم دون ان يكون لهم حرية الاختيار وانما هو حديث عن حركة ضوابط وشروط ومقدمات تتحكم في النتائج والاثار، وهو دليل على ان الله خلق الخلق على وفق نظام دقيق يهيمن علية قانون السببية ويمكن للإنسان التعرف على ذلك من خلال الحقائق والافعال التي يقوم بها وبذلك يعرف نتائجها في مختلف الأزمنة والاماكن لانهما لا يمثلان عائق امام السنن التاريخية بل هما ميدان لتلك السنن.

أولاً: المصادر

القرآن الكريم

ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن بن ابي الكرم محمد بن محمد ،ت٦٣٠ هـ

١.الكامل في التاريخ ،دار صادر ،بيروت١٩٦٦ م.

ابن الاثير، مجد الدين ابي السعادات الجزري ،ت٦٠٦هـ

٢.النهاية في غريب الحديث والاثر ،تح طاهر احمد الزاوي ، ط٤ ،مؤسسة اسماعليان قم ١٣٦٤ش .

ابن ادريس الحلي، ابو عبدالله محمد بن احمد ،ت٥٩٨هـ

٣.مستطرفات السرائر، تح محمد مهدي الخرسان ،ط١، العتبة العلوية المقدسة، النجف٢٠٠٨م.

الاسكافي ،ابو علي محمد بن همام ،ت٣٣٦هـ.

٤.التمحيص ،تح مدرسة الامام المهدي ، مدرسة الامام المهدي ،قم (د.ت) .

الأشتري، ابو الحسن ورام بن ابي فراس المالكي،ت٦٠٥ هـ

٥.تنبية الخواطر ونزهة النواظر، ط٢، دار الكتب الاسلامية ،طهران ١٣٦٨ ش.

الاندلسي، ابو حيان ت٧٤٥هـ

٦.تفسير البحر المحيط، تح عادل احمد، محمد علي معوض ،ط١، دار الكتب العلمية ،بيروت ٢٠٠١م.

الانصاري ،ابو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف المصري ،٧٦١م

٧.مغنى اللبيب ،تح محمد محي الدين عبدالحميد ،مكتبة المرعشي ،قم ١٤٠٤هـ .

البحراني، ميثم بن علي بن ميثم ،ت٦٩٩هـ

٨.اختيار مصباح السالكين، تح محمد هادي الاميني ،ط١،مجموعة البحوث الاسلامية،ايران١٤٠٨هـ.

٩.شرح نهج البلاغة ،ط١ ، مكتب الاعلام الاسلامي ،قم ١٣٦٣ ش.

١٠.شرح مئة كلمة، تح مير جلال الدين الحسيني ، مؤسسة النشر الاسلامي ،قم (د.ت).

البرقي ،ابو جعفر احمد بن محمد بن خالد ،ت٢٧٤هـ

١١.المحاسن، تح جلال الدين الحسيني ،دار الكتب الاسلامية، طهران ١٣٧٠ ش .

ابو البقاء الكفوي ، ايوب بن موسى ،ت١٠٩٤هـ

١٢.الكليات ، ط٢، بيروت ١٩٩٨م .

البيضاوي، ناصر الدين عبدالله بن عمر بن علي،ت٦٨٣ هـ

١٣.تفسير البيضاوي، بيروت(د.ت) .

البيهقي، ابو بكر احمد بن الحسين ،ت٤٥٨هـ

١٤.شعب الايمان، تح ابو هاجر محمد السعيد وبسيوني زغلول ،ط١ ، دار الكتب الاسلامية ،بيروت ١٩٩٠م .

١٥.السنن الكبرى، دار الفكر، بيروت (د.ت) .

البيهقي ،ابو الحسن علي بن زيد ،ت٥٦٥هـ

١٦.معارج نهج البلاغة، تح محمد تقي دانس،ط١،مكتبة المرعشي ،قم هـ١٤٠٩.

الترمذي، ابو عيسى محمد بن عيسى،ت٢٧٩هـ

١٧.سنن الترمذي، تح عبدالوهاب عبداللطيف ،ط٢، دار الفكر، بيروت ١٩٨٣م .

الثعلبي، احمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري ،ت٤٢٧هـ

١٨.الكشف والبيان من تفسير القرآن ،تح محمد بن عاشور ،ط١،دار احياء التراث العربي ،بيروت٢٠٠٢ م .

الجاحظ، ابو عثمان عمرو، ت٢٥٥هـ

١٩.رسائل الجاحظ، تح عبدالله محمد هارون، القاهرة(د.ت).

الجرجاني ،علي بن محمد السيد الشريف ،ت٨١٦هـ

٢٠ .معجم التعريفات ،تح صديق المنشاوي ،القاهرة (د.ت) .

الجصاص، ابو بكر احمد بن علي ،ت٣٧٠ هـ

٢١.احكام القرآن، تح عبدالسلام محمود شاهين ، دار الكتب العلمية ،بيروت ١٩٩٥ م.

ابن الجوزي ،ابي الفرج حمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد ،ت٥٩٧هـ

٢٢.زاد الميسر في علم التفسير، تح محمد بن عبدالرحمن ،ط١ ، دار الكتب العلمية ،بيروت ١٩٨٧ م .

الجوهري ،اسماعيل بن حماد ،ت٣٩٣هـ

٢٣.الصحاح تاج اللغة، تح احمد عبدالغفور العطار،ط٤، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧ م.

ابن حبان ،ابو حاتم محمد،ت٣٥٤هـ

٢٤.صحيح ابن حبان، تح شعيب الانوط ،مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٣م.

٢٥.مشاهير علماء الامصار ،مرزوق علي ابراهيم ،ط١ ،دار الوفاء للطباعة والنشر ،المنصورة(د.ت) .

ابن حجر العسقلاني ،احمد بن علي ،ت٨٥٣هـ

٢٦.الاصابة في تمييز الصحابة ، تح احمد عبد الموجود علي محمد ،ط١ ،دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ .

ابن ابي الحديد ،عز الدين عبد الحميد بن هبة اللة،ت٦٥٦ هـ

٢٧.شرح نهج البلاغة، تح محمد ابو الفضل ابراهيم،ط٢،دار احياء الكتب العربية ،قم ١٩٦٥ م.

الحر العاملي محمد بن الحسين .ت١١٠٤هـ

٢٨. وسائل الشيعة ،تح مؤسسة اهل البيت ،مؤسسة اهل البيت ،قم ١٤١٤هـ .

الحربي ،الامام ابي اسحاق ابراهيم بن اسحاق،ت٢٨٥هـ

٢٩. غريب الحديث، تح سليمان ابن ابراهيم العابر ، ط١، مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي ،جدة ١٤٠٥هـ .

الحسيني ،ابو الحسن يحيى بن حمزة بن علي،ت٦٦٩ هـ

٣٠.ديباج الوضي في شرح كلام الوصي وشرح نهج البلاغة ،تح خالد بن قاسم المتوكل،ط١، مؤسسة الامام زيد بن علي، النجف ٢٠٠٠ م .

الحلبي ،ابو صلاح تقي بن نجم ت٤٤٧هـ

٣١.تقريب المعارف، تح فارس تبريزيان،(د.م)١٣٧٥ش.

العلامة الحلي ، جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر ت٧٢٦هـ

٣٢.تحرير الاحكام ،تح الشيخ ابراهيم البهادري ،ط١ ،مؤسسة الامام الصادق ،قم ١٤٢٠هـ .

ابن حمدون، حمّد بن الحسن بن محمّد بن علي ت٥٦٢هـ

٣٣.التذكرة الحمدونية، تح حسان عباس و بكر عباس، ط١، دار صادر ، بيروت١٩٩٦م.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي،ت٦٢٦هـ

٣٤.معجم البلدان، دار احياء التراث ، بيروت ١٩٧٩م.

ابن حنبل ،الامام احمد ،٢٤١هـ

٣٥.مسند احمد ،دار صادر، بيروت (د.ت) .

الخزاز القمي ،ابو القاسم علي بن محمد بن علي ،ت٤٠٠هـ

٣٦.كفاية الاثر، تح عبداللطيف الحسيني، انتشارات بيدا، قم ١٤٠١هـ.

الخطيب البغدادي ،ابو بكر احمد بن علي ،ت٤٦٣هـ

٣٧.تاريخ بغداد، تح مصطفى عبدالقادر عطا ، ط١،دار الكتب العلمية ،بيروت١٩٩٧ م.

الديلمي ،الحسن بن محمد ،ت.ق٨

٣٨.ارشاد القلوب ،ط٢ ،انتشارات الشريف الرضي ،قم ١٤١٤ هـ.

٣٩.اعلام الدين في صفات المؤمنين، تح مؤسسة اهل البيت لأحياء التراث، قم(د.ت).

الدينوري ،ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ،ت٢٧٦هـ

٤٠.غريب الحديث ،تح عبدالله الجبوري ،ط١،دار الكتب العلمية ،قم ١٤٠٨ هـ.

الذهبي ،شمس الدين محمد بن احمد ،ت٧٤٨هـ

٤١.سير اعلام النبلاء ،تح علي ابو زيد ،ط٩، بيروت ١٩٩٣م.

٤٢.الكبائر ،تح مشهور بن حسن ال سلمان ،ط٢ ،الإمارات ٢٠٠٣م.

الرازي ،فخر الدين محمد بن عمر،ت٦٠٦ هـ

٤٣.تفسير الرازي ،ط٣،(د. م)(د .ت).

الرازي ،محمد بن ابي بكر بن عبد القادر ،ت٧٢١هـ

٤٤.مختار الصحاح ،تح احمد شمس الدين ،ط١ ،دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٤ م.

الراغب الاصفهاني ،ابو القاسم الحسين بن محمد، ت٤٢٥هـ

٤٥.مفردات القرآن الكريم ،تح صفوان عدنان داوود ،ط٢،طليعة النور ،قم ١٤٢٧ هـ.

الراوندي، قطب الدين ابي الحسين،ت٥٧٤هـ

٤٦.الدعوات، تح مدرسة الامام المهدي، ط١،قم(د.ت).

٤٧.منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، تح عبداللطيف الكوهكموي ، مكتبة المرعشي ،قم ١٤٠٦هـ .

الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر ،ت٧٩٤هـ

٤٨.البحر المحيط في اصول الفقه، تح محمد محمد تامر ، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م.

الزمخشري ،ابو القاسم محمود بن عمر ،ت٥٣٨هـ

٤٩.اساس البلاغة ، دار ومطابع الشعب ،القاهرة ١٩٦٠م.

٥٠.الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوة التأويل ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي،مصر١٩٦٦ م .

الامام زين العابدين، علي ابن الحسين ،ت٩٤هـ

٥١.شرح رسالة الحقوق ،تح حسين سيد علي القبانجي ، مطبعة اسماعيليان ،قم ١٤٠٦ هـ.

ابن سعد، ت٢٣٠هـ.

٥٢.الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت (د.ت).

ابو السعود ، محمد بن محمد ت٩٥١هـ

٥٣.تفسير ابو السعود ،تح حمد بن محمد العمادي،(د .م)(د.ت) .

السمرقندي، ابو الليث ،ت٣٨٣هـ

٥٤.تفسير السمرقندي، تح محمود مطرجي ،دار الفكر، بيروت (د.ت) .

السمعاني ،ت٤٨٩ هـ

٥٥.تفسير السمعاني ،تح ياسر بن ابراهيم ،ط١ ،دار الوطن، الرياض ١٩٩٧م.

ابن سيده ،ابي الحسن علي بن اسماعيل النحوي الاندلسي ،ت٤٥٨هـ

٥٦.المخصص ،تح لجنة التراث العربي، دار احياء التراث العربي ،بيروت (د.ت).

السيوطي، ابو الفضل جلال الدين عبد الرحمن ،ت٩١١هـ

٥٧.الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة للطباعة والنشر ،بيروت (د.ت) .

شارح من اعلام القرن الثامن ،ت.ق ٨ هـ

٥٨. شرح نهج البلاغة ،تح عزيز الله عطارد ،ط١، مطبعة الهادي، قم١٣٧٥ش .

ابو شعبة الحراني ، محمد الحسن بن علي ،ت .ق٤هـ

٥٩. تحف العقول عن ال الرسول ،تح علي اكبر الغفاري ،ط٢ ، مؤسسة النشر الاسلامي ،قم ١٤٠٤هـ .

ابن شهر اشوب ،مشير الدين ابو عبدالله محمد بن علي ،ت٥٨٨هـ

٦٠.مناقب ال ابي طالب ،تح لجنة من اساتذة النجف ،المكتبة الحيدرية ،النجف الاشرف ١٩٥٦م .

الصدوق، محمد بن علي بن بابوية القمي ،ت٣٨١هـ

٦١. الاعتقادات في دين الامامية، تح عصام عبد السيد ،ط٢ ،دار المفيد، لبنان ١٤١٤هـ .

٦٢. الأمالي، تح قسم الدراسات الاسلامية مؤسسة البعثة ،ط١،قم ١٤١٧هـ.

٦٣.ثواب الاعمال، تح محمد مهدي الخرسان ،منشورات الشريف الرضي،قم ١٣٦٨ش.

٦٤.الخصال .تح علي اكبر الغفاري ،مؤسسة النشر الاسلامي،قم١٤٠٣هـ .

٦٥. كمال الدين واكمال النعمة ،تح علي اكبر غفاري ،مؤسسة النشر الاسلامي ،قم ١٤٠٥هـ .

٦٦. معاني الاخبار، تح علي اكبر غفاري ،مؤسسة النشر الاسلامي،قم١٣٧٩ هـ.

٦٧.المقنع ،تح مؤسسة الامام المهدي، مطبعة اعتماد ١٤١٥هـ.

٦٨.من لا يحضره الفقيه، علي اكبر غفاري ،ط٢، قم(د.ت).

٦٩.الهداية، تح مؤسسة الامام الهادي،ط١، قم١٤١٨هـ.

الصنعاني، عبدالرزاق ،ت٢١١هـ

٧٠.المصنف، تح حبيب الله الاعظمي ،منشورات المجلس العلمي ،(د .م)(د.ت).

ابن طاووس ،رضى الدين ابو القاسم علي بن موسى ،ت٦٦٤هـ

٧١.فلاح السائل ،(د.م)(د.ت) .

٧٢.اللهوف في قتلى الطفوف، ط١، ايران قم ١٤١٧هـ.

الطبراني ،ابو القاسم سليمان بن احمد ،ت٣٦٠هـ

٧٣.الدعاء ،تح مصطفى عبدالقادر،ط١،دار الكتب العلمية،بيروت ١٩٩٣م.

٧٤ .المعجم الكبير، تح حمدي السلفي ،ط٢ ،دار احياء التراث العربي ،بيروت(د .ت).

الطبرسي ،ابو علي الفضل بن الحسن ،ت٥٤٨هـ

٧٥. الاحتجاج، تح السيد محمد باقر الخرسان ،دار النعمان ،النجف الاشرف (د.ت) .

٧٦. تفسير مجمع البيان ،تح نخبة من العلماء المختصين ،ط١،مؤسسة الاعلمي، بيروت ١٩٩٥م.

الطبرسي ،ابو الفضل علي بن الشيخ رضي الدين بن ابي علي الفضل، ت .ق ٧هـ

٧٧.مشكاة الانوار في غرر الاخبار، تح مهدي هوشمند ،ط١، دار الحديث ،قم ١٤١٨هـ .

الطبري ،محمد بن جرير ،ت٣١٠هـ

٧٨.تاريخ الرسل والملوك، تح نخبة من العلماء ،بيروت (د.ت).

٧٩.جامع البيان في تأويل القرآن، تح خليل الميس ،صدقي جميل العطار ، مؤسسة الاعلمي ،بيروت ١٩٩٥م .

الطبري ،محمد ابن ابي القاسم ،ت٥٢٥هـ

٨٠.بشارة المصطفى، تح جواد الاصفهاني ،ط١ ،ايران قم ١٤٢٠ .

الطريحي ،فخر الدين بن محمد بن علي النجفي،ت١٠٨٥هـ

٨١.مجمع البحرين ،تح احمد الحسيني ،ط١، مرتضوي، طهران ١٣٦٢ش

الطوسي ،ابو جعفر محمد بن الحسن ،ت٤٦٠هـ

٨٢.اختيار معرفة الرجال ،تح مهدي رجائي، مؤسسة اهل البيت، قم١٤٠٤هـ.

٨٣.الأمالي ،قسم الدراسات الاسلامية مؤسسة البعثة ،ط١ ،دار الثقافة، قم ١٤١٤هـ.

٨٤.التبيان في تفسير القرآن ،تح احمد حبيب العاملي ،ط١ ،مكتبة الاعلام الاسلامي ،ايران ١٤٠٢هـ.

٨٥.تهذيب الاحكام ،تح حسن الخرسان ،ط٢ ،دار الكتب الاسلامية، طهران ١٣٦٤ش.

العاملي ،جمال الدين يوسف بن حام الشامي ،ت٦٦٤هـ

٨٦.الدر النظيم ،مؤسسة النشر الاسلامي ،قم (د .ت).

٨٧.المبسوط، تح محمد تقي الكشفي ،المكتبة المرتضوية لأحياء اثار الجعفرية،(د.م)(د.ت).

عبدالوهاب ، ت. ق٦هـ

٨٨.شرح كلمات امير المؤمنين ،تح جلال الدين الحسيني ،مؤسسة النشر الاسلامي ،قم ١٣٩٠هـ .

ابن عربي، عبدالله محمد بن علي بن محمد بن احمد بن عبدالله محي الدين ،ت٦٣٨هـ

٨٩.تفسير ابن عربي ،تح عبد الوارث محمد علي ،ط١ ،دار الكتب العلمية ،بيروت ١٤١٤هـ.

٩٠.الفتوحات الملكية ،تح يحيى عثمان ،المكتبة العربية ،القاهرة ١٩٧٧م .

ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي ت٥٧١هـ

٩١.تاريخ مدينة دمشق، تح علي شيري، دار الفكر ،بيروت هـ١٤١٥.

٩٢.ترجمة الامام الحسن، تح محمد باقر المحمودي، ط١، مجمع احياء الثقافة الاسلامية ،بيروت١٩٨٠ .

علي ،الامام ،ت٤٠هـ

٩٣.نهج البلاغة ،ضبط صبحي صالح ،ط١ ،بيروت ١٩٦٧م .

العياشي ،محمد بن مسعود ،ت٣٢٠هـ

٩٤.تفسير العياشي ،تح هاشم الرسولي ، المكتبة العلمية الاسلامية ،طهران (د.ت).

ابن فارس ،ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا ،ت٣٩٥ هـ

٩٥.معجم مقاييس اللغة ،تح عبد السلام محمد هارون ،مكتبة الاعلام الاسلامية، قم ١٤٠٤هـ.

الفتال النيسابوري ، ابو علي محمد بن الحسن ،ت٥٠٨هـ

٩٦.روضة الواعظين ،تح محمد مهدي الخرسان ،منشورات الشريف الرضي ،قم(د.ت).

الفتني ،محمد طاهر بن علي ،ت٩٨٦هـ

٩٧.تذكرة الموضوعات ،(د. م) (د. ت) .

الفراهيدي ،ابو عبدالرحمن الخليل بن احمد ،ت١٧٥هـ

٩٨.العين ،تح مهدي المخزومي ،ابراهيم السامرائي ،ط٢ ،دار الهجرة، قم ١٤٠٩هـ .
ابن فهد الحلي ،احمد ت٨٤١هـ

٩٩.عدة الداعي ونجاح المساعي، تح احمد الموحدي ،قم(د.ت).
الفيروز ابادي ،مجد الدين محمد بن يعقوب ،ت٨١٧هـ

١٠٠.القاموس المحيط ،(د.م)(د.ت) .
الفيض الكاشاني ،محمد محسن ،ت١١٠٤هـ

١٠١.التفسير الاصفى ،تح مركز الدراسات الاسلامية، مطبعة المكتب الاسلامي، ط١، قم١٤١٨هـ.

١٠٢.الوافي ،تح ضياء الدين الحسيني ،مكتبة امير المؤمنين علية السلام، اصفهان ١٤٠٩هـ .
القرطبي ،محمد بن احمد الانصاري ،ت٦٧١ هـ

١٠٣.الجامع لأحكام القرآن ،تح احمد عبد الحليم،ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٣٠م.
القمي ،ابو الحسن علي ابن ابراهيم ،ت ٣٢٩هـ

١٠٤.تفسير القمي، تح سيد طيب الموسوي ، دار الكتاب،قم ١٤٠٤ .
الكاشاني، ملا فتح الله بن شكر الله ،ت٩٨٨هـ

١٠٥.زبدة التفاسير، تح مؤسسة المعارف ،مؤسسة المعارف الاسلامية،قم ١٤٣٣هـ .
الكليني، ابو جعفر محمد بن يعقوب ،ت٣٢٩هـ

١٠٦.الكافي، تح علي اكبر الغفاري ،ط٣ ، دار الكتب الاسلامية ،طهران ١٣٦٧ش.
الكندري البيهقي، قطب الدين محمد بن الحسين بن الحسن،ت .ق٨هـ

١٠٧.حدائق الحقائق ،تح عزيز الله العطاردي ،ط١ ، مطبعة اعتماد،قم١٤١٦هـ.

الكوفي ،الحسين بن سعيد ،ت ق٣ هـ

١٠٨.الزهد ،تح ميرزا غلام رضا ، المطبعة العلمية،قم ١٣٩٩هـ .

الليثي الواسطي ،كافي الدين علي بن محمد ،ت .ق٦هـ

١٠٩.عيون الحكم والمواعظ ،تح حسين الحسيني ،ط١ ،دار الحديث ،قم ١٣٧٦ش.

ابن ماجة ،محمد ابي عبدالله بن يزيد القزويني ،ت٢٧٥هـ

١١٠.سنن ابن ماجة ،تح ،محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت(د.ت) .

المبرد ،ابو العباس محمد بن يزيد ،ت٢٨٥هـ

١١١.الكامل في اللغة والادب ،تح عبدالحميد هنداوي ، دار العلوم، القاهرة ١٩٩٨م.

المتقي الهندي ،علاء الدين علي بن حسام ،ت٩٧٥هـ

١١٢.كنز العمال ،تح بكري حياني ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ١٩٨٩م.

المجلسي ، محمد باقر ،ت١١١١ هـ

١١٣.بحار الانوار، تح عبدالرحيم الشيرازي ،ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٩٨٣م .

المجلسي ،المولى محمد تقي ،ت١٠٧٠هـ

١١٤.روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، تح حسين الموسوي ،بنياد فرهنك اسلامي، (د.ت)(د .م) .

المزي ،جمال الدين بن الحجاج يوسف،٧٤٢هـ

١١٥.تهذيب الكمال ،تح بشار عواد معروف ،ط٤ ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ١٩٨٧م .

المسعودي ،علي بن الحسين بن علي ،ت٣٤٦هـ

١١٦.التنبية والاشراف ، بيروت (د.ت) .

١١٧.مروج الذهب ومعادن الجوهر ،ط٢ ، دار الهجرة ،قم ١٩٦٥م .
ابن مسكويه ،احمد بن محمد الرازي ت٤٢١هـ

١١٨.تجارب الامم، ت ابو القاسم امامي،ط٢، دار سروش للطباعة والنشر،طهران٢٠٠١م.
مسلم النيسابوري ،ت٣٦١ هـ

١١٩.صحيح مسلم ،دار الفكر،بيروت (د.ت).
المفيد، ابي عبدالله محمد بن النعمان ،ت٤١٣هـ

١٢٠.الاختصاص، تح علي اكبر الغفاري ،ط٢ ،دار المفيد ،بيروت ١٩٩٣هـ.

١٢١.الارشاد، تح مؤسسة اهل البيت ،ط٢، دار المفيد للنشر والطباعة ، بيروت١٩٩٣م.

١٢٢.اوائل المقالات ،تح ابراهيم الانصاري ،ط٢ ،دار المفيد للمطبوعات، بيروت ١٩٩٣م.

الجمل، ط٣، ايران قم١٩٨٣م.

١٢٣.تفسير القرآن المجيد ،تح محمد علي ،ط١، مطبعة الاعلام الاسلمي، قم ١٤٢٤هـ .
المنذري، الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي ت٦٥٦هـ

١٢٤.الترهيب والترغيب، تح مصطفى محمد عمارة، دار الفكر ،بيروت١٩٨٨م.
ابن منظور ،جمال الدين بن محمد بن مكرم المصري ،ت٧١١هـ

١٢٥. لسان العرب ،ادب الحوزة، ايران ١٤٠٥هـ .
النحاس ،ابو جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل ،ت٣٣٨هـ

١٢٦.معاني القرآن ،تح محمد علي الصابوني ،ط١ ،جامعة ام القرى ،السعودية ١٩٨٩.
النسائي ، احمد بن شعيب بن علي بن دينار ، ت٣٠٣ هـ

١٢٧.سنن النسائي ،ط١ ،دار الفكر، بيروت ١٩٣٠م.

النسفي ،ابو البركات عبدالله بن احمد بن محمود ،ت٥٢٧هـ

١٢٨.تفسير النسفي ، (د.م)(د.ت) .

النيسابوري ،ابو عبدالله الحاكم ،ت٤٠٥هـ

١٢٩.المستدرك،تح يوسف عبدالرحمن ،بيروت (د.ت).

الواحدي، ابي الحسن، ت٤٦٨هـ

١٣٠.تفسير الواحدي ،تح صفوان عدنان داوودي ،ط١،دار القلم ،بيروت ١٤١٥م.

اليعقوبي، حمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح، ت٢٨٤هـ

١٣١. تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت (د.ت).

ثانياً: المراجع

ابراهيم مصطفى وآخرون

١٣٢.المعجم الوسيط ،ط٤ ،القاهرة ٢٠٠٤م .

الآلوسي ،ت١٢٧٠هـ

١٣٣.تفسير الالوسي، (د.م)(م .ت) .

الامين ، سيد محسن ، ت١٣٧٣هـ

١٣٤.اعيان الشيعة ، تح حسن الامين، دار التعارف للمطبوعات ،بيروت ١٩٨٣م.

الاميني، عبد الحسين احمد النجفي ت١٣٩٢هـ

١٣٥.الغدير،ط٤ ،دار الكتب العلمية ،بيروت ١٩٧٧م.

انصاريان ،علي

١٣٦.الدليل على موضوعات نهج البلاغة ،انتشارات ياسر، طهران ١٣٩٦ش .

اويس كريم

١٣٧.المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، ط١، مؤسسة الطبع والنشر الآستانة الرضوية المقدسة، مشهد١٤٠٨هـ.

ايوب، سعيد

١٣٨.الانحرافات الكبرى ،ط١،دار الهادي، بيروت ١٩٩٢ م.

بابا سيلا، محمد سعيد

١٣٩.اسباب هلاك الامم السالفة ،ط١ ،دار ابن الجوزي الرياض ٢٠٠٠م.

بيضون، لبيب

١٤٠.تصنيف نهج البلاغة ،ط٢ ،مكتب الاعلام الاسلامي، طهران ١٤٠٨هـ.

التستري ،محمد تقي

١٤١.بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ،ط١ ،دار امير كبير للنشر، طهران ١٩٩٧ م.

التميمي ،اركان

١٤٢.صفوة شروح نهج البلاغة ،ط٢،مؤسسة العارف، بيروت ٢٠٠٤ م.

جابر، حميد سراج

١٤٣.الجودة وفلسفة اتقان العمل في فكر الامام علي ، ط١، مطبعة تموز ، دمشق٢٠١٢م.

١٤٤.الدبلوماسية وقواعد المواجهة في فكر الرسول(ص)،ط١ ، مطبعة تموز، دمشق٢٠١٢م.

١٤٥.فلسفة ائمة اهل البيت عليهم السلام الاصلاحية في تشخيص اسباب سقوط الحضارات،ط١، دار الكفيل للطباعة والنشر،كربلاء٢٠١٧م.

١٤٦.فلسفة التاريخ في فكر الامام علي دراسة في نهج البلاغة، دار الكفيل العتبة الحسينية،كربلاء٢٠١٧م.

١٤٧.فلسفة الاحكام في نهج البلاغة، كتاب مخطوط.

جرداق ،جورج

١٤٨.روائع نهج البلاغة ،ط٢ ، مركز الغدير للدراسات الاسلامية قم ١٩٩٧ م.

حبيب الله الخوئي ، الهاشمي ،ت١٤٢٤هـ

١٤٩.منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، تح ابراهيم الميانجي، ط٤، دار الهجرة ،قم (د.ت).

الحسيني الشيرازي ،محمد،ت١٤٢٢هـ

١٤٥٠. .توضيح نهج البلاغة ،دار التراث الشيعية ،طهران (د.ت).

الحكيم ،محمد باقر ،ت٢٠٠٤م

١٥١.دور ائمة اهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة ،ط٢، المجمع العالمي لأهل البيت ١٤٢٥ م.

الحميد ،حسن بن صالح

١٥٢.سنن الله من خلال آيات القرآن الكريم ،ط١،دار الهدى النبوي ، المنصورة مصر (د.ت) .

الحيدري، السيد احمد هيثم

١٥٣.حقيقة البلاء وحتميته ودور الدنيا في بلاء الانسان، ط١، مؤسسة علوم نهج البلاغة، كربلاء٢٠١٥م.

الخرساني ،محمد تقي النقوي

١٥٤. مفتاح السعادة ، مكتبة المصطفوي، طهران (د.ت) .
خليل، عماد الدين

١٥٥.التفسير الاسلامي للتاريخ ،ط٣، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨١ م .
الدخيل، محمد علي

١٥٦.شرح نهج البلاغة ،(د. م)(م. ت).
رضا ، محمد رشيد

١٥٧.تفسير المنار ،ط٢ ،دار المنار، القاهرة ١٩٤٧م.
الزبيدي ،محب الدين السيد مرتضى الحسيني

١٥٨..تاج العروس ،تح علي شيري ،دار الفكر ،بيروت ١٩٩٤ م.
زكي، رمضان خميس

١٥٩.سنن الله في هلاك الامم ،ط١،القاهرة ٢٠١٤ م.

١٦٠.مفهوم السنن الربانية ،(د.م)(د.ت).
زيدان ، عبد الكريم

١٦١.السنن الالهية في الجماعات والامم ، مؤسسة الرسالة ،بيروت١٩٩٣ م.
السبحاني ، الشيخ جعفر

١٦٢.الالهيات ،تح حسن محمد مكي العاملي ، دار الاسلامية، بيروت ١٩٨٩م .
السيسي ،محمد

١٦٣.السنن الاجتماعية في القرآن الكريم، جامعة قطر (د.ت).
شبر ،عبدالله

١٦٤.نخبة الشرحين ،ط١، انتشارات المحبين، قم ٢٠٠٤م.

شمس الدين ،محمد مهدي

١٦٥. التاريخ وحركة التقدم البشري،(د.م)(د.ت).

١٦٦. دراسات في نهج البلاغة ،ط٢ ، دار الزهراء ،بيروت ١٩٧٣ م.

الشوكاني ،محمد بن علي ،ت١٢٥٥ هـ

١٦٧.ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول ، ط١، مطبعة مصطفى الحلبي ،مصر ١٩٣٧م.

١٦٨.الفتح القدير ،(د .م)(د .ت) .

الصبان، محمد بن علي، ت١٢٠٦هـ

١٦٩.حاشية على شرح الاشموني الالفية ابن مالك، (د.م)(د.ت) .

الصدر، محمد باقر

١٧٠.السنن التاريخية في القرآن الكريم ، ط١، دار احياء التراث العربي ،بيروت ٢٠١١ م.

صديقي، عبدالحميد

١٧١.تفسير التاريخ، دار القلم ١٩٨٠م .

الطباطبائي ،محمد حسين ،ت١٤٠٢هـ

١٧٢.تفسير الميزان، مؤسسة النشر الاسلامي ،قم (د.ت) .

الطبرسي، ميرزا حسين نوري، ت١٣٢٠هـ

١٧٣.مستدرك الرسائل ،ط٢ ،مؤسسة اهل البيت لأحياء التراث، بيروت ١٩٨٨ م.

عبده ،محمد

١٧٤.شرح نهج البلاغة ،ط٢ ، دار الفكر، بيروت ٢٠١١ م.
عيساوي ،عادل بن بوزيد

١٧٥.فقة السنن الالهية،ط١، مركز البحوث والدراسات ،قطر ٢٠١٢م.
القمي ،عباس ،ت١٣٥٩هـ

١٧٦.شرح حكم نهج البلاغة ،دار الانصار، قم (د.ت) .
كهوس ،رشيد ابو اليسر

١٧٧.السنن الالهية وخصائصها ،(د.م)(د.ت).

١٧٨.معلمة السنن الالهية ،ط١،دار الكلمة ،المنصورة٢٠١٥ هـ .
مركز الرسالة

١٧٩.الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ،ط١،مركز الرسالة، قم ١٤٢٠هـ.

١٨٠.الدعاء حقيقته وآدابه واثارة ،ط١،مركز الرسالة، قم ١٤١٩هـ.

١٨١.دور العقيدة في بناء الانسان ،مركز الرسالة ،قم ١٤١٨ هـ .
مغنية ،محمد جواد ،ت١٤٠٠هـ

١٨٢.تفسير الكاشف ،ط٣ ،دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨١م.

١٨٣.في ظلال نهج البلاغة ، ط١، انتشارات كلمة الحق ، ١٤٢٧هـ.
مكارم شيرازي ،ناصر

١٨٤.التفسير الامثل في كتاب الله المنزل ،(د.م)(د.ت).

١٨٥.نفحات الولاية ، مدرسة الامام علي ابن ابي طالب ،قم ١٤٢٦هـ .
مكتبة الروضة الحيدرية

١٨٦.الابتلاء والاختبار في نهج البلاغة، العتبة العلوية المقدسة، النجف الاشرف ٢٠١١م.
الموسوي ،عباس

١٨٧.شرح نهج البلاغة ،ط١ ،دار الرسول الاكرم ، بيروت ١٩٩٨م .

١٨٨.شرح الوصية الخالدة ،ط١ ،دار الاضواء ،بيروت ١٩٨٥ م.
الشيخ اليعقوبي ، محمد

١٨٩.الاسوة الحسنة، دار الصادقين، النجف٢٠١٤م.

١٨٩٠. خطاب المرحلة ،دار الصادقين ،النجف ٢٠١٤م.

ثالثاً: البحوث

جابر، حميد سراج

١٩١.التوظيف الفكري للسنن القرآن الكريم التاريخية في مواجهة الارهاب وتداعياته ، مجلة البحوث، العدد ٥، لندن٢٠١٧م.

١٩٢.حركية السنن التاريخية في الحيز التطبيقي للعلوم الانسانية ،وقائع مؤتمر ، تركيا ،٢٠١٧م.
جواد، انتصار كاظم

١٩٣.اساليب الثواب والعقاب واهميتها في عملية التعليم، مجلة الجامعة الاسلامية، العدد٢،الجامعة المستنصرية بغداد(د.ت).
عاشور، مجدي

١٩٤.السنن الالهية مصادرها وضوابطها ، مجلة المسلم المعاصر ،العدد١١، لبنان ٢٠٠٤م.
عماد كريم، خضر ابراهيم

١٩٥.السنن الالهية في القرآن الكريم ودورها في استشراف المستقبل، مجلة المنارة، العدد٢، ٢٠٠٩م.

كهوس ، رشيد ابو اليسر

١٩٦. السنن الالهية الكونية والاجتماعية ،مجلة تدبر لصادرة عن الهيئة العالمية لتدبر القرآن بقطر ،العدد الاول ، قطر ٢٠١٦ م.

يوسف ، يوسف ابراهيم

١٩٧.السنن الالهية في الميدان الاقتصادي ،كلية الشريعة والقانون جامعة قطر ،(د.ت).

رابعاً: الرسائل والاطاريح

ابو سيخل، محمد اسماعيل

١٩٨.الابعاد التربوية لسنة الابتلاء في ضوء الفكر الاسلامي ،رسالة ماجستير ،كلية التربية الجامعة الاسلامية في غزة ،٢٠٠٧م.

قيلي، حسن سلمان

١٩٩.السنن التاريخية في القرآن الكريم ،اطروحة دكتوراه ،جامعة الخرطوم ٢٠٠٨م .

عبد الحسن، شكري ناصر

٢٠٠.الامام علي بن ابي عليه السلام دراسة في فكره العسكري، اطروحة دكتوراه ،كلية التربية جامعة البصرة ٢٠٠٥م .

مصطفى، هادف

٢٠١.فقة السنن الالهية واثرة في الدعوة الاسلامية ،اطروحة دكتوراه ، جامعة الحاج خضر الجزائر ٢٠١٣م .

خامساً: المراجع الالكترونية في الشبكة العنكبوتية

الجرتيلي ، محمد

٢٠٢.السنن الالهية واثرها في فهم الواقع ،www.lakuh.not .

الركابي ،اياد

٢٠٣.السنن التاريخية في القرآن المجيد، www.alshaikhalrekabi.com .

المسلي، فلاح

٢٠٤.السنن الالهية في القرآن الكريم ،مؤسسة الحكمة الثقافية الاسلامية ،وكالة انباء براثا ،http://burathanews.com .

الشيخ اليعقوبي ،محمد

٢٠٥. سنة الاستدراج ،http.yaqoobi.com .

Abstract

The present thesis, which is entitled" Historical traditions in nahij and balagha " ,studies historical and holy rules ,laws and norms that are stable and sustained applied to all nations and individuals in any time or in any place whatsoever stated by Imam Ali (peace be upon him) in that book. This thesis explains the importance of those norms and the great role they play in paving the historical process and in proving scientific features that this book has shown to be stable and sustainable as well as its comprehensiveness . besides, this work shows how Imam Ali put these into practice to affirm the scientific process and stability in history so that individuals can deal with these norms and rules and never defy them. Thus working on these traditions and norms has great impacts that ultimately result in a great service for individuals and societies.